موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

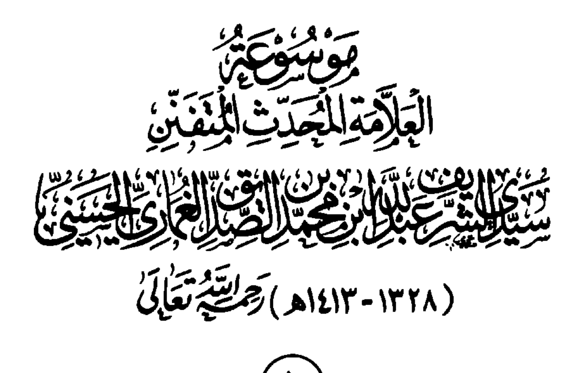
عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الأول

المقدمات - سبيل التوفيق


موسوعة
العلامة المحدث المتفنن
سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني
(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى
١

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة - الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت - الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الأول

المقدِّمات – سبيل التوفيق

ويحتوي على:

١- مقدِّمة الشَّريف الدكتور عبدالمُنعم بن الصِّدِّيق الغُماريِّ الحسنيِّ.

٢- استهلال بقلم فضيلة الشيخ محمَّد فؤاد بن كمال الدِّين، المشرف العام على مؤسَّسة الصَّفا بولاية نجري سمبيلان بماليزيا.

٣- مقدِّمة «مشرف العمل» الدكتور محمود سعيد بن محمَّد ممدوح.

٤- ترجمة العلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ، بقلم شقيقه الحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ.

٥- رسائل مُتبادَلة بين السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق وشَقِيقَيه العلَّامة السيِّد أحمد، و العلَّامة السيِّد عبدالعزيز.

٦- صور لمستندات خاصَّة بالمسيرة العِلْمية للسيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغماريِّ.

٧- سبيل التوفيق في ترجمة عبدالله بن الصِّدِّيق.

مقدمة الشريف الدكتور
عبدالمنعم بن عبدالعزيز بن الصديق

تمهيد

الحمد لله حقَّ حمده، والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدِ المرسلين سيِّدِنا ومولانا محمدٍ النبيِّ الأمين، وعلىٰ آله نُجومِ الهُدىٰ ومصابِيح الدُّجَىٰ، والرِّضا عن الصحابةِ الكِرام والتابعين ومَن تبِعهُم بِإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

وبعد: لقد شرَّفني فضيلة العلَّامة المحدِّث المحقِّق الناقِد، شيخُ الحديثِ في هذا العصر، وأحد أَعلامِه البارزين والمحقِّقينَ في علومِه وفنونِه، الدكتور محمود سعيد ممدوح حفظه الله ورعاه، بِطلَبِه أنْ أكتبَ تقديمًا لهذه الموسوعة التي حَرِص علىٰ جمْعِها وإخراجِها لأهل العلمِ، وتَضمُّ مؤلَّفاتِ وفتاوىٰ ومقالاتِ شيخِه العلَّامة المجتهد العَلَم، الجامع بين المعقول والمنقول والرواية والدراية، المحدِّث الجِهْبذ، الأصولي البارع، والنحوي النَّظَّار، الصوفيّ الزاهد، صاحب الأخلاق المحمدية والشِّيمِ المُنِيفة العاليةِ، السيد عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق، الحَسنِي، الغُماري، الطنجي، رضي الله تعالىٰ عنه.

اعترافًا منه بفضلِ شيخه وعِلْمِه، ومكانتِه العِلْميَّة السَّامِقة التي لم يُدانيها أحدٌ مِنْ عُلماء عصره، وحِفاظًا علىٰ تراث شيخِه الفِكريِّ المفيد، الذي لا زال الطلب يَكثر عليه لِيومِنا هذا مِنْ أهل العلم وطلبتِه، مِنْ مختلف بلاد الإسلام، لِنَفاسَته العِلْمِيَّة، ولِما عُرِف عن صاحِبِه رحمه الله مِنَ الإتقان والتحقيق والاجتهادِ، والاطِّلاعِ العِلميِّ الواسعِ في مختلف الفُنون العَقليَّةِ والنقليَّةِ، كما يتجَلَّىٰ واضِحًا مِنْ خِلال هذه الموسوعة الجامعة لأعماله.

وهذه مَبرَّةٌ حميدَةٌ مِنْ فضيلةِ الشيخِ الدكتور محمود سعيد ممدوح حفظه الله، تدلُّ علىٰ حُسن الصنيعة منه لشيخِه، وتَنمُّ علىٰ ترسُّخِ أخلاقِ علماءِ السلف الصَّالحِ وأدبِهِم مع شيوخهم في خُلقِه هو وأدبِه مع شيوخه، وذلك في الاعتراف بفضلِهِم وجميل صنيعهِم، وشُكرهم قولًا وعملًا علىٰ ما قدَّموه للعلم الشريف من جهودٍ وبذلِهِم الوقتَ الكثير في نشرِه وتعليمِه، ومَنْ لم يَشْكُرِ الناسَ لمْ يَشكُرِ الله، كما جاء في الحديث الشريف.

هذا في وقتٍ ماتت فيه جلُّ القِيَمِ والأخلاق في كثيرٍ ممَّن ينتَسِبُون للعِلم والأدب، ويشتغلون كما يدَّعون زورًا وكذبًا بخدمة كُتب العِلم ونشْرِها، وقد عشَّشَتْ في حنايا صدورهم مقاصد لا عِفَّة فيها، يُقحِمونها إقحامًا في الحواشي وعلىٰ الهوامش، ويدافعون عنها بسلاح النبز والشتم والسِّباب. فيَلفاهُم المرءُ فيما يكتبون في بُعدٍ تامٍّ عن أبسط قواعد الأدب الذي يَجِبُ أن يتأدَّبَ به طالبُ العلمِ في صغره مع أهل العلم والفضل والصلاح، فباتوا بذلك في درجةٍ سواء مع عامَّةِ الناس بل والسَّفلة، والأمر لله وحده.

وإنِّي مهما أَفَضتُ في الكلام عن المؤلِّف رحمه الله، صاحب هذه الموسوعة، وعن علومه، ومنهجه العلمي في التصنيف الفقهي والحديثي، وفتاويه، وعن جلائل أعماله العِلمية، فإني لن أوَفِّي الكلام حقَّه، في ذِكر أخبار ومناقب عالمٍ وهبَ حياتَه للعلم، تدريسًا، وتعليمًا، وتصنيفًا، وتحقيقًا، منذ أن بدأ يَطلبه في سِنِّ الصِّبا إلىٰ أنْ أَدْنَفه المرضُ وأنهَكه.

فلم ينَل بعِلمه في يومٍ من أيام حياته حظوةً أو دنيا، أو تزلَّف به علىٰ أبواب الأمراء والرؤساء، أو سعىٰ بعِلمِه لاهِثًا يبحث عن أسباب ومطايا الظُّهور

والوجاهة والتصدر في المجتمعات، كما هو حال الكثيرين، بل كان رحمه الله كلَّما اقتربت منه الدنيا ونضارتُها ولَّى لها ظَهْرَه، وفرَّ مِنْ زخرفها وبهرجِها الزائف، قانِعًا بما وهَبه الله تعالى، مُكرِّسًا حياته للعِلم والتَّدريس والتأليف والتحقيق، حتى لقِيَ ربَّه.

ولن أستطيع في عجالة يسيرة، وصفَ حالته العلمية الكبيرة واطلاعه الواسع الذي كان عليه في مختلف الفنون العقلية والنقلية، وعلوم الرواية والدراية؛ وخيرُ دليلٍ على وصف عِلمه واطلاعه، هذه الموسوعة الجامعة لأعماله رحمه الله، والتي ضمَّت كُتبًا وأجزاءً جليلة أَلَّفها رحمه الله كما سبق الذِّكرُ في مختلف الفنون والعلوم؛ في التفسير، وعلوم القرآن، وفضائِله، والحديث الشريف وعلومه، وفنِّ التخريج، والسيرة، والخصائص النبوية، والشمائل، وسِيَرِ الأنبياء، والفِقه في أبواب شتَّى منه، والأصول، والتصوف، والمنطق، والعقيدة، والنحو، وعلم التعبير أيضًا، ومواضيع علمية أخرى.

موسوعةٌ علميةٌ تُنبئ عن الشخصية العلمية الموسوعية للسيد عبدالله بن الصديق رحمه الله، والتي تركت أثَرها القَويَّ والمؤثِّرَ في الميدان العلمي في العصر الحديث، شخصية علمية فذةٌ تخرَّج بها عددٌ لا يُحصى مِنْ أهل العلم في المشرق كما في المغرب؛ فهو شيخُ شيوخ العَصر، رحمه الله تعالى.

وآثارُ الرِّجالِ إذا تَناهَتْ ... إلى التاريخ خيرِ الحَاكِمينا
وأَخْذُكَ مِنْ فم الدنيا ثناءً ... وتَرْكُكَ في مسامِعِها طَنِينَا

التعريف بالأسرة الصديقية

تُعتبر الأسرة الصِّدِّيقيَّة المشهورة بِالغُمارية مِنَ الأُسر العلمية التي شارك أفرادُها مشاركةً عظيمةً في إحياء علوم الدين في العصر الحديث، حيث أثْرَوا المكتبة الإسلامية بمصنَّفاتٍ في مختلف الفنون والعلوم الإسلامية، منها ما هو غيرُ مسبوقٍ في بابه، فردٌ في موضوعِه.

بجهودِهِم العلمية العظيمة أنْشأوا حركةً علميةً وحديثيةً رائدةً بشموليَّتِها لِفنون الرواية والدراية، شبيهةً بنظيراتِها في عصور العِلم السالفة الزاهرة؛ ومتميزةً بالاجتهاد والتجديد في عصر الجمودِ والتقليد، واطِّلاع أعلامِها على مذاهب الفقه الإسلامي المتنوعة، في حين اكتفى علماءُ عصرهم بمعرفة المذهب الواحدِ، مع التعصب له تعصُّبًا مقيتًا.

تعودُ جُذور هذه الأسرة الشريفة العالِمة الصوفية المبارَكَة، إلى أواخر القرن الخامس الهجري، ويتَّصِل نسبُها الشريف بابنِ داود بنِ إدريسَ الأزهرِ بنِ إدريسَ الأكبرِ بنِ عبدالله الكاملِ بنِ الحَسَنِ المُثَنَّى بنِ الحَسَنِ السِّبطِ بنِ سيِّدِنا عليٍّ وسيدتِنا فاطمة الزهراء بنتِ خيرِ الخَلقِ مولانا رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كان لأسلافها عَبرَ أيام التاريخ شأوٌ عريقٌ مع الجهاد والعِلم، والفضل والتقوى. قدِمَ مِنَ الأندلس أحدُ أجدادها، وهو السيد عبدالمؤمن الكبير، فأقام بأحواز تلمسان، بمنطقة تُعرَف ببيدَرٌ، شرق المغرب، واستوطن بها وانتشر عقِبُه في أرجائِها. واشتهر مِنْ هذا العَقِب المبارَكِ في القرنِ التاسعِ الهجريِّ، الوليُّ الشهيرُ ذُو الكَراماتِ السيد عبدالمؤمِن، المعروف بأبِي قَبْرَيْنِ؛ الذي لا

زال عقِبُه فيها لِيومِنا هذا يتوارثون أخبارَه وكراماتِه المستفيضة.

وفي أواسط القرن العاشر، رحل حفيدُه السيد عبدالمؤمن الصغير إلى منطقة غُمارة (وهي مجموعة من القبائل في شمال المغرب)، فحطَّ عصَا ترحاله بِقريةِ تُجْكان، وهي مِنْ قُرىٰ قبيلة بنِي مَنْصُور إحدىٰ القبائل الغمارية، فتَبوَّأها مستقَرًّا ومُقامًا. وسببُ ترحاله بيَّنه الحافظ السيد أحمد بن الصديق رحمه الله في ترجمته له، وهو بحثُه عن شيخٍ للتربية يَسلكُ على يديه طريقَ أهلِ التحقيق والعِرفان.

فاشتهر فضلُه وذاع خَبرُه فيها وفي البلاد المجاورة، وله بها عقِبٌ عُرِفوا بالولاية والصلاح والعِلم والجهاد.

ومِنّ بين منِ اشتهَر فضلُه منهم وتواترت أخبارُه المُنيفة عند الخاص والعام، فضيلة الإمام الكبير العارف بالله القُطبُ الكامل السيد محمد بن الصِّدِّيق، الذي ولد يوم ٥ رجب ١٢٩٥هـ، الموافق ١٨٧٨م، بِتُجْكان المذكورةِ آنفًا.

فنَشأ بها تحت رعاية والده العارف بالله صاحب الأحوال والكرامات السيد الحاجّ الصِّدِّيق رضي الله عنه، فحفظ القرآن الكريم وحصَّل العِلمَ في بلدِه، قبل أن يرحلَ إلى مدينة فاس حيث جامِعُ القرويين، لِينهلَ مِنْ جهابذة العِلمِ الذين يعُجُّ بهم هذا الجامعُ التَّلِيد، كأمثال: شيخ الجماعة الشيخ أحمدَ بن الخياط، وخليلِ بنِ صالح الخالدي الملقَّب بِسِيبَوَيْه زمانِه، والكامِل الأمْرانِي، والنوازليِّ المشهور المهدي الوزاني، والمأمون العراقي، والسيد محمد بنِ جعفرِ الكتاني، وغير هؤلاء من الأكابر رحمهم الله جميعًا ورضي عنهم، ثم رجع إلى

بلده تُجكان، وعاد إلى فاس في رحلةٍ علمية ثانيةٍ، أقصرَ مِنَ الأولَى.

وقد ترجم له غيرُ واحدٍ ترجمةً وافيةً ومستفيضة، وفي مقدِّمتِهم نجلُه الأكبر أبو الفيضِ الحافظ السيد أحمد بن الصديق، في مجلدٍ ضخمٍ سمَّاه "سُبحةُ العقِيقِ بِذِكر مناقب الشيخ محمد بن الصديق"، طُبع مختصرُه "التصور والتصديق".

هذا الإمامُ الجهبذُ حلَّ بمدينة طنجة سنة ١٣١٨هـ الموافق ١٩٠٠م، حيث قَصَدَ بيتَ خالِه الوليِّ العارفِ السيد عبدالحفيظ بنِ العلَّامةِ الوليِّ الكبير السيد أحمدَ بنِ الإمام المفسِّرِ العارفِ بالله السيد أحمدَ بنِ عَجِيبة، صاحب التفسير الإشاري المسمَّى "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، و"إيقاظ الهِمم بِشرح الحِكَم" وغيرهما من الكتب والرسائل في التصوف وغيره.

فتزوَّج بِنتَ خالِه، السيدة الجليلة القانِتة الذاكرة الوليَّة، فاطمة الزهراء، واستقرَّ بمدينة طنجة بطلَبٍ مِنْ خالِه رضي الله عنهما، فأَحْيَى بها مجالسَ العِلم، وقَصده الطلبة من آفاقٍ بعيدةٍ، فَدرَّس لهم في الجامع الكبير بطنجة "مختصر خليل" في فقه المالكية، و"صحيح البخاري"، و"ألفيةَ ابنِ مالكٍ" في علوم العربية، و"همزيةَ البوصيري" في السِّيرة؛ و"شمائل الترمذي"، وغير هذا من فنون العلم كالبلاغة والمنطق، وتراجم الأولياء والعلماء والصالحين، ودرَّس كُتب القَوم المبيِّنَةِ لأصول مذهبِهم وطريقتِهم.

وقصَدَه غيرَ مرةٍ غيرُ واحدٍ مِنْ علماءِ فاس للتبرك به والاستفسار منه، مذعِنينَ لعِلمِه وفضلِه، لأنَّ صيتَه في تمكُّنِه مِنَ العِلم وتقدُّمِه فيه على علماء أهل العصر ذاع واشتهر في البلاد.

أخبر عن بعضٍ مِنْ ذلك نجلُه العلَّامة السيد عبدالله بن الصديق في ترجمته لنفسه في آخر كتابه "بدع التفاسير"، إذْ قال متحدِّثًا عن شيخه العلامة المحقق القاضي العباس بن أبي بكر بَنَّاني: «وذكَرَ مرةً في درس الأصول حديثًا لم يَعْرِفْ رُتبتَه، فبيَّنتُها له. فسألني: مَنْ أنت؟ فانتسبْتُ له، فقال: تبارك الله، الدرُّ مِنْ معدنِه لا يُستغرب. وطلبتُ منه مرةً فتوىٰ فقهية في خصومة كانت بين بعض الإخوان، فسألني: هل يطَّلِع عليها والدُكَ؟ قلتُ: نعم. قال: إذًا يَجِبُ التدقيقُ فيها، لأنَّ والدَكَ في العِلم مخيفٌ». ونظيرُ هذا الخبر في ذِكر ووصْفِ عِلمِه كثيرٌ.

كما أحيَىٰ بمدينة طنجة طريق أهل التصوف، فكثُر حولَه المريدون، وأصبحت حلقتُه في التدريس يَحضرُها العلماء، وطلبةُ العِلم، والعامَّة، فأقام رضي الله عنه بهذا الثغر مِنْ ثُغُور المغرب سوقًا رائجةً للعلم والتصوف، وتخرَّج به علماء كان منهم مدرِّسون وقُضاة وغيرهم، وانتشر بسببه في أرجاء البلدةِ ذِكرُ الله تعالىٰ.

فصارت طنجةُ بِسعْيِه الحثيثِ المبارَكِ في الدعوة إلىٰ الله، ونشْرِ العِلم، والإفتاء في النوازل والقضايا المرفوعة إليه من مختلف مدن وقرىٰ المغرب، حاضرةً علميةً متميزةً، سيزداد إشعاعُها سطوعًا ونجمُها ظهورًا، مع أبنائِه السادة العلماء الكبار، الذين ذاعَت شهرتُهم في العِلم ذيوعًا كبيرًا في المغرب والمشرق.

وهم السادة العُلماء الأعلام: الإمام المجتهد الحافظ الكبير أبو الفيض أحمد بن الصِّدِّيق، المتوفَّىٰ سنة ١٣٨٠ بالقاهرة، والإمام العلامة المحدِّث الأصولي أبو الفضل عبدالله المتوفَّىٰ سنة ١٤١٣، والعلامة الشيخ محمد الزمزمي، المتوفىٰ سنة

١٤٠٨، والإمام العلامة الأصولي المحقق البارع عبدالحي المتوفَّىٰ سنة ١٤١٥، والإمام العلامة المحدِّث الناقد العارف أبو اليسر عبدالعزيز، المتوفىٰ سنة ١٤١٨هـ؛ وهؤلاء أشِقّاءٌ؛ ثم العلَّامة النحويُّ الأديب، فقيه المغرب في وقته الحَسن بن الصديق المتوفَّىٰ سنة١٤٣١، وأصغرُهم سنًّا محدِّث المغرب في أوانِه العلَّامة الدكتور إبراهيم بن الصديق، المتوفىٰ سنة ١٤٢٤؛ رحمهم الله جميعًا، وجزاهم عما قدَّموه للإسلام والمسلمين خيرَ الجَزاء.

لكن امتاز الأشقاء منهم، وأقصد بهم السيد أحمد، والسيد عبدَالله، والسيد عبدَالحي، ووالدي السيد عبدَالعزيز، بكثرة التأليف وجودة التصنيف في مختلف الفنون، ولَهَجَ أهلُ العِلم بتحقيقاتهم وأبحاثِهم واجتهاداتِهم في كلِّ مِصرٍ.

هؤلاء هم أبناء الإمام العارف بالله السيد محمد بن الصديق، الذين يُعدُّون شامةً حسناء في دهرنا الحديث في الأخلاق والمكارم، والبذل والجود، فأخبارهم وسِيرتُهم مِن «سِيَرِ أعلام النبلاء»، بل منهم مَنْ كان «تذكرةً للحفَّاظ» السالِفين.

وإنَّ الواقف علىٰ بعض تراجم أهل العلم عند الإمام الذهبي في "سيره" أو في "تذكرته"، أو عند غير الذهبي ممن اعتَنىٰ بذكر طبقات العلماء والتراجم عمومًا، يجد تراجم علماء لم يصِلوا في مرتبتهم العلمية إلىٰ ما وصل إليه الحافظ أحمد بن الصَّدِّيق في الحفظ والاطلاع، والتحقيق والإتقان، والكلام في الرواة والرجال جرحًا وتعديلًا.

ويجِد أيضًا الذهبي رحمه الله أو غيره ممن صنَّف في طبقات الأعيان ترجم لمن لا يُتقِن إلا فنًّا من الفنون برع فيه فاستوجب ذِكرُه عنده بين فقهاء ونبلاء

عصره، أو لكونه كان شافعيًّا فذُكر في طبقاتهم، أو حنفيًّا فسُطِّرت ترجمته فيهم، أو صوفيًّا فأُدْرِجَت أخبارُ زهده وتصوفِهِ مع أخبارهم؛ فكيف وهؤلاء الأشقاء أتقن الفردُ الواحدُ منهم فنونًا وعلومًا، لم يبلغ مَنْ سبقَه ولا مَن عاصره عُلوَّ كعبه فيها.

وهذه المؤلفات والأبحاث العلمية لهم شواهد صارخة على السموق العلمي الكبير الذي كان الفردُ الواحدُ منهم عليه، فكيف بمؤلفاتهم مجموعة، تُمثل بحقٍّ مدرسةً علميةً رصينةً، مكتملة الأركان والمعالم والمنهج.

أعودُ فأقول: عُرِف هؤلاء الإخوة بإحياء علوم الدين، وبالتحقيق العلمي والاجتهاد، وعدم التقليد والتسليم للأقوال المجرَّدة أو التقيد بِقول والتعصُّب له مهما كانَ صاحبُه في التقديم والتبريز، فلم يكن تعصبُّهم إلَّا لكتاب الله تعالى، وسنَّةِ الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام، وما قواعد العِلم إلا أدواتٌ طيِّعةٌ وُضِعت خدمةً للكتاب الكريم والسنة المطهرة.

فبِإطلالة على مؤلفاتِ هؤلاء العلماء، نستشفُّ بسطةً آتاها الله لهم في علومٍ شتَّى، ومَدارِكَ معرفيَّةً مختلفةً، أثْرَوا بها المكتبةَ الإسلامية الحديثة بعطاءٍ زخَّارٍ، ينهلُ منه روَّاد التحقيق العلمي، والباحِثين عن المعرفة وفرائد الاطلاع الواسع الذي امتاز به هؤلاء الأعلام، والذي أصبح اليوم عزيزًا ونادرًا، إن لم يكن قد انعدم، لانصراف الهِمم عن التحصيل والقراءة والاطلاع، واكتفاء المناهج التعليمية في المعاهد العليا والجامعات على النزر القليل الذي لا يصل لحد الإحاطة بقواعد فنٍّ واحدٍ من فنون العِلم العقلية والنقلية.

عطاءُ هؤلاء الأعلام، أبناء الإمام السيد محمد بن الصِّدِّيق عطاء متميِّزٌ في

المنهج والمضمون، هو ليس كعَطاءِ مَنْ يعتمد التقليد في منهجِه، ويَقصُرُ العلمَ ومعرفة الدرايةِ في النقلِ مِنْ ذا الكتابِ وذاك، ويَسردُ الأقوال والآراء، وما ذهب إليه زيدٌ، وقال به عَمرٌو، سردًا عقيمًا دون تمحيصٍ ولا تحقيق، ثم يَنسِبُ كلَّ ذلك لِقَلَمِه وعِلمه وبناتِ فِكره... هيهاتَ هيهاتَ أنْ يَصيرَ النقلُ والتقليد عِلمًا، فالفضل فيه محصورٌ للمنقول عنه وللمقلَّد وحده، والناقِلُ والمقلِّد مجرد تابعٍ ومردِّدٍ للصدَىٰ كما يقال.

العطاء العلمي لأعلام الأسرة الصديقية الغمارية في مضمونه أيضًا ليس كعطاء أولئك الذين يَحصرُون عِلمَهم ويفنون جهدهم في العنايةِ بالمروياتِ والمسموعاتِ والإجازاتِ والفهارس، وسَرْدِ مؤلفاتِ غيرِهم ومصنفاتِ السابقين وكُتبِ أسلافِهم حسب الفنون، وبشكلٍ عقيمٍ مُمِلٍّ، دون عنايةٍ وتحقيقٍ فيما يَروُونَه، بل ولا حتىٰ معرفةٍ أحيانًا بما يَرْوُونه؛ وإنما هو الافتخار بكثرة المروياتِ والمسموعاتِ كما هو معروفٌ في بابه.

إنتاج أعلام الأسرة الصدِّيقِيَّةِ عِلميٌّ رصينٌ، جامِعٌ بين علوم الرواية والدراية، والعقل والنقْلِ، متميِّزٌ بمنهجٍ صدِّيقِيٍّ فذٍّ بعيد عن التَّزمُّت والتعصب، باعثٌ لِروح التجديد بالإبداع فيما قصَّر فيه كثير من العلماء، سهْوًا منهم أو غفلةً، أو بسبب المناهج التي مشوا عليها، ناقدٌ لهفواتِهم العلمية المناقِضة لأصول العِلم وقواعده، فيه استدراكاتٌ وفوائد وتعقباتٌ غاية في النفاسة والإفادة.

في مصنَّفاتهم الكثيرة والمتنوِّعة، نلمسُ اجتهادًا في بعْثِ منهجِ السلف في زمنٍ طُبع أهلُ العلمِ فيه علىٰ التسليم لِكلِّ قولٍ والتهيُّبِ مِنْ نقْدِ الأدلة

والآراء؛ هذا المنهج منهجُ علماء السلف وأهل التحقيق منهم الذي يُرشد إلىٰ المنهجية الصحيحة في النقد، بناءً علىٰ مسارِ استقلالية الفكر والبحثِ بموضوعيةٍ وعدمِ تعسُّفٍ وميلٍ، بل تحَرٍّ للحقِّ بعقلٍ راجحٍ مع الأخذ بالقواعد العلمية المعتبَرَةِ وتنزيلِها تنزيلًا سليمًا، لا موضعَ للتمحُّلِ فيه ولا لِلهوَىٰ والمذهبية أدْنَىٰ نصيبٍ في مرجعِيتِه.

لهذا كثر الثناء والمديح علىٰ علمهم مِنَ القاصي والدَّانِي، والمؤيِّد والمخالِف، لأنهم بزُّوا أقرانهم وفاقوا شيوخهم بل كانوا مرجع شيوخهم في المغرب كما في المشرق، في معرفة درجات الأحاديث النبوية الشريفة من الصحة والضعف، وفي الاستعانة بهم في التصحيح والتضعيف، وفي معرفة كثير مِنَ المسائل العلمية في فنون مختلفة، كما يتبيَّنُ ذلك مِنْ تراجمهم، أو مِنْ تراجِم غيرهِم لهم.

كان عِلمُهم رحمهم الله حاضرًا، إذا سُئِلوا أجابوا وبإطنابٍ وإطرابٍ، مع إقناعٍ، وهذا عاينتُه ممَّن عاصرتُه ولازمتُه منهم، وهم مولاي الوالد السيد عبدالعزيز، وعمَّاي السيدعبدالله، والسيدعبدالحي، رحمهم الله جميعًا.

فطالِبُ العِلم في دروسهم له الحرية في أنْ يَسأل في أيِّ فنٍّ، ولو خارجَ موضوع الدرسِ، فإنه يَجِد الجوابَ كافيًا شافيًا، مع الصدر الرحْبِ، بدونِ أيِّ تحريج أو تضيِيق علىٰ الطالب السائل.

والمستفتِي يأخذ فتواه منهم مدعومةً بدليلِها، وكأنه لحظة يسمعها مِنْ أحدهِم يَرىٰ نفسه كأنَّه يقرأها في كِتابٍ مبيِّنٍ لأمرها، فينصرف جَذلانَ مرتاح الخاطر، متمسكًا بما أُفْتِيَ به، ولا يَعْدِل عنهم أبدًا في الاستفتاء، وقد جُمِعت لهؤلاء الأعلام كثيرٌ مِنَ الفتاوىٰ التي أفتَوا بِها، في مختلَفِ المواضيعِ الفقهية

والمسائل العِلمية، وفيها من الفوائد والعلوم ما لا يوجد في غيرِها، حتى أنَّ العدد الكبير من الفتاوى كانت تأتي مِنْ بلاد المهجر في أمور مستحدثة تقع للمسلمين هناك، لم يقصدوا في معرفة حكمها إلا أعلام هذا البيت الصديقِيِّ؛ سخر الله تعالى في إخراجها مجموعة للفائدة العلمية والفقهية التي فيها.

شذرات من حياة الشيخ سيدي
أبي الفضل عبدالله بن الصديق

هو العلامة المحدِّث المطلِّع السيِّد عبدالله بنُ محمَّدِ بنِ الصِّدِّيق الغُماريُّ أصلًا، الطَّنجيُّ مولِدًا ونشأةً وقرارًا، الإدريسيُّ الحسنيُّ، أحدُ أعلامِ هذه الأسرة الحسِيبة، وبدرٌ ساطعٌ مِنْ بُدورِها العِلميةِ المُنِيرَةِ.

اختار له شيخُه وشقيقه الأكبر السيد أحمد رحمه الله مِنَ الكُنى أبا المجْدِ، على عادة أهل العِلم في اتخاذ الكنى، لكنه اتَّخذ "أبا الفضل" كنيةً له، تعلُّقًا ومحبةً في الحافظ ابنِ حَجر رحمه الله، المكنَّى بها، فكان له نصيبٌ من هذه الكنية حقًا، لِفضله على أهلِ العِلم في وقتِه.

طودُ عِلمٍ شامخٍ، وبحرٌ زخَّار بالفوائد والعلوم، مع تواضعٍ كبيرٍ وزهدٍ بيِّنٍ، وأخلاق مصطفوية عظيمةٍ، عَلَمٌ دالٌّ على عِلمه بِحالِه ومَقالِه رحمه الله.

وُلِد بِثغر طنجة، بأقصى شمال غربِ المغرب، غُرة شهر رجب الفرد، مِنْ سنة ١٣٢٨ للهجرة، الموافق ١٩١٠م، في بيتٍ ضمَّ بين جنباته المكارمَ والشَّرفَ الأثِيلَ، والعِلم والولاية، والتصوف؛ فوالدُه هو الإمام الكبير العارف بالله الشهير القطبُ السيد محمد بن الصدِّيق المتوفى سنة ١٣٥٤، وهو مَنْ هُو في العِلم والمعرفة والفضلِ والوِلايةِ، كما تقدَّم ذِكرُه.

ووالدتُه هي السيِّدة الشريفة، الوليَّة العابدة الذاكرةُ، فاطمة الزهراء بنتُ أحمدَ بنِ أحمدَ بن عُجِيبَة، توفيت شهيدة بجمعٍ ليلة الاثنين السابع والعشرين مِن رمضان سنة ١٣٤٠.

نَشأ صاحبُ الترجمة رحمه الله، في كنَف والده الإمام، يَرعاه ويَسقِيه لِبانَ الأخلاق والعِلم، فَأدخَلَه الكُتَّاب لحفظ القرآن الكريم، وهو ابنُ خمْسِ سِنين، فقرأه علىٰ الفقِيه أبِي حامدٍ العَرَبِي بودره، ثم بعدُ علىٰ الفقيه عبدالكريم البَرَّاق، ثم بعد علىٰ الفقيه محمد الأندلسي، وعلىٰ هذا الأخير حفِظَ القرآن الكريم وأتْقَن عِلم رسْمِه إتقانًا كبيرًا، صار كبارُ القُرّاء يرجعون إليه لمعرفة رسمه.

ثم شرع كسائر طلبة العلم، في بدايتهم، يحفظ المتون العلمية، كـ"ألفية ابنِ مالكٍ" في النحو، و"مختصر خليل" في فقه مالك، و"الأربعين النووية" و"بلوغ المرام" في الحديث الشريف.

وقرأ "مقدمة ابن آجرُّوم" بـ"شرح الأزهري" علىٰ شقيقه الحافظ السيد أحمد، وعلىٰ ابن عمتِّه السيد محمد بنِ عبدالصمد.

كذلك، فإنَّ نشأتَه في بيت عِلمٍ ساعدته علىٰ بناء تكوينِه العِلميّ، فقد كان والدُه الإمام رضي الله عنه يذاكره في مسائل علمية شتَّىٰ، غيرَ ما كان يُدرِّسُه له، وينهجُ معه نفس النهج الذي سلكه رضي الله عنه مع أبنائه الآخرين، يُذاكرهم في كلِّ الفنون، ويوجِّههم للعِلم توجيهًا سديدًا، ويرشدهم لمصادر كلِّ فنٍّ وعِلم، ويفتح لهم صدره للنقاش والسؤال، واستثارة المعرفة الكامنة في حنايا صدره، فيَرتَوُون منه ولا يلْوُون علىٰ أحدٍ آخر.

قال عنه شيخُه، شقيقُه الأكبرالسيد أحمد بنُ الصِّدِّيق، عندما ترجَم له في

"سبحة العقيق" «وكان في صِغرِه -يقصد شقيقَه السيد عبدالله- كثيرَ البحثِ والسؤال للوالد عن المسائل العلمية، في شتَّىٰ الفنون، وكذلك كان يَسألني، ولَمَّا توجهتُ إلىٰ القاهرةِ كان يُراسِلني بالأسئلةِ، وبِسببِ سؤاله أَلَّفْتُ عدَّةَ مؤلفاتٍ، كجُزءِ المَمْسوخِينَ، ورسالة نُبوَّةِ خالدِ بنِ سِنَان والخَضِر والنِّساء، و"تخريج أحاديث الشهاب"، وغيرها، مع أجوبةٍ مطولَةٍ في مسائل متعدِّدة».

كانت بدايتُه مشرقةً بِنورِ المعرفةِ وشغَفِ الاطِّلاع، وهذه البدايةُ دليلٌ علىٰ عُمرٍ فيَّاضٍ بالعطاء والإنتاج العلمي النافع، وكذلك كان هو وإخوانُه رحمهم الله، الذين ساروا علىٰ نفس النهج التعليمي والتربوي، ويَصدُق هُنا قولُ الشاعر:

وإذا رأيتَ مِنَ الهلالِ نُمُوَّهُ   أيقَنْتَ أنْ سَيكُون بَدرًا كاملًا

وفي شهر شوال من سنة ١٣٤٤ توجَّه إلىٰ فاس لِتلقِّي العِلم بجامع القروِيِّين، أقدمِ جامعٍ في العالمِ الإسلامي إطلاقًا، ومنه تخرَّج عُلماء المغرب وغيره، فَقضَىٰ فيه ثلاث سنواتٍ من التحصيلِ العلمي والتَّلقي علىٰ كبار أئِمة القَروِيِّين، فأخذ عن جماعةٍ مِن الشيوخ المَرمُوقِين.

فأخَذَ الفِقهَ علىٰ الشيخ عبدالسلام العلوي، والأصول علىٰ الشيخ الحسين العِراقي، والسيد عبدالله الفضيلي وغيرهما، وكذلك أخذ عن الشيخ الحَبِيب المَهَاجِي، والعباس بنَّانِي، والرَّضي السناني الشهير بِالحِنْش، وغيرهم مِنَ الشيوخ الأجلَّة المشهورين بعلوِّ الكعب في العلم والتحقيق.

وصادف أثناء وجوده بفاس رجوع الشيخ المحدِّث السيد محمد بن جعفر الكتاني من الشام، فحضر عليه في بيتِه واستفاد منه.

ثم عاد إلىٰ طنجةَ، مكتفيًا بما حصَّله علىٰ شيوخ القرويين، فَشرَع في

التدريس لنجباء الطلبة ولإخوانه في الزاوية الصِّدِّيقية، فدرَّس لهم "المقدمة الآجرومية"، و"رسالة ابن أبي زيدٍ القيرواني" بشرح أبِي الحسن.

وفي أول نشأته العلمية شُهِد له بالبَراعَةِ في النحو والصرفِ، وعُلومِ العربية عامة، فَحصل منه إقبالٌ وإكبابٌ عليها، فأتقَنها إتقانًا كبيرًا؛ إذْ ألَّف شرْحًا حافلًا علىٰ "متْن الأجرُوميَّة" في النَّحو، جاء في مجلَّدٍ حافِلٍ، سمَّاه له شقِيقُه الأكبرُ السيد أحمد: "تَشْيِيد المَبانِي لِتَوضِيحِ ما حَوَتْه المقدِّمةُ الأجْرُومِيَّةُ مِنَ الحقائق والمعاني"، وهو باكورةُ مؤلَّفاتِه، وقد صنَّفه بعد عودتِه مِنْ رحلته العلمية الأولىٰ إلىٰ مدينة فاس، وكان عُمره آنذاك يُناهِز العِشرين، فعرَضَه علىٰ والده الإمام فأصلحَ فيه مواضع بخطِّهِ وأقرَّه.

وقام أيضًا في هذه الفترة باختصارِ "إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحقِّ مِن علم الأصول" للعلامة الشوكاني، بأسلوبٍ غيرِ أسلوبِ "حصول المأمول" لِلقنَّوجي.

وخلل هذه الفترة، بحضوره دروس والده الإمام في "رسالة ابن أبي زيدٍ" بـ"شرح أبِي الحسن"، وفي شرح العارف ابن أبي جمرة لـ"مختصره للبخاري"، قبل أن يطبع، وكتبًا أخرىٰ في البلاغة والنحو أيضًا.

وقد أخبر عن هذا رحمه الله في ترجمته لنفسه في آخر كتابه "بدع التفاسير"، ومدَىٰ استفادته من والده الإمام رضي الله عنه فقال: «وكنتُ أرجع إليه في مواضع مِن كتاب "مغْنِي اللبِيب" كانت تُشْكل عليَّ، فيشرحها لي... وكتبت بحوثًا أخرىٰ في مسائل نحوية عويصةٍ، بإشارة سيدنا الإمام الوالد رضي الله عنه، الذي كان يشجعني علىٰ البحث والكتابة، ويُدرِّبني علىٰ معرفة المَظانِّ.

واتخذني كاتِبَه، أكتبُ له الفتاوىٰ التي يحرِّرها إلىٰ الجهات المختلفة مِن أنحاء المغرب، وتارةً يأمرني فأمضيها بِاسمي، وكان مع أصدقائه يُثني علىٰ معرفتي وفهمي».

وقال فيها أيضًا: «وكان يتحدَّثُ إليَّ ساعاتٍ طويلة عن الكتب العلمية في مختلف العلوم، فيعطيني فكرةً عن كلِّ كتابٍ وما يمتاز به عن غيره، المطبوع منها والمخطوط، وكانت حافظته قوية جدًا، إذا أفاض في موضوعٍ أتىٰ فيه بما يدهش السامع. كنتُ أتكلَّمُ معه مرةً في مسائل نحوية، وجاء ذِكر لفظ (البتَّة)، وهل هو بهمزة وصلٍ أو قطعٍ؟ فقال لي: تكلَّمَ عليه الحافظ ابنُ حَجر في "الفتح" وحكَىٰ فيه الوجهين، واختار الوصل. كما حكاهما الأزهري في "التصريح" واختار القطع، وعيَّن لي الموضع في الكتابين، فوجدتهما كما قال».

إلىٰ غير هذا من أمثلة الرعاية العلمية التي حظيَ بها السيد عبدالله بن الصدِّيق مِن والده الإمام رضي الله عنهما، ومثل هذه الشواهدِ مبثوثة في ترجمته، بل كان والده الإمام لثِقَتِه في علمِ نَجلِه ومعرفته بقدرته علىٰ الجواب في المسائل العلمية، يُحيل إليه مَنْ قَصده مِن أهلِ العِلم للاستفسار عن أمرٍ علميٍّ، وكذلك يسلِّمُه الأسئلة الواردة عليه ليجيب عنها بَدَلَه.

وهذا كما لا يَخفَىٰ فيه تشجيعٌ عظيمٌ يُكسِب الطالبَ ثِقةً في النفس، وتشجيعًا علىٰ الخوض في العِلم والنقاش فيه، واكتساب الفَقاهَةِ في سنٍّ مبكرةٍ؛ فأَعْظِم به والدًا وشيخًا ومربِّيًا، وما أجلَّه من نهجٍ خرَّج مثل هؤلاء الأعلام الكبار.

كذلك أكسَبَه والدُه الإمام قدس الله سره الأدبَ مع أهل العِلم وحُسنَ

التخاطبِ معهم، وخصوصًا أهل الاعتقاد منهم، فتَجِدُ صِبغةَ التوقير لأهل العلم والفضل مِنْ معالم منهجه في الكتابة والتأليف، وخصوصًا عند المناقشة والنقد، فكان هذا الأدب الأبوي مما تلَقَّاه من والده الإمام في أُولَى خطواته في التصنيف والتأليف.

قال رحمه الله في ترجمته "سبيل التوفيق" (ص٢١): «كنتُ أُطْلِع مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه على ما أكتبه، فيُصلِحُ لي ما أخطِيءُ فيه، ورأى لهجتي في ردِّ رأي بعض النحويِّين فيها شِدَّةٌ فقال: لا تَردّ على العلماء بهذا الأسلوب، ولكن قُل: هذا سهوٌ، أو سبْقُ قلمٍ، أو اشتباهٌ، أو نحوُ هذا من العبارات الخفيفة».

هكذا يتلقَّى الأكابر التربية وهكذا يُلقَّنون تعظيمَ العلماء والشيوخ في بدايتِهم، فطالبُ العِلم والمنتسِبُ لأهل العلم إذا افتقد أدبَ التلقِّي من الشيوخ وأدبَ التخاطب مع الأكابر، ولم يُوقِّر الشيوخ والفضلاء صار يزاحم السوقة في منزلتهم الدونية، ولا عاد يُرجى منه نفعٌ أبدًا، فسوء الأدب جالبٌ للحرمان والعطبِ، كما قال بعض أهل التربية والسلوك.

وفي سنة ١٣٤٩هـ رحل إلى مصر، والتحَقَ بالأزهر فحضر على جماعةٍ مِنَ الشيوخ الأعلام، الذين كان لهم صيتٌ علميٌّ كبيرٌ، كالعلامة الشيخ الإمام محمد بخيت المطيعي، مفتي الديار المصرية وشيخ علمائها، والعلامة المحقق الشيخ محمد حَسنِين مخلوف العدوي، والعلامة البارع الشيخ محمود الإمام المنصوري، والشيخ الإمام عبدالمجيد الشرقاوي، والشيخ محمد عزَّت، وغير هؤلاء رحِمهم الله جميعًا.

وأجازه ثُلةٌ مِنَ الشيوخ وفي مقدِّمتهِم مُسنِد الديار المصرية السيد أحمد رافع الطهطاوي، أجازه بما حواه ثبته "المسعَى الحميد إلى بيان وتحرير الأسانيد"، قال عنه السيد عبدالله رحمه الله: «وهو كتابٌ نفيسٌ، نبَّه فيه على أوهامٍ وقعتْ في كثيرٍ مِنَ الأثباتِ، خصوصًا "فهرس الفهارس" للشيخ عبدالحي الكتاني».

كما أجازه الشيخ محمد إمام السَّقا، والشيخ محمد السَّمالُوطي، والشيخ أبو النصر القَاوقْجِي، والشيخ محمد الخضر حسين، وجماعة غيرهم مِنَ الأئمة والأعلام.

وبعد سنةٍ واحدةٍ فقط مِنْ قدومه إلى مصر، أي في سنة ١٣٥٠هـ تقدَّمَ لامتِحانِ شهادة العالِمِيَّة الخاصة بالغرباء، والامتحان فيها يكون في اثني عشر عِلمًا: النحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، والأصول، والمنطق، والتوحيد، والفقه، والتفسير، والحديث، والمصطلح، فنجح في الامتحان ونال شهادة العالمية بتفوُّقٍ.

وللتذكير، فالسيد عبدالله رحمه الله قبل أنْ يتقدَّم لامتحان العالِمِية، كان قد حضَر على مَنْ قرأ عليهم في الأزهر في مدةٍ قصيرة لا تَبلُغ السَّنة، والتحصيل العلمي في مثل هذه المدة يكون غيرَ كافٍ لِلإحاطة بقواعِد ومسائل فنٍّ من هذه الفنون المذكورة، فكيف بجميعِ هذه الفنون الاثني عشر في هذه المدة الزمنية القصيرة؟!

هذا مع العلم أنه رحمه الله لم يكن وقتئذٍ يَصرِفُ جلَّ وقتِه قاعدًا في الأزهر، ينتظر هذا الشيخ أو ذاكَ ليجلس في حلقتِه ويأخذ عنه، بل ما كان يحضر إلا

عند الخاصة منهم، ويَصرف الوقت الباقي في مكتبة الأزهر، أو في المكتبات مطَّلِعًا على الإصدارات الجديدة، أو لزيارة العلماء في بيوتهم وشدِّ الرحلة إليهم لاستجازتِهم والسماع منهم، أو في غيرِ هذا مما يَقضي فيه الغريبُ وقتَه في بلاد الغُربة مِنَ التجوال والفُسحةِ.

بل كان بعضُ الشيوخ العلماء يحضرون لبيته للاستفسار والمذاكرة في العلوم التي لا يتقِنونها.

وهنا يظهرُ تصديقُ كرامة والده السيد الإمام رضي الله عنه، الذي قال له عندما رأى منه إلحاحه وحِرصه على الالتحاق بالأزهر: «أحبُّ أنْ تذهَبَ إلى الأزهرِ عالِمًا يحتاجُ إليكَ علماءُ مِصر». وكان الأمرُ كذلك.

أخبر عن أمثلة ذلك في ترجمته الملحقة بكتابه "بِدَع التّفاسير"، حيث قال في معرض ذِكر شيوخه: «والشيخ محمد الخضر حسين، شيخ جامع الأزهر، ورئيس جمعية الهداية الإسلامية، وكان يزورني بالبيتِ، ويسألُنِي عن أحاديث يحتاجُ إليها في مواضع يكتبُ فيها». وغير هذا من الأخبار الدالة على الاعتراف بعلمه واطلاعه الكبير.

ثم نال شهادة العالِمِية الأزهرية بتفوُّقٍ، حيث كان المتقدِّمون للامتحان ستة وثمانين ومائتين، لم ينجح منهم إلا سِتة، كان شيخُنا السيد عبدالله أحدَهم، وحصل على الشهادة وهي ممضاةٌ باسمِ الملك فاروق.

والامتحان لنيل هذه الشهادة يكون في العلوم السابقة التي نال بها شهادة الغرباء، يُضاف إليها عِلم الوضعِ، وعِلمَ العَروض والقَوافي، وعِلم الأخلاق.

وكان نجاحُه باستحقاقٍ، خاطبه على إثره رئيس لجنة الامتحان الشيخ

محمد زغلول، وقد أبهرته أجوبته وصِغر سنِّه: «مبروك يا علَّامة».

وكان أول مَنْ هنَّأه بنَيلِه هذه الشهادة، شيخه فضيلة العلَّامة المطلِّع محمد زاهد الكوثري رحمه الله، قال السيد عبدالله: «ورأىٰ المرحومُ الكوثري اسمي في جريدة الأهرام، فأسرع إلىٰ بيتي بِسُوقِ السِّلاح، وكان أولَ مَنْ هنَّأني بالنجاح».

كذلك هنّأه وكيل كلية الشريعة الشيخ محمود شلتوت وقال له وللحاضرين في بيته: «نحن نهنِّيء الأزهر والشهادة الأزهرية بحصول الشيخ عبدالله عليها».

وهذا الإطراء المنصف والثناء الجميل من الشيوخ عليه لم يكن للمجاملة والمصانعة، بل اعترافًا وإذعانًا للحقيقة التي لمسها أهل العِلم بمصر في الشيخ رحمه الله، وأنه جاء إليهم من المغرب عالمًا مبرِّزًا في العلوم.

وإليك أيها القارىٔ الكريم صورًا من هذا التبجيل الذي حظيَ به السيد عبدالله بن الصديق رحمه الله من كبار علماء العصر وقتئذٍ، يخبرنا عن ذلك في ترجمته لنفسه فيقول:

«تعرَّفتُ بالأستاذ العلامة المطَّلع البارع الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله، فتوطدت بيننا أواصر المودة والصداقة، وكان يسألني عن بعض الأحاديث التي يُسأل هو عنها، وكنَّا مرةً عند فضيلة المرحوم الشيخ يوسف الدّجوي بِعِزْبة النخلِ، وكان المجلس غاصًّا بالعلماء وغيرِهم، وهو يتكلم في مسائل علمية متنوعةٍ، فوجه إليه أحد الحاضرين سؤالًا عن حديثٍ، فوجَّه السؤالَ إليَّ، وقال: لا يُفْتىٰ ومالك في المدينة؛ واستجازني وألحَّ عليَّ أنْ أُجِيزَ له، بل بلغ

مِنْ وثوقِه بِعلمي أنه نشر مقالًا بمجلة الإسلام يُقرِّظ فيه كتابي "إقامة البرهان على نزول عيسى آخر الزمان" الذي رددت به على الشيخ محمود شلتوت قبل أن يراه؛ مع أنه كان ضنينًا جدًا بالتقريظ».

وبعد حصوله على شهادة العالمية، مرَّ بمصر في طريقه إلى الحجاز العلامة المسند السيد عبدالحي الكتاني رحمه الله، فزاره شيخنا السيد عبدالله قال: «وهنَّأنِي بالحصول على شهادة العالمية، وأبدَىٰ اعجابَه ببحوثي، وقال: نحنُ نَفخَرُ بما تكتُبه».

وقد كانت مقالاتُه على صفحات "مجلة الإسلام" تلقَىٰ صدىً واسِعًا بين الأوساطِ العلميةِ، وإقبالًا لا نظيرَ له من أهل العِلمِ وشيوخ الأزهر، وقد كانت مقالاته بطلبٍ من إدارتها، وكانت جلُّها بحوثًا حديثيةً نفيسةً، أُعْجِبَ بها من قرأها إعجابًا كبيرًا، بل طلب قراؤها من الشام والبحرين، والسودان، والمغرب والجزائر، الاستزادة منها.

أخبرني سيدي الوالد رحمه الله تعالى ورضي عنه، أنَّ الأهالي في مدينة طنجة كانوا يتطلعون إلى هذه المجلة التي كانت تصل بأعداد قليلةٍ، وكان السيد الوالد الإمام رضي الله عنه من المتَتبِّعِين لِما يكتبه نجلُه السيد عبدالله، فيَفخرُ بكتاباته، ويكتبُ له مهنِّئًا إياه على إتقانِه وحسنِ رصفِه الجواب في المسائل الحديثية والفقهية، وإن كان أحيانًا لا يوافِقه في مسائل.

وثناء شيوخ مصر وغيرهم على علمه، سبقَه مديحُ شيوخه في المغرب، فكانوا يُثنون على عِلمه وعلمِ والده الإمام، فعِندما تقدَّم لنيل الشهادة العالمية الأزهرية، علَّق شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي قَبولَ ترشيحه على الإتيان

بشهادة من معهد رسميٍّ، تُثْبِت أنَّه تابَع فيه دراستَه مِنْ عدةِ سنواتٍ، لِتكتمِلَ بها المدة القانونية التي تُخَوِّلُ للطالب حق اجتياز امتحان العالِمية، فراسَلَ الشيخُ رحمه الله في هذا الصدد شيخَ الجماعة بالقرويين بفاس، الذي تردَّد أول وهلةٍ ثم وافق لَمَّا قال له العلامة المفتي، القاضي، الشيخ العباس بناني: «أجِبْ طلَبَ سيدي عبدالله، فليس عندك أعلم منه ولا مِثله».

كان ظهوره العلمي البارز في بلاد مصر دافعًا لكثيرٍ مِنَ الطلبةِ من مختلف البلاد، من الشام والحجاز، واليمن والحبشة، والسودان، وشمال إفريقيا، وغيرها من بلاد العرب والعجم، لأنْ يَطلبُوا منه تدريسَ بعض العُلوم لهم، فدرَّس لهم "المكودي على الألفية"، وذكر رحمه الله أنه أول مَنْ درَّسه بالأزهر، ودرَّس لهم "الجوهر المكنون" في البلاغةِ، و"السلَّم" في المنطق بشرح البناني، و"سلم الوصول إلى علم الأصول" لابن أبي حجابٍ، و"جمع الجوامع"، بالرواق العباسي بين العشائين، فختمه في أربعَ سنواتٍ.

وأخبر رحمه الله أنَّ كلَّ من قرأ معه مواد الامتحان أو ذاكَرَ له مِنْ طلبة القسم العالي المصريِّين وغيرِهم نجحوا، وتولوا في بلادهم وظائف كبيرة.

مذهبه الفقهي:

كان السيِّد عبدالله رضي الله عنه مالِكيَّ المذهبِ، أوَّل نشأتِه العِلمية، وذلك لأنَّه نشأ في مجتمعٍ مالِكيٍّ، وكان والدُه الإمام سيدي محمد بن الصديق رضي الله عنه إمامًا بارعًا في الفقه المالكي، يُحيط بقواعده ومسائله الخفية والجليَّةِ، والقوانين التي قنَّنها المالكية في هذا الباب واختصَّ بها الفقهاء المغاربة دون غيرهم، وتوسَّع فِيها المتأخرون، وتخرَّج به جماعةٌ مِنْ أهل العِلم، مُدرِّسِين

وقُضاة، ذَكَر هذا غيرُ واحدٍ ممَّن تَرجم له.

فدَرَسَ السيد عبدالله علىٰ والِده رضي الله عنه في الفقه المالكي "رسالةَ ابنِ أبي زيدٍ القيرواني"، الملقَّب بمالِكٍ الصغير، بشرْحِ أبي الحَسنِ عليٍّ بن محمد المَنُوفي المصري المعروف بالشاذلي، وأيضًا "مختَصَر الشيخ خليل".

وعندما رحل إلىٰ فاس، دَرَس في جامع القرويين "مختصر خليل" علىٰ العلامة الحَسِيب السيد الحَبِيب المُهاجِي بِشرح الخَرْشي، وبِنَفس الشرح أيضًا علىٰ العلامة الشيخ محمد بن الحاج، وكذلك قرأ باب الجنايات والقصاص من "المختصر" وبنفس الشرح علىٰ العلامة المحقِّق السيد أحمد القادِري، وحضره أيضًا علىٰ إمام جامع القرويِّين العلامة السيد إدريس المراكشي، والعلامة الشيخ محمد الصنهاجي؛ وقرأ مواضع من هذا الشرح علىٰ الشيخ البركة السيد أحمد بن الجِيلانِي الأمْغَاري؛ وحضره بشرح العلامة الدَّردِير مِنْ باب الإجارة إلىٰ الآخر علىٰ العلامة القاضي الشيخ عبدالرحمن القُرشِي؛ ومواضعَ منه بِشرْحِ الشيخ عبدالباقي الزُّرقاني علىٰ شيخ الجماعة العلامة الأصولي المحقِّق السيد عبدالله الفضيلي؛ وقرأ فرائض "المختَصَر" بشرح الخَرْشِي وحاشية شيخ الجماعة السيد أحمد بن الخياط علىٰ العلامة الشيخ أبِي الشتاء الصِّنهاجي؛ وقرأ قِسم التوحيد من منظومة ابن عاشر، علىٰ العلامة المحقق القاضي العبّاس بن أبِي بكر بنَّانِي.

فكانت دراسته الفقهية في هذه المرحلة مقتصرةً علىٰ فِقه المالكيةِ، لكون مذهب مالك هو مذهب أهل المغرب، ولكونِه هو الفقه المدرَّس في القرويِّين لا يدَرَّس فقهُ مذهبٍ آخر غيره؛ فأتقَنه رحمه الله وأحاطَ بهِ، بِشهادة شيوخه

الذين درَّسوه.

وعندما رجع مِن فاس إلى مسقِط رأسه، شرع في تدريس الفقه المالكي لِبعضِ نجباء طلبة العلم وإخوانه في الزاوية الصديقية، فدرَّس لهم "رسالة ابنِ أبي زيدٍ القيرواني" بشرح أبي الحسن.

وبهذا يتَجلَّى مدَى تعمُّقه في الفقه المالِكي، بدأ بتدريسه وهو لا زال شابًا لم يَبلغْ عقْدَه الثاني، يقرِّر ويستذكر ما رسخ في ذهنه مما تلقاه عن شيوخه رحمهم الله جميعًا.

غيرَ أنه رحمه الله تعالى لم يكن في تصنيفِه الفِقهي وفي فتاويه مقلِّدًا فِيما يَذهبُ إليه ويُرجِّحه، أو مجرَّد مستظهرٍ للنصوص ساردٍ لِلمتُون يُسوِّد بِذِكرِها الأوراق، ويأخذ منها لِتأييدِ المسألة التي يُؤلِّف فِيها أو فَتاويه، كأن يقول: قال فلان، وحكى فلانٌ، وهذا ما ذهب إليه فلان..كما هو الحال في تآليف جلِّ الفقهاء المالكية قديمًا، أو مَنْ نحا منحاهم في عصرِه، بل يقِف على أدلة المسائل الفقهية، وأصولها، ويناقش الآراء، ويَردُّ ويُصوِّب، ويُعمِل القواعدَ الأصولية.

وقد عاب هو نفسُه رحمه الله تعالى على أهلِ هذا المنهج في بعضِ المواضع مِنْ كِتاباتِه، منها ما سطَّره في ما قدَّمَ به لِكتاب شقِيقِه الأصغر، العلامة المحدِّث، سيدي الوالد، السيد عبدالعزيز بن الصدِّيق رحمه الله، الذي شرَح فيه "متن العشماوية"، والمسمَّى: "إتحافُ ذوِي الهِمَمِ العالية بِشرْحِ العَشماوية" قال رحمه الله منتقِدًا مسلَكَ المالكية في تناولهم لمصنفاتهم ومتونهم الفقهية بالشرح:

«لكن مع ذلك لم نجِدْ واحِدًا مِنهم اتَّجه إلَى تدليل أحكامه، وتعليلِ مسائله، بل ساروا على نهجهم الذي انفردوا به دون سائر المذاهب مِنْ ذِكر

الأحكام مجرَّدة عن دليلها، والاقتصار على استظهار ابنِ رشدٍ، وترجيحِ ابن يونس، وتَشهيرِ ابنِ أبِي زَمَنين، فإنْ ذَكر أحدُهُم في مسألةٍ قولَ ابنِ القاسمِ، أو تَرقَّى إلى نقْلِ قولِ الإمام، رأى أنه أتَى بما لم يأتِ به غيرُه مِنَ الأنام!! وهذا - كما ترى- لا يكفي في ميدان الحِجاج والاستدلال، لأنَّ الإمامَ وإنْ كان عالِمَ الحِجاز وشيخ السُّنة بدون منازعٍ لا تكون أقواله واجتهاداتُه حُجَّةً إلَّا إذا عُرِف دليلُها، وصحَّ في النظر تعليلُها، والإمام نفسُه رضي الله عنه كان يقول وهو يشير إلى الحُجرة الشريفة : كلُّ كلامٍ يؤخذُ منه ويُردُّ إلا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم ».

ثم قال مادحًا شرْحَ السيد الوالدِ: «وهذا الشرح الذي نقدِّمه اليوم وافٍ بهذا المقصد، زعيمٌ بتحقيقه، كتبه شقيقنا الأصغر العلامة السيد عبدالعزيز بن الصديق.. وهو ثاني كتابٍ في هذا الباب بعد كتاب "مسالك الدلالة في شرح متن الرسالة" لِشقِيقِنا الأكبر الحافظ أبِي الفَيض، ولعَلَّنا نكون نحن آل الصدِّيق خدَمْنا مذهبَ الإمام مالكٍ خدمةً لا تجد لها نظيرًا إلا في كتب المتقدمين، كابن عبدالبرِّ، والباجي، وابنِ رشدٍ، والقاضي عبدالوهاب. ولعلَّ في عملِنا هذا ما يُحفِّزُ مالكيةَ العصر إلى نفْضِ غُبار التقليدِ البحْتِ عن آذانِهم، والمشيِ في رَكبِ العلماءِ أهلِ الاستدلالِ والاحتجاج».

غير أنَّه رحمه الله تعالى لَمَّا رحل إلى مصر، أوصاه والدُه الإمام أنْ يَقرأ فِقهَ الإمام الشافعي رضي الله عنه، فقرأ شرح الخطيب لِمتن أبِي شُجاع، على الشيخ عبدالمجيد الشرقاوي، وكان يُتقِن فقه الشافعية إتقانًا ما عليه مزيدٌ، كما وصفه بذلك السيد عبدالله رحمه الله.

وقرأ الربع الأول من "المنهاج" بشرح الشيخ زكريا الأنصاري، و"حاشية البجيرمي" على الشيخ محمد عِزَّت، قال عنه رحمه الله: «وهو متينٌ في الفِقه الشافعي جدًّا».

وحضر دروسًا مِنْ شرْحِ "الهداية" في الفقه الحنَفِي على مفتي الديار المصرية وشيخ علمائها الشيخ محمد بَخِيت المُطِيعِي الحنَفِي.

وفي هذه الموسوعة التي بين يديك، يوجد مِنَ الأجزاء الفقهية التي صنَّفها رحمه الله، ما يَبرُزُ فيها بوضوحٍ منهجه في التأليف الفقهي، وفي تحريره للفتاوى، نائِيًا فيه تمامًا عن التقليد والتعصُّبِ لِلأقوال بِدون أدلَّتِها الأصلية.

أما في الحديث الشريف، فله فيه باعٌ عميقٌ، والفضلُ في وصوله لهذا الباع يعود لشيخه وشقيقه الحافظ السيد أحمد بن الصديق، وذلك أنه رأى منه ميلًا كبيرًا للعلوم العقلية، ذكر ذلك حين ترجم له في "سبحة العقيق" فقال في (ل:٣٨٣) منه:

«وكان ميّالًا بطبعِه إلى المعقولاتِ غير ملتفتٍ إلى الحديث وفنونه، وكنتُ أدعوه إلى الاشتغال به المدَّة بعد الأخرى، وأقول له: إنَّ النحوَ وغيره من الآلاتُ لم تُقْصد لذاتِها، وإنما وُضعت للتوصل بها إلى المقصود الأهم وهو علم الكتاب والسنة؛ ثم المشتغلون بها في الدنيا لا يحصون بل لا يوجد غالبًا إلا من يشتغل بهذه العلوم، وأما السنة النبوية فعلماؤها أقل من القليل.. إلى أن سافر معي إلى القاهرة ولازمني تلك المدة الطويلة، فكانت سببَ إقبالِه على الحديث وصرْفِ وجهتِه إليه.. وصار يكتب فيه المقالات المتعددة في "مجلة الإسلام" وغيرها، وتدرَّب بكتبي وأجوبتي وملازمتي في معرفة رجال الحديث

وصناعته، مع ذكائه وسرعة إدراكه...» إلخ.

أصبح مقصد أهل العلم في معرفة الحديث وفنونه لخبرتِه التامة بها، فألَّف رحمه الله في فنون حديثية مهمة، فصنَّف في التخريج، وفي الأحاديث الشاذة، وفي التصحيح والتضعيف، وصحَّح اصطلاحَ بعض أهل الاصطلاح في معنى علم الحديث رواية ودرايةً، إلى غير هذا.

كما له مقالات حديثية كثيرة، مهمة ونفيسة أغلبها نُشر على صفحات "مجلة الإسلام"، كما ساهَم مساهمة علمية في التحقيق والتعليق على بعض المصنفات الحديثية: ككتاب "أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم" لأبي الشيخ، وكتاب "إعجاز القرآن" للخطابي، و"المقاصد الحسنة" للحافظ السخاوي، و"تنزيه الشريعة المرفوعة" لابن عراق، و"شرح الأمير على مختصر خليل" في فقه المالكية، وغير هذا من التحقيقات العلمية.

ولا ننْسَى أيضًا تحقيقه للجزء السابع من "التمهيد" لابن عبدالبرِّ رحمه الله، تحقيقًا علميًا قدم به خدمة جليلة تليق بمقام الإمام مالك رحمه الله.

وقد طُبِعت هذه التحقيقات مختصرة، مع الأسف، وضيَّعت الجهة الناشرة على القراء فوائد جمَّة.

ثم وقف رحمه الله على أخطاء علمية كثيرة، في الأجزاء الثلاثة الأولى المطبوعة، فاستدرك تصويبها في جزء مستقلٍ هو "تنبيه الباحث المستفيد إلى ما في الأجزاء المطبوعة من التمهيد"، مع مقدمة جليلة.

وله منهج في التحقيق والتعليق على الكتب يختلف عن تحقيقات المعاصرين، فهو لا يزيد على ضبط النصِّ وبيان موضع التصحيف، مع ذِكره

للتصويب، وإذا احتاج شيّء للبيان والتوضيح، فإنه يقف موجِزًا الكلام في ذلك إكمالًا للفائدة العلمية، وحتىٰ لا يقع القارئ في التشويش خصوصًا إذا كان التعليق أو التحقيق طويلًا، يأخذ الصفحة والصفحتين والثلاث، كما يفعل الكثيرون ممن يشتغل في هذا المجال.

ولا ننسىٰ ما قام به رحمه الله تعالىٰ من عنايةٍ علميةٍ جليلة للفقه الزيدي، إذ قام بالإشراف علىٰ إخراج كتابٍ مهمٍّ في الفقه الزيدي، وهو كتاب "البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار" للإمام أحمد بن يحيىٰ بن المرتضىٰ المتوفىٰ سنة ٨٤٠ ومعه كتاب "جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لُجَّة البحر الزخار" للعلامة محمد بن يحيىٰ بَهْران الصَّعدي المتوفىٰ سنة ٩٥٧ فقدَّم لهذا الكتاب النفيس بمعية أحدهم بمقدمة جامعةٍ في بابها.

كانت حياة العلامة السيد عبدالله بن الصديق رحمه الله شُعلة نشاطٍ، لا همَّ له في هذه الدنيا إلا الكتابة والقراءة، والتحقيق، بل جعل مورد عيشه ما يأخذه من أجرٍ زهيدٍ علىٰ تحقيقاته وتعليقاته للكتب، ولا زلتُ أحتفظ بمذكرته الخاصة التي كان يسجل فيها ما يأخذه من أجرٍ زهيدٍ يستعين به علىٰ لأواء العيش في الغربة، ويتقوىٰ به علىٰ الحاجة والخصاصة.

وكان المنزل الذي يقيم فيه لا تهدأ الحركة منه أبدًا، حدثني عمِّي العلامة الأصولي السيد عبدالحي وكذلك سيدي الوالد رحمهما الله، أن محلَّ إقامتهم في القاهرة كان معروفًا لأهل الأزهر طلبة وشيوخًا، فالطلبة كانوا يأتون عند السيد عبدالله ليقرأ لهم، أو يستفسرونه في أمور العلم، وكذلك الشيوخ والعلماء كانوا يفِدون في ساعةٍ خاصة بعد صلاة العشاء للسمر العلمي،

والاستفادة وتثوير العِلم منه ويستمر هذا السمر أحيانًا إلىٰ قُبيل الفجر.

هذا ويشهد للسيد عبدالله مشاركات في جمعيات مختلفة، يلقي لهم محاضرات ودروس علمية، ويستشيرونه في قضايا علمية وفقهية.

فقد كان الشيخ حسن البنا رحمه الله مؤسس حركة الإخوان المسلمين يفِد عليه للاستفادة، وقَبله والده الشيخ أحمد البنا الذي استعان بالسيد عبدالله رحمه الله في الترتيب الذي وضعه لـ"مسنَدِ الإمام أحمد بن حنبل".

عمومًا عرفت هذه الفترة من عمر السيد عبدالله رحمه الله في مصر ازدهارًا علميًا وفكريًا كبيرًا، بلغ صيته لبلدان بعيدةٍ، وأصبح مقصدًا للعلم في مصر، وأمسىٰ بيتُه مع حاجتِهِ مأوىً للطلبة يستفيدون من كرمه ومن علمه، كما فعل بعض المغاربة عندما قصدوا مصر للقراءة.

لكن شاءت الأقدار الإلهية أنْ يكون ظلمُ وطغيان الحاكم جمال عبدالناصر، حاجزًا عن استمرار هذا النشاط العلمي أو حادًّا لقوته، حيث سُجن ظلمًا وافتروا عليه كما افتروا علىٰ الدعاةِ الكثيرين الذين زُجَّ بهم في السجون الناصرية، فقضوا رحمهم الله تعالىٰ شهداء مغيبين في ظلماتها.

غير أن قدر شيخنا رحمه الله تعالىٰ كان أخف، إذ حكم عليه قاضٍ قبطيٌّ بالإعدام شنقًا لتهمةٍ باطلةٍ ملفَّقةٍ فكانت الألطاف الإلهية مُدركةً له حيث لم ينفذ حكمِ الإعدام، بل تحقق ما نطق به شيخنا السيد عبدالله رحمه الله من كلام وجَّهه للقاضي في محكمته الجائرة الغاشمة: «أنا لن أموت، بل أنت الذي ستموت»، وفعلًا بعد أشهر أربعة أو ستة انتحر ذلك القاضي الظالم بأن ألقىٰ نفسه من الطابق الرابع من العمارة التي كان يسكنها!!

وهذا أيضًا تصديق لكرامة وفراسة والده الإمام القطب رضي الله عنه، حيثُ شكَت إليه زوجته على مائدة الطعام علَّة ولدها السيد عبدالله، وكان كثير العلل في صباه، فتطلع إليه وقال لها: «لا تخافي سيكون بخير وسيكون له شأنٌ، وستَقع له مِحنة سينجو منها بفضل الله»وكأنه يطمئنها، فتحققت فراسته رضي الله عنها، ولعل السيد عبدالله رحمه الله كان ذاكرها يوم واجه بها القاضي، لأنه كان مؤمنًا بصدق كرامة والده وولايته رضي الله عنه.

وبقي في السجن سنين طويلة نافت على إحدى عشر سنةً، حتى جاءه الفرجُ بعد وفاة الطاغية جمال، بشفاعة ملك المغرب جلالة الحسن الثاني رحمه الله، وهذه مِنْ أعظم مكرماته على العلم والعلماء، ونسألُ اللهَ تعالى أن يجعل هذه المكرمة العظيمة من جلائل الأعمال التي يلقى بها وجه الله تعالى، ومن نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربةً مِنْ كُربِ الآخرة، كما أخبر بذلك مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد الإفراج عنه عاد إلى مسقط رأسه بعد أن غاب عنه مدة تزيد على الأربعين سنة، فاستقبلته طنجة استقبالًا عظيمًا وهبَّ الأهالي للقائه والتبرك به وتقبيل يده، لكثرة ما سمعوا عنه، وغصت الزاوية الصديقية بالحضور من كل المدن والقرى للترحيب بعودته الميمونة.

فاستقر بالزاوية واستأنف نشاط التدرَيس فدرس للطلبة "نيل الأوطار" و"تفسير النسفي" و"سنن الترمذي" وغيرها من الكتب والمصنفات، ورحل للحج والعمرة، ورحل لبلدانٍ كثيرة بطلبٍ من أهالي العلم فيها.

وبقي على حاله هذا حتى سقط مريضًا، ودخل في غيبوبة لزمته شهرًا،

ليلاقي وجه ربه الكريم عصر يوم الخميس ١٩ شعبان ١٤١٣هـ بإحدىٰ مصحات طنجة، وصُلِّي عليه ظهر الجمعة ٢٠ شعبان، وقد أَمَّ الصلاة عليه شقيقه الأصغر والدي السيد عبدالعزيز وكبَّر عليه سبعًا في المسجد الأعظم لينقل جثمانه الطاهر لجوار والديه رضي الله عنهم جميعًا، في موكبٍ مهيبٍ خاشع، ذرفت فيه العيون، وعمته الكآبة والحزن والأسىٰ، لفراق هذا العلم الشامخ، والطود الكبير في العلم والمعرفة والزهد، فجزاه الله عما بذله في خدمة الدين والمسلمين خير الجزاء.

وهذا غيضٌ من فيضٍ في أخبار شيخنا ومولانا السيد عبدالله بن الصديق، ومناقبه وعلمه. أسأل الله تعالىٰ أن ينفعنا بها علمنا، آمين.

ولتكن هذه الطبعة هي الوحيدة الشرعية بعدما أغار البعض علىٰ مصنفات عمنا العلامة المحقق السيد عبدالله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله، فقاموا بالتصرف في النص حينًا، أو علَّقوا علىٰ الكتاب تعليقات لا توافق الكتاب حينًا أخرىٰ، أو طبعوا طبعات متدنية تفتقر إلىٰ التصحيح والترقيم، فيخرج الكتاب في صورة مشوهة، فارتأينا أنَّ هذا الجمع في صعيدٍ واحدٍ له مزايا مُتعدِّدة، والله مِن وراء القصد.

وكتبه الراجي عفو ربه:

عبدالمنعم بن عبدالعزيز بن الصِّدِّيق

استهلالٌ بقلم فضيلة الشَّيخ
مُحمَّد فؤاد بن كمَالِ الدِّين الشافعي

الحمدُ لله ربِّ العَالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ سيدِّنا محمَّدٍ وعلىٰ آله، والَّلهم ارضَ عن سادتِنا الصَّحابةِ والتَّابعين لهم بإحسانٍ. وبعدُ:

فإنَّ اللهَ تَعالىٰ قد قال في كتابِهِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]. والعلماءُ مراتبٌ ودرجاتٌ، ومن أجلِّهم في عصرِنا العَلَّامة الكَبير السَّيد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماري الحَسَني الأزهري المولود سنة ١٣٢٨ والمتوفَّىٰ سنة ١٤٢٣ رحمه الله رحمة واسعة. وهو من الأشراف الصِّدِّيقيين بالمغربِ الذين عُرِفوا بالعِلْمِ والانتصار للتَّصوُّفِ، وانتَشرتْ مُصنَّفَاتهم شرقًا وغربًا، واستفادَ أهلُ العلمِ منها .

وجمعُ مصنَّفات السَّيد العلَّامة عبدالله بن الصِّدِّيق الحسني رحمه الله تعالىٰ غايةٌ في الحُسنِ، فَتُفْرَدُ في مكانٍ واحدٍ بعد أنْ تُصَحَّحَ تصحيحًا جيِّدًا، فإنَّ بعضَ النَّاس تهافتوا عليها وطبعوها طبعاتٍ غير لائقةٍ.

فبينَ يدي أهل العَلمِ والبَاحثين «موسوعة» الإمام المُفَسِّرِ الفَقيه الحَافظ السَّيد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ الحَسَنيِّ رحمه الله تعالىٰ، وهي «موسوعةٌ» علميةٌ لأنَّها تجوَّلت في شتَّىٰ الفنونِ ما بين القرآن الكَريمِ وعلومه، والحديث الشَّريف روايةً ودرايةً، والفقه وأصوله، والعَقَائد الإسلامية، والتَّصوف السُّني البَعيد عما يشوبه من مخالفاتٍ، والنَّحو، والمَنْطق، ومتنوِّعات من المقالاتِ والفتاوىٰ والمُبَاحثات العلميَّة.

وتتميَّـزُ هذه «الموسوعة» بمميِّزاتٍ كثيرة منها: قوة التَّقعيد العلميِّ، وتوفر

مادَّتها بدون إسهابٍ أو خروج عن المقصود، وتفاعلها مع عصرها، لذلك تجد فيها مناقشات كثيرة، مع المُتَشَدِّدين من التَّكفيرين الَّذين ابْتُلِيت بهم الأمَّة الإسلامية أخيرًا، وقد تعقَّبهم إمامُنا، وبيَّن أخطاءهم، وصحَّة أعمال أهل السُّنَّة والجَماعة .

وفي "الموسوعة" مطارحاتٌ ومساجلاتٌ علميةٌ لا يقومُ بها إلا أعيان العلماء المُتَضَلِّعين من علوم الشَّريعة الإسلامية وآلاتها.

وصاحبُ «الموسوعة» قويُّ العَرْضِ، واضحُ الحُجَّةِ، سهلُ الأخذِ، متفنِّنٌ مُحقِّقٌ في عِدَّةِ فُنونٍ، فهو ينقلُك من جنَّةٍ إلىٰ أخرىٰ، ومن بحثٍ إلىٰ تحقيقٍ، ومن فنٍّ إلىٰ آخر، عاشَ للعلمِ وخَدَمَهُ سبعينَ سنةً مُتعلِّمًا ومُعلِّمًا ومُصنِّفًا.

وقد كان للعلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق رحمه الله تعالىٰ صلات وثيقة بعلمائنا وطلبة العلم من الشرق (إندونيسيا، ماليزيا، بلاد الفاطان) فكثير منهم درسوا عليه بالأزهر الشريف، وقد استجازه مسند العصر شيخ مشايخنا العلامة محمد يا سين بن محمد عيسىٰ الفاداني المكي رحمه الله، فأجازه السيِّد عبدالله، وطبع العلامة الفاداني هذه الإجازة ضمن كتابه "الروض النضير" المطبوع. وفي سنة ١٤٠١ حجَّ واعتمر السيِّد عبدالله وشقيقه المحدِّث الصوفي السيِّد عبدالعزيز، ونَزَلا في مدرسة دار العلوم الدِّينية بمكَّة المكرَّمة، وكان مديرها العلامة الفاداني، وعُقدت مجالس عِلميَّة وأقيمت مجالس الذِّكر والتذكير، ويمكن أن يقال: إنه ما من عالمٍ أو طالب علمٍ إلَّا استجاز في المسلسلات من العالِـمَين الجليلين، ثُمَّ حَجَّ ثانية سنة ١٤٠٤ وتكرَّر النزول والاحتفال، وفي سنة ١٤٠٩، قرأ الطلبة "سنن أبي داود" علىٰ العلامة الفاداني،

وعمل العلامة محمد ياسين الفاداني مجلسًا كبيرًا في الختم حضره جمعٌ كبيرٌ في مقدِّمتهم العلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريُّ، ومعه كثيرون من العلماء في مقدِّمتهم: العلامة الشيخ زكريا بن عبدالله بيلا، والشيخ العلامة عبدالفتَّاح أبو غدَّة، والمفتي العلامة النفَّاعة إسماعيل عثمان زين، ومفيد الطالبين الشيخ مختار فلمبان، والمسند الحبيب حامد بن علوي الكاف، والفرضي الشيخ عبدالفتاح راوة، والشيخ عبدالسبحان البرماوي، والسيِّد العلامة حسن بن علي السقَّاف، والسيِّد العلامة إبراهيم آل خليفة الإحسائي وغيرهم، وكان القاريء الدكتور أيمن سويد، والقاريء يحيىٰ غوثاني قرَّاء هذا المجلس المشهور، رحم الله من سبق، وبارك فيمن بقي.

وما من طالب علمٍ من بلادنا وسائر الشرق كان في مكة المكرَّمة في هذا العام إلَّا وحضر بعض هذه المجالس، وتشرَّف بالإجازة أو القراءة، أو سماع بعض المسلسلات.

هذا وقد رأت مؤسَّسة الصَّفا أنَّ العنايةَ بهذه «الموسوعة» وتقديمها للأمَّة الإسلامية في هذه الأوقات التي تمرُّ بها من سُبلِ نشر العلم، والرأي السديد البَعيد عن الشذوذ والتَّشدد، ونحن نميل إلىٰ مذهبنا الشافعي، وما خالف المذهب نقدِّره فهو اجتهاد له قيمته، ونظل علىٰ مذهبنا الشافعي.

فهذه «الموسوعة» جديرةٌ بالطبعِ والاقتناءِ والتَّداولِ وأتوقَّع ألا تخلو منها مكتبة إسلامية عامَّة أو خاصَّة، فرَحِمَ الله عالمنا السَّيد العلَّامة عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريَّ الحسنيَّ وجزاه الله كلَّ خيرٍ.

محمد فؤاد بن كمال الدِّين

مؤسسة الصَّفا – نجري سمبيلان – ماليزيا

مقدمة مشرف العمل

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ سيِّدِنا ومولانا محمَّدٍ وعلىٰ آله الأكرَمِينَ الطَّاهرينَ، ورضي الله عن أصحابه والتابعين وبعد:

فهذا مشروعٌ تاقَتْ نفْسِي له، وتطلَّعتُ إليه وعزَمتُ عليه، ودعوتُ اللهَ تعالىٰ أن يُيسِّرَه، فكانتِ الإجابةُ وحصلَ المقصودُ، فالحمدُ لله الذي بنعمَتِه تَتِمُّ الصَّالحاتُ.

بينَ يديِ القارئِ الكريمِ «**موسوعة**» شيْخِنا وشيخِ مشايخِنا العلَّامةِ المُحقِّقِ المعقُوليِّ المنقُوليِّ المُتفنِّن سيِّدي الشَّريفِ أبي الفضْل عبدِالله بن محمَّدِ بنِ الصِّدِّيق الغُماريِّ الحسنيِّ رحمهُ الله تعالىٰ، ورضِي عنه، وما كانَ لهذا العملِ أنْ يخرجَ إلَّا بالتعاون مع عددٍ من الأفاضل ينبغي أن نخصَّهُم بالشُّكرِ.

يتقدَّمُهم سيِّدي الشَّريف الدكتور عبدُالمنعم ابن شيخِنا العلَّامةِ المُحدِّثِ الصوفيِّ السيِّد عبدِالعزيز بن الصِّدِّيق الغُماريِّ، وشقيقُه الشَّريفُ الأجلّ الصَّادِعُ بالحقِّ الغيورُ سيِّدي عبدُالمغيثِ بنُ عبدِالعزيزِ بنِ الصِّدِّيق.

ثُمَّ المؤزارةُ والمعاونةُ منْ مُسنِد الشَّرقِ الداعيةِ الإسلاميِّ الأستاذِ الشيخِ محمَّد فؤاد بنِ كمالِ الدِّين الشَّافعيِّ من ولايةِ نجري سمبيلانَ بماليزيا، القائمِ علىٰ مؤسَّسة الصَّفا بكليَّاتها ومعاهدِها الشَّرعيةِ بأجنحَتِها العالميَّةِ، والتي تُعتبرُ ركنًا مِنْ أركانِ الدعوةِ الإسلاميَةِ ليسَ في ماليزيا فقطْ بل في الشَّرقِ كلِّه.

وكذا كلّ مَنْ ساعدَ في الصفِّ والتنْضِيد والمراجعةِ والمقابلةِ، وفَّق الله الجميعَ لكلِّ خيرٍ.

وهذه فوائدُ بينَ يدَي العملِ استَحْسَنْتُ إثباتَها، وبالله تعالىٰ التَّوفيقُ.

الفائدة الأولى

صاحبُ هذه الأعمالِ هو العلَّامةُ المُتفنِّنُ الجامعُ بينَ المعقولِ والمنقول الشَّريفُ سيِّدي عبدُالله بنُ محمَّدِ بنِ الصِّدِّيقِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِالمؤمنِ المؤمنيُّ الغُماريُّ الحسنيُّ الإدريسيُّ رحمه الله ورضي عنه.

سَلْ عَنْهُ وانْطِقْ بِهِ وانْظُرْ إليـهِ تَجِدْ مِـلءَ المَسَـامِعِ والأَفْـواهِ والمُقَـلِ

و«المؤمنيُّ» نسبةٌ إلى العلَّامةِ الوليِّ الفردِ الشَّريف سيِّدي أحمدَ بنِ عبدِالمؤمنِ الغُماريِّ الحسنيِّ توفِّي سنة (١٢٦٢) كان منْ أفرادِ عَصْرِه في العِلمِ والمعرفةِ، علَّامةً في القراءاتِ، وكان وِرْدُه منَ القرآنِ ختمةً، أفردَه حفيدُه الحافظُ السيِّدُ أحمدُ بنُ الصِّديقِ في "المؤْذِنُ بأخبارِ الشيخِ سيدي أحمدِ بنِ عبدالمؤْمِن "، وانظر "سُبْحةُ العَقيق" (ص١٢-٢٥)، و"التصوُّرُ والتَّصدِيق" (ص ١٠-١٥).

وابنُه سيِّدي الصِّدِّيق وُلد سنة (١٢٤٦)، وكان قائمًا على الزَّاويةِ صُوفيًّا ذا كراماتٍ، وذا جاهٍ عظيمٍ بينَ القبائلِ الغُماريَّة، تُوفِّي سنة (١٣٣١).

أمَّا والدُه فهو العارفُ بالله فردُ وقتِه القابضُ على دينِه الإمامُ سيِّدي محمَّدُ ابنُ الصِّدِّيقِ وُلد سنةَ (١٢٩٥) جَدَّدَ اللهُ به وبأبنائِه العلم، وتُوفِّي سنة (١٣٥٤) رضي الله عنه، كانَ علَّامةً مُحقِّقًا وصاحبَ مقاماتٍ وأذواقٍ ومعارفَ وكراماتٍ.

ووالدتُه القانتةُ الذاكرةُ التاليةُ فاطمةُ الزَّهراءُ توفيتْ شهيدةً بجَمْعٍ سنةَ (١٣٤١)، وهي ابنةُ الوليِّ الصَّالحِ الذاكرِ مفيدِ الطَّالبينَ سيِّدي عبدِالحفيظ بنِ العارفِ بالله سيِّدي أحمدَ منْ علماءِ القَرَوِيِّينَ ذي التَّصانيفِ (ت١٢٧٥) ابنِ الإمامِ العارفِ الكبيرِ والمصنِّفِ الشَّهيرِ برَكةِ المغربِ مُقَدَّمِ أهلِ الشَّريعَةِ

والحقيقةِ سيِّدي أحمدَ بنِ عَجِيبةَ الحسنيِّ (ت ١٢٢٤) صاحبِ المصنَّفاتِ العديدةِ "التفسير" و" شرحُ الحِكَم" وغيرهما منَ المصنَّفاتِ التي سارتْ بها الرُّكبانُ وتربَّى عليها أهلُ العِرفان.

في هذا البيتِ وُلدَ العلَّامةُ السيِّدُ عبدُالله بنُ الصِّدِّيق في سَلْخِ جُمادىٰ الآخرةِ سنةَ (١٣٢٨)، وهوالابنُ الثاني مِنَ الذكورِ لوالدِه، والذُّكور ثمانيةٌ كان منهُم سبعةٌ منَ العلماءِ، كُلّ فردٍ منهم آيةٌ في نفسِه، وفردٌ في علمِه وحالِه وتقدُّمِه.

فشقيقُه الأكبرُ هو: المجدِّدُ الإمامُ الحافظُ سيِّدي أحمدُ بنُ الصِّدِّيقِ الغُماريُّ، والثالثُ: سيِّدي العلَّامةُ محمَّدُ الزَّمزميُّ (ت ١٤٠٨)، والرابعُ: سيِّدي العلَّامةُ الفقيهُ الأصوليُّ عبدُالحيِّ (ت ١٤١٥)، والخامسُ: سيِّدي العلَّامةُ المُحدِّثُ المفيدُ الصوفيُّ عبدُالعزيز (ت ١٤١٨)، ثُمَّ العلَّامةُ سيِّدي الفقيهُ المفتي الأديبُ الحسنُ (ت١٤٣١)، ثُمَّ السابعُ أصغرُهم سيِّدي العلَّامةُ صدرُ المُحدِّثينَ بالمغربِ بعد إخوانِه الأستاذُ الدكتور إبراهيمُ (ت١٤٢٤).

تجمعُهم أمورٌ كثيرةٌ، لكنْ لكلٍّ منْهم توجُّهُه، واهتمامَاتُه، بحيثُ لا يعدُّ صورةً مكرَّرةً لأحدٍ منْ إخوانِه أو مشايخِه، وتحتاجُ لوقتٍ طويلٍ لاستيعابِ فكرِه وأعمالِه وتميُّزِه .

وكان لهم نشاطٌ عِلميٌّ كبيرٌ امتدَّ إلىٰ جميعِ المراكزِ العلميَّة في العالمِ الإسلاميِّ، وجاءتْ لهم الصَّدارةُ العلميَّةُ بدونَ سعيٍ أو طلبٍ أو مناصبَ، وتركوا أثرًا كبيرًا علىٰ الحياةِ العِلميَّة؛ لأنَّهم كانوا منْ أهلِ الإقبالِ علىٰ الله تعالىٰ والإخلاصِ لدينِه، وكانوا مجدِّدِينَ، سعَوْا إلىٰ الاجتهادِ الذي يُجدِّدُ حياةَ الأُمَّة،

ولم يكونوا نُسخةً منْ أهلِ العلمِ الذين سبقُوهم؛ يُقرِّرُونَ ما في المتنِ وينقلُون وجوهَ المذهبِ ويُعيِّنُون المعتمَدَ، بل كانَ لهم معَ العلمِ شأنٌ آخَرُ، فانظرْ أيَّ مُصنَّفٍ لهم تجدْ فيه الجديدَ، والرأيَ والرأيَ الآخَرَ، والنَّقدَ والاستدلالَ، والاختلافَ وأسبابَه، والاختيارَ والتَّرجيحَ، والجُرْأةَ وعدمَ تهيُّبِ الغَيْرِ، وكلّ ذلك معَ الدَّعوةِ إلىٰ الشَّريعةِ والاستمساكِ بها، وعدمِ الرُّكُونِ للظالمينَ أو الأخْذِ بأسبابِ الميْلِ لهم، بل الابتعادِ والاستقلال والاكتفاءِ بما أغناهم الله مِنْ فضْلِه، وتركِ النظرِ لحطامِ الدُّنيا أو المغالبةِ عليها، شملَهُم الله جميعًا برحمتِه ومغْفرتِه.

الفائدة الثانية

تلقَّىٰ سيِّدي العلَّامةُ عبدُالله الصِّديق العِلمَ في الزاويةِ الصِّدِّيقيَّة بطنْجَةَ، ثُمَّ رَحَلَ إلىٰ فاس فكَرَعَ وتَضَلَّعَ وفاقَ الأقْرانَ، ثُمَّ رَحَلَ إلىٰ القاهرةَ فالتحقَ بالأزهرِ، وهوَ عالِمٌ من علماءِ القَرَوِيِّينَ، فكان تحصيلُه بالأزهرِ تحصيلَ زيادةِ إتْقانٍ، وإضافةَ معارفَ، فضمَّ لمعرفتِه بالفقهِ المالكيِّ دراستَه لنفسِ المذهبِ وللفقهِ الشَّافعيِّ علىٰ علماءِ الأزهر، وحصلَ علىٰ عالميةِ الغُرباء مِنَ الأزهر، ثُمَّ حصلَ علىٰ الشَّهادةِ العالمية، واشتغلَ بتدريسِ علومِ الآلةِ والمعقولاتِ في الكتبِ الكبارِ حِسْبةً لله تعالىٰ، وكانتْ له عَلاقاتٌ جيِّدةٌ مع الجمعياتِ الإسلاميَّة، وكَتَبَ مقالاتٍ، وألقىٰ محاضراتٍ، وحضر ندواتٍ، وتصدَّرَ للإفتاءِ في حياةِ كبارِ شيوخِه وأقرانِهم منْ علماءِ الأزهرِ وهو دونَ الثلاثين.

ويُعجبُني قولُ الدكتور فاروق حمادة في مقدِّمة كتابه عن السيِّدِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيق (ص٥): « لقد تقلَّبَ في أرجاءِ المغربِ طالبًا ثُمَّ ارتحلَ إلىٰ مصرَ، فرسَخَ حتَّىٰ صار حَبْرًا شامخًا، ومثابةً للعلماءِ وطلابِ العلمِ، ومنارًا للحديثِ

والسُّنة عاليًا، ثُمَّ انقلبَ إلى المغربِ إمامًا ناصحًا، مُعلِّمًا هاديًا ومرْجعًا مكينًا، تطيرُ أفكارُه في الأرجاءِ كلَّ مَطارٍ، وتتسابقُ إليه العلماءُ في الأنحاءِ والأقطارِ، فكانت حياته المديدة -أعلى الله مقامه- مَعْلَمًا مِن معالمِ الدِّين وسِجِلًّا حافلًا سَجَّلَ فيه ما تعرضَتْ له الشريعةُ الإسلاميةُ من مواقفِ المؤيِّدينَ، وشبُهاتِ المعارضِينَ والمُتسَلِّلينَ والمُعتَدِينَ الآثِمينَ، وإنَّ أفكارَه وكتبَه كانتْ ولا تزالُ غَضَّةً طَرِيَّةً، في الأجيال ساريةً، وفي حلقاتِ الدُّروسِ حاضرةً مؤثِّرةً».

ومسْردُ حياتِه رضي الله عنه في كتابِه "سبيلُ التوفيقِ"، وكانَ قد انتهى منه سنة (١٤٠٤) وعاشَ بعده أحدَ عشرَ عامًا.

ومِن أهمِّ الأحداثِ في حياتِه بعد "سبيل التوفيق" المرضُ الذي أصابَه في عرفاتٍ منْ نفسِ العامِ، ومن أعراضِه ارتعاشٌ في يده اليُسرى وعدمُ سيطرتِه عليها، وضعْفٌ وهزالٌ، وتطوَّرتْ حالتُه، ولكنَّه لم يكفَّ عنِ استقبالِ ضيوفِه وإجابتِهم على أسئلتِهم، واشتدَّ المرضُ عليه، وصعِدَ إلى الطائرةِ -عند عودتِه- محمولًا على (نقَّالة)، ومِنَ المطارِ أُخِذَ بسيارةِ الإسعافِ إلى المستشفى، وتأثَّر إخوتُه ومُحِبُّوه لمرضِه الشَّديدِ، وظنَّ الكثيرونَ أنَّه مرضُ الموتِ، وكنتُ دائمَ السُّؤال عنه بالهاتِفِ، وكانتْ أيامَ حزنٍ وكرْبٍ، ولم يخامِرْ قلبي شَكٌّ أنَّ هذا مرضَ الوفاةِ، ولكنْ أراد الله أنْ يَشْفيَ شيخَنا منْ مرضِه، وكانتِ المفاجأةُ عند اتِّصالي بالهاتِفِ للاطمئنانِ عليه فردَّ هوَ عليَّ ولله الحمدُ، وكانتْ فرحةً كبيرةً لي، والله يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ.

وأقبلَ على نشاطِه العلميِّ بقوَّةٍ، فلم يمْضِ على شفائِه إلَّا أسبوعانِ، وإذا به يخبرُني منِ انتهائِه منْ كتابِ "فتحُ المعينِ بنقْدِ كتابِ الأربعين" نقَدَ فيه كتابَ

"الأربعين في أصول الدين" لأبي إسماعيل الهرويِّ الحنبليِّ (ت٤٨١)، وكنتُ أعرفُ أنَّه لم يكنْ بدأ الكتابةَ فيه قطّ؛ لأنَّه ما رآه إلَّا في مَوْسِم الحجِّ الذي مرضَ فيه، فلما انتهى شيخُنا منْ نقْدِ الأربعين تولَّى طبعَه صديقُنا العلَّامةُ السيِّد حسن بن عليٍّ السَّقَّاف باعلوي، وهو من تلاميذِ شيخِنا المُحبِّينَ الدَّاعينَ له، ويعجبُني قول المتنبِّي:

كُــلَّ يــومٍ لــكَ احْــتِمالٌ جديــدٌ ... ومَسِــيرٌ للمَجْــدِ فيــهِ مُقَــامُ

وإذا كانــتِ النُّفُــوسُ كِبــارًا ... تَعِبَــتْ في مُرادِهَــا الأَجْسَــامُ

(فائدة): كانتْ للسيِّد عبدِالله عاداتٌ في القراءةِ، فبالإضافةِ إلى أنه كانَ واسعَ الاطِّلاع فقد أخبرَني أنَّه استفادَ جدًّا منَ العملِ في كتابيْه "المهدي" و"نزول عيسى"، وبسببِهما كان يعتكفُ وقتًا طويلًا بدارِ الكتبِ بالقاهرةِ يقرأُ في متونِ الأحاديثِ النبويَّةِ الشَّريفةِ، وسألتُه عنْ محفوظاتِه فقالَ منها "الجامعُ الصغيرُ" وقد عزمْتُ على حفظِه فمررْتُ عليه ثلاثَ مرَّاتٍ فحفظتُه.

وكان يقولُ: الحِفظُ نوعان: لفظيٌّ، ومعنويٌّ. ولا يغيبُ عنِّي حديثٌ في الأصولِ الستَّةِ، لفظيٌّ أو معنويٌّ.

الفائدة الثالثة

تميَّز العلَّامة الكبير السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق رحمه الله تعالىٰ بمُمَيِّزاتٍ علميَّةٍ انفردَ بها عن أهلِ عصرِه منها:

١- هو العالِمُ الأوحدُ الذي جمعَ بين الدِّراسةِ في القروِيِّينَ والأزهرِ ونال الشهادةَ العالميةَ الأزهريةَ.

٢- انفرد بالجمعِ بين المعْقُول والمنْقُول فكانَ مُفسِّرًا مُحدِّثًا فقيهًا، واستدعىٰ هذا أن يكون متمكِّنًا مُحقِّقًا في علومِ الآلاتِ التي تفوَّق فيها، وكان مُسدَّدًا ومشهورًا بها، فشاركَ كبارَ المُحقِّقين منْ معاصرِيه، وما كانَ عندَه ليسَ عندَهم.

وكان مُقدِّرًا لقيمةِ العلومِ، فلم يتوسَّعْ فيما لا كبيرَ فائدةٍ منْ ورائِه، كالتوسُّعِ في الأسانيدِ والإجازاتِ، أو تتابُعِ القراءةِ في كتبِ الاصْطلاحِ بعيدًا عنِ التَّطبيقِ.

وكان لا يحبُّ المُحدِّثَ الجامدَ، فكانَ داعيةً للمشاركةِ في علومِ الآلةِ والفقْهِ وتدبُّرِ القرآنِ الكريمِ، وتركِ الاقتصارِ علىٰ فنٍّ واحدٍ، ولما كنتُ أسألُه عنْ أهلِ العلمِ كان يقولُ: فلانٌ علَّامةٌ في النَّحوِ والمنْطقِ ،أوالكلامِ، وفلانٌ أصوليٌّ، وفلانٌ مُحدِّثٌ، وآخرُ بحَّاثة، وهذا أديبٌ له مشاركةٌ في التَّاريخِ، فقلتُ لهُ ومَن هو العالِمُ؟ قال لي: هو المجتهدُ أو العالِمُ المتمكِّن منْ آلاتِ العلُومِ، والمشاركُ مشاركةً قويَّةً في أحدِ الفُنونِ الشَّرعيةِ وهي: التفسيرُ أو الفقهُ أو الحديثُ.

وكان له رأيٌ في مُحقِّقي الكتبِ الذينَ يتعرَّضُون لتوثيقِ النُّصوصِ وترجمةِ بعضِ الأعلامِ في الحواشي: فكانَ يقولُ وسمعتُه منه مرَّاتٍ: «فلان كُتُبي نظيفٌ»، وعملُ العالِمِ شيءٌ آخَرُ.

وقال لي غير مرَّةٍ متأثِّرا بما أصابَ المراكزَ العلميَّةَ في العالِم الاسلامي بعد

سقوطِ الخلافةِ كالقرويين والزَّيتونةِ والأزهرِ وغيرِها: «سُبُل العلمِ انقطَعتْ».

٣- صَنَّفَ حَوَالَيْ مائةِ مُصنَّفٍ في العلومِ الشَّرعيَّةِ وآلاتِها، ومِنْ خصائصِ مُصنَّفاتِه الآتي:

أ- اعتادَ أن يكتبَ كتبَه بأسْلوبٍ عِلْميٍّ، بعيدٍ عنِ اللغْوِ والتَّكرارِ، فيظنُّ القارئُ أنه متنٌ علميٌّ أو أنَّهُ يقرأُ لأحدِ علماءِ القرنِ الثامنِ أو التاسعِ، فيحاولُ شيخُنا دائمًا الوصولَ للمطلوبِ منْ أقصرِ طريقٍ.

وكان لا يحبُّ إثقالَ الحواشي، وإذا كتبَ تعليقًا كانَ كالمسمارِ في السَّاجِ، فما صنَّفه مِن مُصنَّفاته اقتصرَ فيها على المطلوبِ فحسْبُ، ولا يحبُّ الخروجَ عنِ الموضوعِ.

ولما كتبَ جزءَ "الإحسان في التَّعْقيبِ على الإتْقان" قلتُ له: يا سيِّدي عبدالله لماذا لم تتوسَّعْ فيه؟ قال: «المهمُّ إثباتُ الرَّدِّ، وقد وضعتُ الأساسَ، ومنْ أراد البناءَ عليه فليفعَلْ». حتى في خطاباتِه كان يميلُ إلى الاختصارِ فيقولُ بعد الدِّيباجةِ «وصَلني خطابُك وعُلِمَ ما به».

ولأنَّ شقيقَه الحافظُ السيِّد أحمدُ كان يحبُّ الإسهابَ فكانَ يطلبُ منْ شقيقِه السيِّد عبدالله الإسهاب ويقولُ إذا كتبَ له -كما حدَّثني شيخُنا مفيدُ المغربِ سيدي عبدالعزيز-: «أرْسِلْ معَ الرَّدِّ الشارِحَ والمُحَشِّي».

ب- تتعدَّد مُصنَّفاتُ العلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق في الفنونِ المختلفةِ كالعقائدِ، والتصوُّفِ والنحوِ، والمنطقِ، والأصولِ، والتفسيرِ، والفقهِ، والحديثِ، وكان عرْضُ أفكارِه في كتبِه سهلًا عليه، لكنْ كانتْ الكتابةُ تُتْعِبُه جدًّا، وكانتْ يدُه -كما رأيتُ بنفسي- بطيئةً جدًّا في الكتابةِ.

ج- لم يُصنِّفْ شيخُنا إلَّا لغرَضٍ عارضٍ احتاجَ للتَّصنيفِ في نظرِه،

ولذلك لم يتَّجه للأعمال التَّجميعيَّة، أو البيبوغرافية أو تكرار ما سبقَ، أو صناعةِ ماعُرِفَ بالمدخلِ لكتابٍ أو فنٍّ، فهذه أعمالٌ يكتبُها المتوسِّطون، وعندما كان يرىٰ أعمالا علميَّةً غيرَ لائقةٍ كان أحيانا يقصُّ حادثةً عرضتْ لعالمٍ كبيرٍ في مصرَ هو العلامةُ اللُّغويُّ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطيُّ (ت١٣٢٢) فإنَّ أحدَ المشايخِ الأزهريين أعطاه تصنيفًا ليُقرِّظَه له –وكان ابنُ التلاميد مشهورًا بشدَّتِه وقوتِه في العلمِ– ولم يُعْجِبِ ابنَ التلاميدِ هذا التصنيفُ، وأراد أن يعتذرَ اعتذارًا لافِتًا، ففي صباحِ يومٍ صحبَ الشيخُ المُصنِّفُ ابنَ التلاميد إلىٰ دار الكتبِ ببابِ الخلْقِ، وعلىٰ البابِ استدعىٰ ابنُ التلاميدِ الحارسَ وقال له ابنُ التلاميد: ألم تُصنِّف كتابًا؟ قال الحارسُ: لا يامولانا، فقال ابنُ التلاميد: إذا كان الشيخُ طلبَ منِّي تقريظَ كتابِه، فاكتبْ أنتَ كتابًا حتىٰ أقرِّظه لكَ، فانتبَه المُصنِّفُ طالبُ التَّقْريظِ وراجعَ نفسَه واعتذرَ.

(فائدة): قال لي فضيلةُ الأستاذ الشيخُ وهبي سليمان غاوجي الألبانيُّ الحنفيُّ الأزهريُّ رحمه الله تعالىٰ (ت ١٤٣٤): أنتم (قصدني والمعاصرينَ منْ تلاميذِ السيِّدِ عبدالله منَ الذين لم يشهدُوه في الأزهرِ) لا تعرفونَ المكانةَ العلميَّةَ للشيخِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيق، فقلتُ له: كيفَ ذلك؟ قال لي: الاختبارُ الشَّفهيُّ في الأزهرِ كان صَعْبًا جدًّا، ويعتمدُ علىٰ طريقةِ التَّعيينِ، فكان الشيخُ يُعيِّنُ لكلِّ طالبٍ أربعةَ أو خمسةَ أسْطرٍ، ويختبرُ الطالبَ فيها في كلِّ علومِ الأزهر من نحوٍ وصرفٍ ووضعٍ ومنطقٍ ومقولاتٍ، وبلاغةٍ بفنونها الثلاثةِ، وفقهٍ وقواعدَ وأصولٍ، وتفسيرٍ وحديثٍ، فيكونُ الطالبُ مستعدًّا للاجابةِ علىٰ أيِّ فنٍّ في التَّعيينِ، فالاختبارُ لا يقتصرُ علىٰ فنٍّ واحدٍ فقط، وهكذا في كلِّ مادةٍ، وكان الاختبارُ صعبًا جدًّا، وأكثرُ الطلاب يرسُبون فيه إلَّا المتمكِّنَ منَ الآلاتِ

والعلومِ الشرعيةِ، وأكثرُ الشُّيوخِ لا يتمكَّنونَ من مساعدةِ الطلبة؛ لأنَّ هذه المساعدةَ تستلزمُ استحضارَ وفهمَ كلِّ مناهجِ الأزهرِ في مختلفِ المراحل، وكان الشيخُ عبدُالله بنُ الصِّدِّيق أشهرُ عالمٍ في الأزهرِ يحلّ التَّعيينَ في كلِّ الفنونِ، فكان الطلبةُ يلجئُون إليه، لا سيَّما عندَ توقُّفِ الدِّراسةِ في الصَّيفِ، فكثيرٌ من الطلبةِ يجلسونَ لحل تعيينِ كلِّ المواد على السيد عبدالله بنِ الصِّدِّيقِ رحمه الله تعالى، ومن هنا كان على التَّحقيقِ يكادُ أنْ يكونَ فردًا مُطلقًا في الأزهرِ.

الفائدة الرابعة

كان شيخُنا -عليه الرحمةُ والرِّضوانُ- زاهِدًا مُتقلِّلًا مُقبِلًا على الله، لا ينظرُ إلى حُطامِ الدنيا ولا يتعلَّقُ أو يُعْجَبُ بها، ولم تَتُقْ نفسُه إلى محاسنِها، بل كان طارحًا للتكلُّف يميلُ إلى اليُسرِ حتَّى في لباسِه، ولم يُزاحِمِ النَّاسَ في دنياهم، فعندما رَجعَ إلى المغربِ كان مُقدم العلماءِ، وتجاوزَهم في جمعِه للعلومِ وتحقيقِه، ومُصنَّفاتِه، وشهاداتِه الأزهريةِ، فكان فرْدًا في المغربِ، ولا نعرفُ أحدًا من أقرانِه فمَنْ فوقَهم جمعَ جمْعَه، وكان يُمكنُ له أن يُدَرِّسَ في أيِّ مكانٍ بجامعاتِ المغربِ وتُفتحُ عليه أبوابُ المحاضراتِ والمؤتمراتِ والمشاركة في المجالسِ العلميَّة، ولكنَّه لم يزاحمْ غيرَه، ولم يسْعَ لوظيفةٍ تُقيِّده وتجعلُه تابعًا لغيره، وكان يحبُّ أنْ يكونَ مستقلًّا غيرَ تابعٍ لأحدٍ.

وهو هنا مُقْتدٍ بأئمَّة الإسلامِ ومنهم: والدُه العارفُ الإمامُ السيِّدُ محمَّدُ بنُ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، ففي "التَّصَوُّرُ والتَّصدِيقُ" (ص ١٢٢): «وكان يكرَه الوظائفَ الحكوميَّةَ، وينهى عنْها كلَّ مَنْ يُحبُّه، ويأمرُه بالتَّباعدِ منها، والتكسُّب بالحِرفةِ والتِّجارةِ، لا سيَّما خطةُ القضاءِ والشَّهادة».

ولم يكنْ يحبُّ المدحَ الزائدَ -خاصَّةً منَ المتأخِّرينَ- الذي قد يجاوزُ الحدَّ، فكانَ يذكرُ مدحَ التَّاجِ السُّبكيِّ لأبيه التقيِّ السُّبكيِّ ويبتسمُ تعجُّبًا منَ الإفراطِ، وقرأتُ عليه قائمةَ مَن عُدُّوا مِن حُفَّاظٍ ومُحدِّثي الحنفيَّة في مقدِّمة "نَصْبُ الرَّاية" ونبَّهني على المبالغاتِ في المدحِ، ونبَّهني على ألفاظٍ سائدةٍ في بعضِ البلاد: كفقيهِ العصرِ، وإمامِ العصْرِ.

اتخذَ سيِّدي عبدُالله بعد عودته منْ مصرَ مسكنًا له بالدَّورِ العُلويِّ بالزَّاويةِ الصِّدِّيقيةِ، وهو مكانٌ بسيطٌ، وسِعَه معَ زوجتِه المصريَّةِ -رحمها الله تعالى- وكتبِه، وكان ينزلُ للصَّلواتِ الخمسِ ويجلس للتدريس بعد صلاة الصبح، وفي مجلسه بالزاوية يقوم باستقبال الضُّيوفِ ،وعملِ العمارةِ وقراءةِ الحزبِ، ويخطُبُ الجُمُعةَ.

وكانَ منْ عادتِه رضي الله عنه أنْ يكونَ درسُه لخواصِّ طلبةِ العِلمِ بعد صلاةِ الصُّبحِ بالزَّاويةِ، فدرَّس كتبًا منها: "مفتاحُ الوصول إلى علمِ الأصُول" و "علومُ البلاغة " للمراغي، و"تفسيرُ النَّسَفيِّ" و"نيْلُ الأوْطارِ"، و"جمعُ الجوامِع"، و"جامعُ التِّرمذيِّ"، و"البناني على السُّلَّم" في المنطقِ وهذا في الدرسِ العامِّ بعد صلاةِ الصُّبحِ، أمَّا الدُّروسُ الخاصَّةُ، واستقبالُ المستَفْتِين والعلماءِ وطلبةِ العلمِ منَ المغربِ وغيره فكانَ يستغرقُ يومَه.

و إذا سافرَ خارجَ طنْجَة وتنقَّلَ في مُدُنها بينَ تلاميذِه ومُريدِيه كانَ مجلسُه مجلسَ علمٍ، يتصدَّر للتَّدريسِ وإجابةِ المسْتفتينَ والدعوةِ إلى الله، وفي هذه الأثناءِ سافر إلى الحجازِ ومصرَ عدَّةَ مرَّاتٍ ولم تتغيَّرْ سيرتُه، فخُتمَ عليه بالقاهرةِ "صحيحُ البُخاريِّ" كاملًا، ودرَّسَ "الموطأ"، و"الشَّمائلَ المحمَّديةَ" و"اللمع" للشِّيرازيِّ،

وحضرتُ درسَه في "الموطأ" و"الشَّمائل"، وأتممتُ "الشَّمائل" عليه.

ودعاه علماءُ بكليةِ أصول الدِّين بالأزهرِ فألقىٰ محاضرةً حولَ «الحديثِ الشَّاذِّ عندَ المحدِّثينَ والأصُوليِّين»، ودعانا عقبَ المحاضرةِ لمنزلِه فضيلةُ الأستاذ الشيخُ إسماعيلُ الدِّفْتار في جمْعٍ من علماءِ الكلِّية يتقدَّمهم شيخُ الكلِّية.

ومِنْ زهدِه وعدمِ التفاتِه لمظاهرِ الدنيا أنَّ بعضَ الفقراءِ من المحبِّين لما رأوا كثرة الزائرين للسيِّد عبدالله اقترحَ شراءَ بيْتٍ يجلسُ فيه السيِّدُ عبدُالله ويتولَّوْن خِدْمتَه، ولكنْ رَفَضَ فنزلُوا إلىٰ عرضِ كِراءِ بيتٍ له فرَفَضَ كذلك، وآثرَ سُكْنىٰ الزَّاوية.

الفائدة الخامسة

١ - كانَ للسَّيدِ عبدِالله رغبةٌ في إتمامِ بَعضِ الأعمالِ العِلميَّة، التي بدأها، ثُمَّ انْشَغلَ بغيرها عنها، أو بالتي تَشوَّفَ إليها ولم يبدأ الكتابةَ فيها.

فمِنَ النَّوعِ الأوَّلِ: الكلامُ علىٰ الرُّواةِ الذينَ قال عنهم الحافظُ الهيثميُّ في "مجْمَع الزَّوائد": «لا أعرفُه» أو «لم أجدْه»، أو «لا يُعرَفُ» ونحو ذلك، شَرَع فيه ولم يُكمِلْه.

وذكرَ شقيقُه السيِّد أحمدُ في ترجمتِه للسيِّد عبدالله من "سبْحَةُ العَقِيق" (ل٣٨٤) أنَّ مِنْ مُصنَّفاتِ السيَّدِ عبدالله: "القولُ الواضحُ المبينُ في عللِ الأحاديثِ الواردةِ في فضلِ التَّسْميةِ بمُحمَّد".

و"تهْذِيبُ الخصائصِ الكبرىٰ" للحافظِ السُّيوطيِّ وصلَ فيه إلىٰ ثلثِ الكتابِ، وشرع في تهذيب كتاب "الزَّواجِر بالنَّهيِ عنِ اقْترافِ الكبَائر" للفقيهِ ابنِ حجَرِ الهيتميِّ.

وكتبَ جزءًا فيما تفرَّد به منْ مسائلَ علميَّةٍ، ودوَّن مقاصدَه في "سبيلُ

التَّوفيقِ"، وكتب جزءًا اسمُه "الأخطاءُ الجِسَام الواقعةُ في تحقيقاتِ شفاءِ الغَرام"، انظر "قصَّة آدم" (ص٧٣)، ولا أعلمُ أينَ ذهبَ هذا الكتابُ.

ولما كتبَ "فتحُ المعينِ بنقدِ كتابِ الأَرْبعين" ردَّ عليه مُحقِّق كتاب "الأربعين"، وقد شرعَ السيِّدُ عبدُالله في الرَّدِّ عليه في كتابٍ سمَّاه "النقدُ المتين" لكنْ لم يتمُّه، واختصرَ كتابَ العلَّامةِ الشَّوكانيِّ "إرشادُ الفحُول إلى تحقيقِ الحقِّ منْ علمِ الأصُول"، ولا أعرفُ أينَ هو.

وكتبَ لأحدِ التَّطْوانِيِّينَ يخبرُه أنَّه شرَعَ في شرحِ "سننِ ابنِ ماجَه"، وكان قد اتَّفق معَ الشَّيْخ عبدالشَّكورِ فدا رحمه الله تعالى الكُتُبيِّ المشهورِ بمكةَ المكرَّمةَ على جمْعِ مسْندِ عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السَّلامُ وشرعَ فيه بعدَ شِفائِه منْ مرَضِه الكبير سنة (١٤٠٤) ولم يتمَّه، وكانَ الشيخُ عبدالشَّكور فدا يُلِحُّ عليه في إتمامِه.

وشرع في عمل محاكمة بين الأشموني شارح الألفية، ومحشيه العلامة الصبان، لأن الصبان كان يتحامل على الأشموني فأراد أن ينتصف للأشموني، لكنه انصرف بعد فترة لاشتغاله بالتدريس .

ومِنَ النَّوعِ الثَّاني: أنَّه كانتْ له عنايةٌ بالمناسبةِ بينَ آياتِ القرآنِ الكريمِ، وقال في كتابِه "جواهرُ البيَانِ في تناسُبِ القرآنِ" (ص١٦): «وأرجُو أنْ يوفِّقَني الله إلى تأليفِ كتابٍ واسعٍ في الموضوع»، وكانَ كلَّما طُبعَ مجلَّدٌ منْ كتابِ "نظمُ الدُّرَرِ في تناسُبِ الآياتِ والسُّوَر" للعلامةِ إبراهيمَ بنِ عمرَ البقاعيِّ (ت ٨٨٥) حرصَ على اقتنائِه.

(تنبيه): كنتُ أتشرَّفُ بمصاحبةِ سيِّدي عبدالله في السَّيارةِ وقتَ تواجُدِه في

الحجِّ أو العُمْرةِ، وكنتُ أديرُ المذْياعَ في السَّيارةِ على القرآنِ الكريمِ، وكانَ السيِّدُ عبدُالله تُعجِبُه طريقةُ الشُّيوخِ المصريِّين في الأداءِ، فكانَ يصْمتُ تمامًا ويُنصِتُ عندَ سَماعِ القرآنِ ويغيبُ عنِ الحضورِ إلى أنْ ينْتهيَ الشيخُ منَ القراءةِ فيقولُ: «أحسنْتَ ياسِي الشّيخ».

فقلتُ له مرَّةً: يا سيِّدي أراكَ تَصمُتُ تمامًا وتُنصِتُ عندَ سَماعِ القرآنِ الكريمِ، قالَ القُرآنُ مُعجِزٌ، وأَتتَبَّعُ الوجُوهَ والمناسبةَ فليسَ لي إلَّا الإنْصاتُ.

٢- وكانت له عنايةٌ خاصَّةٌ بكتبِ الأصول، وسألتُه عنِ الكتابِ الأصُوليِّ الذي يحبُّ القراءةَ فيه قال: "المسْتَصْفَى"، وكانَ يقْتَنِي النُّسْخَةَ البُولاقيَّة التي معَها "فواتحُ الرَّحَمُوتِ" فقدْ كانَ يعتَني بالفواتحِ، فقلتُ له: و"جمعُ الجوامعِ"؟ فقال لي: الجلالُ المحلِّيُّ كان يحبُّ تعقيدَ العبارةِ كالسَّعدِ التَّفْتَازانيِّ، و"جمع الجوامع" جامع، ودرسته أكثر من مرة بالأزهر، وقال لي -بعد أن صحبته في زيارة الشيخ صالح الجعفري بخلوته بالأزهر-: الشيخ صالح حضر علي جمع الجوامع مرتين في ثماني سنوات .

وقال لي: كنتُ أريدُ أنْ أعملَ شرْحًا ممزوجًا على "جمع الجوامع"، لحاجتِه إلى شرْحٍ ممزُوجٍ سهْلٍ يُقَرِّبُ الكتابَ لطلبَة العلمِ ويُسَهِّله عليهمْ، فلمَّا رأيتُ شرحَ الشَّيخِ حلولو الزِّليطنيِّ (ت٨٩٨) على "جمع الجوامع" قلتُ: قام بالمطلوبِ.

ولما كنت أقرأ عليه شرح السلم للمصنف في المنطق، وكان الأخضري يحيل إلى شرحه الكبير، قال لي سيدي عبدالله : كانت عندي رغبة في اتمام هذه الإحالات، وأغرضت لأن كتب المنطق كثيرة .

٣- وكانَ رحمه الله تعالىٰ مُتقنًا جدًّا للفقهِ المالكيِّ ومستَحضِرًا لدقائقِه، وقد شاهدتُ مجالسَ حسَنةً تدلّ علىٰ براعتِه، منها في سنةِ (١٤٠١) بمدرسةِ دار العلومِ الدِّينيَّةِ بمكةَ المكرَّمَةِ معَ علَّامةِ تُونسَ الشيخ محمَّد الشاذلي النيفر التونسيِّ المالكيِّ، الذي جاء للسَّلامِ عليه وعلىٰ شقيقِه السيِّد عبدِالعزيز، ودارَ الحديثُ حولَ مسائلَ في عدَّةِ علومٍ منْها الفقهُ المالكيُّ -الذي هو تخصُّصُ سيدي الشيخِ الشاذليِّ النيفر- وانتقل إلىٰ "تُحفَة الحكَّام في نُكَتِ العقُود والأحْكام" وهي منظومةٌ لقاضي الجماعةِ محمَّدِ بنِ عاصمٍ الغرناطيِّ المتوفَّىٰ سنة (٨٢٩) رحمه الله تعالىٰ، وهنا سأل الشيخُ الشاذليُّ النيفر شيخَنا الغُماريَّ عنْ منظومةٍ منْ ثلاثةٍ وتسعين بيتًا تتعلَّق بـ"التحفة" لابنِ عاصمٍ الغرناطِّي، فتبيَّن أنَّ السيِّدَ عبدالله كان حافظًا للمنظومةِ وأملىٰ أبياتًا منْها، ثُمَّ طلبَ مكانَ كتبِ الفقْهِ المالكيِّ، وأخرجَ المنظومةَ وسلَّمَها للشيخِ النيفر، وكانَ شيخُنا الفادانيُّ حاضرًا لهذا المجلسِ فبُهرَ منْ حِفْظِ واطِّلاع السيِّدِ عبدِالله، وتفوُّقِه.

وثَمَّ مجلسٌ ثانٍ سنة (١٤٠٤) كانَ في منزلِ العلَّامةِ الشَّيخِ محمَّد مختار الشِّنْقِيطيِّ المدنيِّ المالكيِّ شارحِ "سُنَنِ النَّسائيِّ" المتوفَّىٰ سنة (١٤٠٥) رحمَه الله تعالىٰ، وثالثٌ بمنزل العلَّامةِ القاضي محمَّد عطية سالم المدنيِّ المالكيِّ، وكان مُعْتنيًا بالفقهِ المالكيِّ بحُكْمِ عملِه وتدريسِه له و"للموطأ" في المَسْجدِ النَّبويِّ الشَّريفِ، واعترضتْه مسائلُ واسشكلاتٌ في الفقهِ المالكيِّ لم يجدْ حلًّا لها، واستضافَ شيخَنا واستمرَّ المجلسُ لساعةٍ متأخِّرةٍ منَ اللَّيل، وكانَ القاضي يُلْقي علىٰ شيخِنا المسألةَ فيذكرُ الجوابَ، ويرفعُ الإشْكالَ، ويذكرُ منْ صنَّف فيها منْ مشايخِه ومشايخِهم، لا سيَّما الفاسيِّين منهُم، وقد سُرَّ القاضي جدًّا،

وصرَّح بأنْ لم يكنْ يظنُّ وجودَ هذا الاسْتحضارِ والمعرفةِ في المعاصرين -مع معرفتِه بكثيرينَ منْ علماءِ المالكيَّةِ بحُكْم جوارِه بالمدينةِ المنوَّرةِ- إلى أنِ التَقَى بشيخِنا رحِمَ اللهُ الجميعَ.

٤- في موْسِمِ الحجِّ سنةَ (١٤٠٤) حضرَ سيِّدي عبدُالله بنُ الصِّدِّيقِ لمكةَ المكرمَةَ وسَلَّمني ترجمةً له سمَّاها "سبِيلُ التَّوفِيقِ" وكانتْ في خمسَ عشرةَ صفحةً فقطْ، فقلتُ له: يا سيِّدي عبدالله هذه التَّرجمةُ قصيرةٌ، ولا تليقُ بعلومِكَ ومصنَّفاتِكَ وحياتِكَ العِلميَّةِ، واقترحْتُ عليه أمورًا يمْكنُ أنْ تضافَ لترجمتِه، فقال: يكْفي ما كتبتُه، وبعدَ إلحاحِي عليه وافقَ على إضافاتٍ على الأصْل، وقالَ: عندما نذهبُ إلى المدينةِ المنوَّرةِ وَجِّه إليَّ ما شئتَ منْ أسئلةٍ وسأمْلي عليكَ إنْ شاءَ اللهُ تعالى الإجابةَ، فسَكنَّا في فُندُقِ التُّونسيِّ بالمدينةِ المنوَّرةِ وأملى عليَّ ما أرادَ.

وفي هذه السنة التقى سيدي عبدالله في المسجد النبوي الشريف بعدد من تلاميذه المقيمين بالمدينة المنورة في مقدمتهم العلامة الأبر سيدي الشيخ محمد علي المراد الحموي رحمه الله تعالى، وعملوا عدة مجالس للاحتفاء بشيخهم، وزاره جمع منهم في مقره في الفندق، وكان الشيخ محمد عوامة حريصا على الحضور في الفندق والمجالس للاستفادة من شيخه الغماري في حل بعض اشكالات علمية ومما سأله عنه إسناد مسند أحمد، ومتعلقات بكتاب " الجرح والتعديل " للرازي، وقد لاحظت على الشيخ محمد عوامة الأدب والاحترام لشيخه، وقال لي الشيخ محمد عوامة : "أنا ما أقف في المواجهة الشريفة إلا وأستحضر السيد عبدالله بن الصديق "، روح الله هذه الأرواح .

ثُمَّ لما رجَعْنا لمدرسةِ دارِ العلومِ الدينيَّةِ بمكَّةَ المكرَّمةَ اسْتكمَل إملاءَه عليَّ، وأثناءَ ذلكَ أُصِيبَ بمرَضٍ شديدٍ، وفي مرة استيقظ منْ قيلولتِه وأمْلىٰ عليَّ أبياتًا قال لي: «اجعَلْها في مقدِّمة "سَبيل التَّوفيق"».

ومِمَّا أملاهُ علي في مكةَ المكرَّمةِ: مَنْ عاصرَهم مِنَ المشْتَغِلينَ بالحديثِ، وأسماءَ تلاميذِه، وطلبَ أنْ أكتُبَ اسمي لكنَّني كنتُ أرىٰ أنَّني أقلّ منْ ذلك فطلبت العفو منه، ولما قابلتُه في القاهرةِ بعدَ عاميْنِ وكانتِ الطبْعةُ الأولىٰ منْ "سَبِيلُ التَّوفِيقِ" قد نفدتْ قال: سأطبَعُ الكتابَ في المغربِ وسأُضيفُ اسمَك في تلاميذِي، واسكُتْ لا رأيَ لكَ.

٥- كانَ رضيَ الله عنْه في إحدىٰ مناسِكهِ بمكةَ المكرَّمةِ، ودارَ البحْثُ حولَ مسألةِ التَّركِ، وأنَّهُ لا يفيدُ إلَّا الجوازَ فقطْ، قلتُ له رضي الله عنه: يا سيِّدي كلَّمْتُ الشَّيخَ عبدَالعزيزِ بنَ بازٍ مرَّتَينِ في أنَّ التَّركَ لا يفيدُ التَّحريمَ أو الكراهةَ لذاتِه فقالَ لي في المرَّتَيْنِ: «ما عندي بحثٌ الآنَ» وانْقطعَ، وطلبتُ منه رضي الله عنه تحريرَ جُزءٍ في هذه المسألةِ التي أخطأَ فيها كثيرُونَ، وغفَلَ عنْها آخرُون، فكتبَ رضي الله عنه: "حسْنُ التفهُّمِ والدَّركِ لمسألةِالتَّركِ" ذكَرني في أوَّلها.

٦ - وكان يعجبُه في النَّحوِ النَّظرُ في "المفَصَّل" لا بنِ يَعِيشَ، و"الدَّمامِينيّ علىٰ مُغْني اللبيب" و"الخضري علىٰ ابنِ عَقيل".

وقال لي: بعد عودتي منَ الدِّراسةِ بفاس طَلَبَ منِّي والدي رضي الله عنه تحريرَ بعضِ مسائلَ في النَّحو، وكلَّفَني شيخُنا بعملِ ثلاثةِ بُحوثٍ في النَّحوِ هي: مفعولُ قال، وأحوالُ لا النَّافيةِ للجِنْسِ، وأحوالُ الاستثناءِ، وقال: لا أحتاجُ للمُراجَعةِ في كتبِ المنْطقِ والبلاغةِ.

وسألتُه عنْ كتابِ التَّفسيرِ الذي يحبُّه ويأنَسُ له فقالَ لي:"تفسيرُ الخازِنِ".

وكان يطيلُ النَّظَرَ في "طرْح التَّثْريب"، و"فتْح البَاري".

وسألتُه عنْ "تيْسِيرُ الوصُولِ إلىٰ جامِعِ الأصُولِ" لابنِ الدَّيْبَعِ فقال لي: لا تَشتغِلْ به أبدًا ولا تضيِّعْ وقتَكَ معهُ وانظرْ في الأصول، وقال لي: منْ بابه "جمْعُ الفوائدِ مِنْ جامعِ الأصولِ ومجْمَعِ الزَّوائِدِ" لمحمَّدِ بنِ سُلَيمانَ الروداني.

وسمعتُه مرَّاتٍ يُرْشِدُ إلىٰ حضورِ "جمْع الجوامِع" الأصوليِّ بعدَ الوَرَقاتِ مباشرةً بدونِ المرورِ علىٰ "لبّ الأصُول" وشرحه، وكان له رأي حول لب الأصول وشرحه.

٧- وكانَ يقولُ: عُدَّةُ الفقِيهِ ستَّةٌ: الفروعُ، والأصولُ، والقواعدُ، والفروقُ، والمقاصدُ، وتاريخُ التَّشريعِ.

لذلك كانَ معْجبًا جدًّا بكتابِ "الفروق" للقَرافيِّ وحاشيتِه "إدْرارُ الشُّرُوقِ" لابنِ الشَّاط السَّبْتيِّ (ت٧٢٣) وكان يذكرُ قولَ ابنِ رَشيدٍ: «ليس بالمغربِ عالِمٌ إلَّا ابن البنَّاءِ بمرَّاكُش، وابن الشَّاط بسَبْتَةَ، والقاضي اللَّخمي».

وكذلك كان ينظرُ في كتابِ "قواعدُ الأحكامِ في مصالحِ الأنَام" للعزِّ بنِ عبدِالسَّلام، وكان يقولُ: يراعي الخلافَ كثيرًا.

وسألتُه: سيِّدي في جمعِكَ للعلومِ، وتحقيقِكَ في بعْضِها، فمَنْ الذي تشبهُه من أهلِ القرنَينِ الثامِنِ والتاسِعِ؟ فقال: الزَّرْكشيُّ.

الفائدة السادسة

منَ الكتبِ التي صنَّفها السيِّدُ عبدُالله بنُ الصِّدِّيق رحمَه الله تعالىٰ في محنتِه كتابُ "الكنزُ الثَّمينُ في أحاديثِ النبيِّ الأمِين" ولم يكنْ شيخُنا راضيًا عنه، وقدْ تعقَّبَه الألبانيُّ بهِمَّةٍ وفَرحٍ وسُرورٍ، وابتدأَ كلامَه في مقدِّمةٍ مطوَّلةٍ للمجلَّدِ الثالثِ منْ "ضعيفته"، وخذ الآتي:

باديَ ذي بَدْءٍ، هناكَ ملاحظاتٌ في عباراتِ الألبانيِّ تدلُّ علىٰ نفسِه وعلمِه اخترتُ منْها ثلاثةَ:

١- وصْفُ الألبانيِّ السيِّدَ عبدَالله بنَ الصِّدِّيقِ (٣/ ١٠) بالجهْلِ، وفي (٣/ ٧٢) وصفه بالغُماريِّ المغْمُور.

وهذا الوصفُ يبيِّنُ منه أنَّ الألبانيَّ لا يعرفُ علماءَ عصرِه، فما عند السيِّدِ عبدِالله منْ عُلومٍ يُتْقِنُها ودرسَّها لا يشارِكُه فيها الألبانيُّ بل لا يعرف بعضها أصلا، وما عندَ الألبانيِّ يشاركُه فيه السيِّدُ عبدُالله.

فلم يُعرفْ للألبانيِّ اشتغالٌ بالنَّحوِ أو الصَّرفِ أو البلاغةِ بفنونِها الثلاثةِ، أو المنطقِ والمقولاتِ وآدابِ البحثِ والمناظرةِ، ولم يُعرفْ له اشتغالٌ بالأصول أو القواعِدِ أو الفروقِ والمقاصدِ، وليس هوَ مِنْ علماءِ التفسير أو طلبَتِه.

وهذه فنونٌ أتقَنَها شيخُنا وتفوَّقَ فيها، ودرَّس كتبَها الكبارَ، وصنَّفَ فيها قبلَ أنْ يكتُبَ الألبانيُّ في مجلَّة التمدُّن الإسلاميِّ، وكان شيخُنا متصدِّرًا للإفتاءِ في وجودِ كبارِ أعيانِ الأزهرِ الشَّريفِ منْ معاصِرِيه، وهو دونَ الثَّلاثينَ، فأينَ كان الألبانيُّ في ذلك الوقْتِ؟!

وعهدي بالألبانيِّ أنَّه لا يعرفُ علماءَ عصرِه كما ينبغِي، فلقدْ رأيتُ منْه

الثناءَ المتتابعَ علىٰ السيِّدِ محمَّد رشيد رضا، وأنَّه تأثَّر به معَ أنَّ رشيد رضا كانتْ له مواقفُ سيِّئةٌ منَ الحديثِ النبويِّ الشَّريفِ لا سيَّما الأحاديثَ القوليَّة، ولا يعتبرُها شرعًا مُلزِمًا، واتكأَ علىٰ آراءِه معارضُون كمحمود أبو رية في كتابه "أضواء علىٰ السُّنة" باعترافِ محمَّد عبدالرَّزاق حمزة كما شرحتُه في "تشْنِيفُ الأسْماعِ" الطبعة الثانية، و"الاتجاهات الحديثيَّةفي القرنِ الرَّابعَ عشرَ" الطبعة الثانية.

٢- ووصفُ الألبانيِّ في (٣/ ٢٦) السيِّد عبدالله بأنَّه «المفتري علىٰ الأئمَّة».

يصفُ السيِّدَ عبدَالله بذلك بسببِ تصْريحِه بأنَّ الأئمَّةَ يعمَلون بالضَّعيفِ في الأحكامِ، وأخطأَ الألبانيُّ؛ لأنَّه لم يمارسْ الفقهَ علىٰ طريقةِ أهلِه، ولم يعرفْ مذاهبَ الأئمَّةِ في العملِ بالحديثِ الضعيفِ في الأحكامِ، وهذا بحثٌ مبسوطٌ في مقدمةِ كتابي "التَّعريفُ بأوْهامِ مَنْ قَسَّم السُّنَن " (١/ ٧٤-٩٣).

وقفاتٌ معَ كتابِ "الكنزُ الثَّمينُ":

أمَّا عنْ كتابِ "الكنز الثمين" فهذه وقفات:

الأولى: قال السيِّد عبدالله بن الصِّديق في "سبيل التوفيق" (ص: ٩٦): «غير أنَّ كتاب "الكنز الثمين" لستُ راضيًا عنه؛ لأنَّني كتبتُه في حالة تضْييقٍ وتشديدٍ كما سبقَ، وعدم وجودِ مراجعَ، فجاءتْ فيه أحاديثُ ضعيفةٌ كثيرةٌ، ولو وجدتُ فراغًا لنقَّحْتُه وهذَّبتُه وحذفتُ ما فيه منَ الضَّعيفِ».

فهذا الكلام يُبيِّن أنَّ صاحبَه يرجِعُ إلىٰ الصَّوابِ، ولا يجمُدُ علىٰ الخطأ.

الثانية: وأحبُّ أن أوجِّهَ النَّظرَ إلىٰ أنَّني عندما أعيدُ طبْعَ "الكنز الثمين" فهوَ من باب إثباتِ الأعمال العلميَّة كاملةً، وأوجِّه النَّظرَ إلىٰ وجوب التَّأنِّي في

الأخذِ بأحاديثِه لوجودِ ما يخالفُ شرْطَ الكتاب، نعمْ أكثرُه موافقٌ لشرطِ مصنِّفِه، لكنْ فيه ما يوجبُ التوقُّفَ والبحْثَ.

ومعَ وجودِ الضَّعيفِ الذي في الكتابِ فيمكنُ الاستفادةُ منَ القسْمِ الأكبرِ منه بواسطةِ المتخَصِّصِ، فهو أحسنُ حالًا من "الجامع الصغير" و"كنوز الحقائق" و"راموز الأحاديث".

الثالثة: انتقاداتُ الألبانيِّ على "الكنز الثمين" غيرُ مسلَّمَةٍ منْ حيثُ الجُملةِ؛ لاختلافِ المنهجيَّة التفصيليَّة في الحكمِ على الأحاديثِ، وهذا ما سبقَ لي ذكره في كتابي "الاتجاهاتُ الحديثية" بما يغْني عن إعادتِه هنا، وكمْ من حديثٍ ضعَّفه الألبانيُّ، وهو صحيحٌ في "الكنز الثمين".

فليراجعْ مريدُ الفائدةِ ما كتبتُه في "الاتجاهات الحديثية" (ص ٤٥٨- ٤٦٨)، ثُمَّ ما كتبتُه في الطبعةِ الثانية منَ "الاتجاهاتِ الحديثيَّة"، ونقدَ شيخِنا المحدِّثِ السيِّدِ عبدالعزيز بنِ الصِّدِّيقِ للكنزِ الثَّمين، ومنهجِه في كتابه "ضَوْءُ الشُّمُوع".

الفائدة السابعة

سيجد القاريء الكريم في هذه "الموسوعة" بعض مُصنَّفات للعلَّامة السيِّد عبدالله بن الصديق رحمه الله تعالى، لم تطبع من قبل، وهي مُصنَّفات غير تامَّة، وهي :

١- أحاديث التفسير، وهي رسالة في الأحاديث التي يمكن أن يعوَّل عليها في التفسير، وصل فيها إلى (سورة الحج) .

٢- تعليقات على كتاب "المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح" للحافظ الدمياطي (ت ٧٠٥)، وهي في مائة صفحة بخطِّ السيد عبدالله بن الصِّدِّيق

رحمه الله تعالىٰ، وصل فيها إلىٰ الحديث رقم (٩٦) من كتاب البر والصِّلة.

٣- "الفتح المبين شرح الكنز الثمين"، شرح فيه ستًّا وسبعين حديثًا من كتابه "الكنز الثمين" فقط، وقال في أوله: «هذا شرح علىٰ كتاب "الكنز الثمين في أحاديث النبيِّ الأمين" يحُلُّ ألفاظ أحاديثه، ويوضح مشكلها، ويفتح مغلقها، ويجمع بين متعارضها مع استنباط ما فيها من أحكام فقهية، وآداب مرضيَّة وفوائد لطيفة ومسائل نفيسة، بأسلوبٍ سهلٍ مبسوطٍ ليس فيه تطويل ممل ولا اختصار مخل، بل وسط بين طرفين».

٤- "النقد المتين لكتاب الفتح المبين"، ذلك أنَّ السيَّد عبدالله لما نقد كتاب الأربعين في أصول الدين لأبي إسماعيل الهروي، انتصر الدكتور علي بن ناصر الفقيهي للهروي باعتباره محقِّقًا له، فعاجله السيِّد عبدالله بالنقد المتين، ولم يتمه.

٥- رِسَالةٌ في معنىٰ الحَديثِ الشَّاذِ، تعقيبًا علىٰ الألبانيِّ، وهي غير تامَّة.

بالإضافة إلىٰ عددٍ من الرسائل، والإجابات والفتاوىٰ.

وقد أمدَّنا بصور هذه الأصول الشريف الماجد سيدي عبدالمغيث بن الصِّدِّيق، أكرمه الله برضاه وزاده توفيقًا.

الفائدة الثامنة

ومِن دواعي جمْعِ هذه الأعمالِ في صعيدٍ واحدٍ ما لحقَها منْ تحريفاتٍ وتصحيفاتٍ من بعضِ الذين تعرَّضوا لإعادةِ طبعِ مصنَّفات السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيقِ رحمه الله تعالى، فإنَّ الأصولَ التي قام عليها رحمَه الله تعالى كانتْ جيِّدةً، ومُطمئِنةً، بَيْدَ أنَّ الأمرَ تغيَّر؛ لا سيَّما بعد وفاتِه، فأعاد بعضُهم طبْعَ هذه المصنَّفات عِدَّة مراتٍ بدون عنايةٍ، سواءٌ في التَّصحيحِ أو الورَقِ أو الطَّبعِ، فتلاحقتِ الأخطاءُ المتعدِّدةُ المطبعيَّة وغيرُها.

وبعضُها كان شنِيعًا، مع مخالفَة الأصل، بل رأيت بعضَهم اعتدىٰ علىٰ نصِّ كتابِ "دلالة القرآن المبين علىٰ أن النبي أفضل العالمين" ليروجَ في ديارِ التَّيميِّينَ، فيقومُ بالحذفِ والتعديلِ والتزويرِ، وكان النَّاشرُ والمُزوِّرُ في غنىٰ عن الكتابِ، والكتابُ في غنىٰ عنْهُما.

وزاد بعضُهم فأثبتَ تعليقاتٍ تعارضُ بعضَ الكتبِ من قومٍ ليسوا منْ أهلِ العلمِ أو المعرفةِ، وذكَّرني هذا بما ذكرَه التَّاجُ السُّبكيُّ في "طبقات الشافعية" (١٩/٢) في ترجمة أحمدَ بنِ صالحٍ المصريِّ: أنَّ بعضَهُم تعرَّضَ لـ"شرح صحيحِ مسلمٍ" للنوويِّ فحذفَ منْ كلامِ النوويِّ ما تكلَّم به علىٰ أحاديثِ الصِّفاتِ، وقد كانَ كتابُ شيخِنا في غنْيةٍ عنْ هذا المُعلِّقِ وكان المُعلِّق في غنيةٍ عن الكتابِ.

ويزيدُني حسرةً أنَّ خدمةَ الكتُبِ تحتاجُ لمتأهِّلٍ يراعي فيها الأصولَ والضوابطَ فِي كلِّ مرحلةٍ من مراحلِ خدمةِ الكتابِ، وهذا ما لم أجِدْه في الأعمالِ التِّجاريَّة التي قامتْ بها بعضُ المكتباتِ فنشرتْ تراثَ السيِّدَ عبدَالله بنَ الصِّدِّيقِ الغُماريِّ رحمَه الله تعالىٰ، بل وتراثَ بعضِ إخوانِه فجاءَ مُشوَّهًا خاليًا منَ العنايةِ اللائقةِ، فعلىٰ هذه الطَّبعاتِ التجاريَّةِ مآخذُ حِفالٌ تدلّ علىٰ التسرُّعِ

والجهلِ والإهمالِ.

وكنتُ هذا الأسبوعِ في جوارِ الأزْهرِ الشَّريفِ فالتقَطتُ منْ إحدىٰ المكتباتِ طبعةً حديثةً من كتابِ "إحياءُ المقبورِمنْ أدلَّةِ جوازِ بناءِ المساجِدِ علىٰ القبورِ" وكتبَ الناشر اسمَ المؤلِّف هكذا : «تأليف أحمد عبدالله الصِّديق الغماري» وفي داخلِ الكتابِ كتب بعد المقدِّمة ما نصُّه: «تقديم أحمد الغماري» وكتبَ في نهاية الكتاب ما نصُّه: «المؤلف أحمد عبدالله الصِّدِّيق الغُماريُّ»

ورأيت نسخة من كتاب "الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة" للحافظ السيوطي، وبالحاشية "اتحاف ذوي الفضائل المشتهرة" للسيد المحدث عبدالعزيز بن الصديق، وقد حذف الناشر الجاهل اسمي السيوطي والسيد عبدالعزيز، وكتب اسم السيد عبدالله بن الصديق مع أنه ليس مؤلفًا لأحد الكتابين، هو مصحِّحٌ فقط .. !!

هذه شنائعُ وجهلٌ وقلَّة مبالاةِ وتركٌ للمراجعةِ، وتصدُّرُ منْ لا يعرفُ.

وملاحقةُ هذه الأخطاءِ يحتاجُ لعملٍ مفْردٍ يخرجُ في مجلَّدٍ، وأكتفِي هنا بالإحالة إلىٰ نماذجَ لبعضِ الأخطاء والتَّحريفاتِ التي وقعتْ من النَّاشرينَ في كتبِ سيِّدي عبدالله بنِ الصِّدِّيقِ المطبوعَة.

١ - بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "الإحسان في تعقيب الإتقان " المطبوع بمكتبة القاهرة - بدون تاريخ:

م	الخطأ	الصوابُ	ص	سطر
١	مطاعهم	مطاعنهم	٤	٣
٢	الآخر	المؤَّخر	١٣	١٥

م	الخطأ	الصوابُ	ص	سطر
٣	يقتضِ	يقتضي	٢٢	١١
٤	تقتُله	فقتَله	٢٦	١٢
٥	والمرسلات	المرسلات	٢٦	١٢
٦	الحاية «قرآن»	﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾	٢٩	٥
٧	العنىٰ	المعنىٰ	٣٠	١٣
٨	قراءة	قرأت	٣٢	٥
٩	أفعدك	أقعدك	٣٣	٧
١٠	أولهما	أولاها	٣٧	١٥
١١	رعمسيس	رمسيس	٥٣	٨
١٢	من جيدها علي	من جيدها طريق علي	٥٣	١٣

٢- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "أولياء وكرامات" بمكتبة القاهرة سنة ١٤١٩:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	جبة عال	جبة عسال	١٥	١
٢	قبة	قبلة	١٥	١٤
٣	الغيب	الغيث	٥١	١٤
٤	بيض	بيضي	٥٦	٣

٣- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "توجيه العناية" المطبوع بمكتبة القاهرة سنة٢٠٠٨ م:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	العلمية	العِلْمَين	١٥	١
٢	الفاضل	الفاصل	٢٥	٦
٣	نوابعن	نواب عن	٤٠	٥
٤	محمد بن عبدالكريم	محمد بن إسماعيل	٤٠	٥
٥	كالسُّنة	كالسُّنن	٤٨	١
٦	تحريمُ المتواتِر	عِزَّة المتواتر	٤٩	١٩
٧	والمطرَح	والمطرُوح	٤٩	٨
٨	أشبهما	أشبههما	٤٩	١٦
٩	العلابي	العلائي	٥١	١

* حصلَ تَكرَارٌ خطأ لسَطرينِ ونصفٍ في (ص١٧ سطر ٧، ٨، ٩).

* حصل تَكرارُ سطرٍ ونصفٍ (ص ١٤، ١٥).

٤- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "الحاوي للفتاوي" الجزء الثالث - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	أحكام	آكام	٣٨	١٨
٢	إلى	إليه	٣٨	١٧
٣	على	إلى	٤٠	٢٥

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
٤	تذهبُ الرزْخ	تذهبُ إلى البرزَخ	٥٣	١٨
٥	المستغني بالله	المستغني بأمر بالله	٥٥	١٣
٦	لما	إنَّما	٥٦	٥
٧	ذلك	بذلك	٥٦	١٤
٨	هو البدع	هو مِنَ البدعِ	٥٨	١٢
٩	الحرام	الحُرُم	٦٠	٢

* وقعَ سقْطٌ (ص ٥٨ سطر ١٣): «قدرُ النبيِّ».

* وهذا الجزءَ منَ المفترضِ أنْ يجمعَ فتاوىٰ مجلَّة الشرقِ العربي، ولكنْ بقيتْ أسئلةٌ كثيرةٌ غابت عنه.

٥- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام" مكتبة القاهرة سنة ١٤٢٤ هـ تحقيق عصام محمد الصاوي:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	قذما	قدما	٩	٣
٢	حلهم	جَلِّهم	٤٣	١
٣	بعثتَ الخشبة	بعثتَ في الخشبة	٤٩	١٨

* حصل تصحيفٌ وسقْطٌ في نقلٍ منْ كتابِ منازلِ السَّائرينَ (ص٢٦ سطر ٢)

الخطأ: حقيقةُ التوبةِ ثلاثةُ أشياء: تميز الثقة من الغرة.

والصواب: وسرائرُ حقيقةِ التوبةِ ثلاثةُ أشياءَ: تَمييزُ التقية منَ العِزَّةِ .

* حصل سقْطُ ثلاثةِ أسْطرٍ (ص ٤٥ سطر ١٨): والأهواءُ .... وإنَّما العجبُ. مِنْ نقلٍ منْ "شرح المقاصد" للسَّعد.

(تنبيه): ردَّ المحققُ المتمسلف كثيرًا من الأحاديثِ التي استدلَّ بها السيدُ عبدُالله وناقشَه في عدَّة مسائلَ، وإليكَ أمثلةً على ذلك:

* هامش (ص ٤٤)

قال المحقِّقُ المتمسلف : الأحاديثُ المذكورةُ تحتَ هذا العنوانِ واهيةٌ وموضوعةٌ، لا يجوزُ عند أهلِ الحديثِ روايتُها إلا لبيانِ وضْعِها، فكيفَ بالمؤلِّفِ رحمه الله يذكرُها محتجًّا بها؟!

* ردَّ المحقِّق المتمسلف كلامَ السيِّد عبدالله بخصوصِ الذِّكر بالاسْمِ المفرَد.فقال بعدَ أنْ قسَّم الكلامَ إلى دعْوَيَيْنِ:

«والحق أنَّ كلًّا منْهما بدعةٌ في الدِّينِ لا تجوزُ، وأدلةُ المؤلِّفِ على ذلك لا تثبُتُ بحالٍ»، وهذا المتمسلف انتصر لمذهبه المعروف وما أراد إلا نسف كلام سيدي عبدالله بن الصِّدِّيق .

٦- بعض الأخطاء في طبعة كتاب "أفضل مقول" بمطبعة القاهرة سنة ١٤٢٦ هـ:

م	الخطأ	الصواب	ص	ملاحظات
١	العَجْرد	الفَجْر	٦	
٢	قو–له	قوله	تكرر	
٣	مرَّةَ بنِ لُؤَىٰ	مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بن لُؤَيِ	١٠	

م	الخطأ	الصواب	ص	ملاحظات
4	غالبِ بنِ فهد	غالِبِ بن فِهْرِ	10	
5	مُدْركة بن اليأس	مُدْرِكَة بن إلياسِ	10	
6	أولا؟	أو لا؟	10	
7	ضرورة.	لضرورة	11	
8	غنيم	غُنم	13	هامش
9	في كتاب الغرائب والوجدان	في كتاب "الغرائبُ والوحْدان"	13	هامش
١٠	ولم أجد نبي أب	ولم أجدْ بني أبٍ	15	
11	على آثر زماني	على أثرِ زماني	16	
12	مع تأييده بقوله	معَ تأيُّدِه بقولِه	19	
13	شائع ببينهم	شائع بينَهم	20	هامش
14	الأذدي	الأزديّ	21	
15	المختصر	لمختصر	21	
16	لمخالفي الملة	المخالفي الملَّة	22	
17	نقل: من يتفكَّر	فَقَلَّ منْ يتفكَّر	22	
18	من رواية مسعود	منْ روايةِ ابنِ مسْعودٍ	23	
19	منهم	متَّهم	25	هامش

م	الخطأ	الصواب	ص	ملاحظات
20	بالتأليف الكثيرة	بالتآليفِ الكثيرةِ	27	
21	بن عمروا ابن العاص	بن عمرو بنِ العَاص	28	هامش
22	حشاش الأرض	خِشاش الأرضِ	30	هامش
23	أعلام النبيل	إعلام النَّبِيل	30	هامش
24	وأبى كعب	وأُبَيّ بن كعبٍ	31	
25	لنحترز من سوسته	لنحترز منْ وَسْوسَتِه	51	
26	نهاية الأمل في صحة	نهاية الأمال	52	هامش
27	ذخائر القصبى	ذخائرُ العُقْبى	53	هامش
28	في صورة حية	في صورةِ دِحْيَة	54	
29	الأخذ	الآخذ	55	
30	وكانت صداقته	وكانتْ صدَقاتُه	55	
31	الجار من غير محترم	الجار منه غير مُحتَرَم	55	
32	وأجب	واجب	56	هامش
33	وأنا له فضلاً	وأناله فضلًا	58	هامش
34	فسال على عن عرقه	فسال عليّ من عَرَقِه	62	
35	دخ النار	دخل النَّار	65	
36	يستنفدها	يستنقذها	66	
37	رافضي ذنديق	زِنْدِيق	67	

م	الخطأ	الصواب	ص	ملاحظات
38	إلا بالأحكام إليها	إلا بالاحْتِكام إليها	67	
39	عن أبي لهيعة	عن ابنِ لَهِيعةَ	68	هامش
40	جليل المشاش والكثد	جليل المشَاِش والكَتَدِ	86	
٤١	ششن الكفين	شَثْن الكفَّين	86	
٤٢	خالطه فعرفه	خالطهُ معرفةً	86	
٤٣	مشى الفلعة	مشي القَلَعَة	88	
٤٤	الحدو	الحدور	88	
٤٥	الهتم الذي بين كتفى	الختم الذي بيْنَ كتِفَي	89	
٤٦	قدرة إذا اقلل	قدره إذا قلل	89	
٤٧	وإذا أكبر	وإذا كبَّر	89	
٤٨	سعيد بن أحمد الغراء	سعيد بن أحمد الفرَّاء	91	
٤٩	الواد آشئ	الواديآشي	91	
٥٠	تامتيث اللواتي	تامتيت اللواتي	91	
٥١	الحسن بم على	الحسن بن علي	92	
٥٢	سالت	سألت	92	
٥٣	ابن خذاداد الكرجى	ابن خذاداذ الكرجي	92	
٥٤	فأقربه	فأقر به	92	
٥٥	في صف الفضة	في صفاء الفضة	92	

م	الخطأ	الصواب	ص	ملاحظات
٥٦	بادئا متماسكاً	بادنًا متماسكًا	92	
٥٧	مشج الصدر	مشبح الصدر	92	
٥٨	ششن الكفين	شَثْن الكفَّين	92	
٥٩	بنبوعنهما الماء	ينبُو عنْهما الماء	93	
٦٠	لا فصول فيه	لا فضولَ فيه	93	
٦١	منز-له جزَأ دخو-له	منزله جزَّأ دخوله	93	
	روح الشمائل	شروح الشَّمائِل	95	

٧- بعض الأخطاء في طبعة كتاب "خواطر دينية" ج١، ج٢ المطبوع بمكتبة القاهرة سنة ١٩٩٨م:

م	الخطأ	الصواب	ص	
1	بفضل إلَهيَةٍ	بفضل إلهيَ	3	
2	أنبطنُها	استنبطها	3	
3	جواهر عالية	جواهر غاليه	3	
4	أنالة	إنالة	5	
5	حو-له، قو-له	حوله، قوله	تكرر	
6	وأقع	واقع	9	
7	ذئبا يدخل الجنة لأنه أكل.	ذئبًا يدخلُ الجنَّة، لأنَّه أكَلَ ابنَ شرطي	9	هامش

م	الخطأ	الصواب	ص	
8	فنصحح إيمانك	فصحح إيمانك	10	
9	وبأنهم يدينون في دين	وبأنَّهم لا يدِينُونَ دين	12	
١٠	تحريصا على قتالهم	تحريضًا على قتالهم	12	
11	وهما مدينتان	وهما مدنيَّتان	13	
12	منهم مؤبدون في النار	فهم مؤبدون في النار	13	
13	تأييد لهم	تأبيدٌ لهم	14	
14	فالأعتناق	فالاعتاق	14	
15	في هذذا الموضع	في هذا الموضع	15	
16	إسماعيل و إسحاق	إسماعيل أو إسحاق	17	
17	فرسانا أجمعوه	فرْسَانًا أجمعُونَ	29	
18	فأضعوها وحرفوها	فأضاعُوها وحرَّفوها	44	
19	قصة الأفك	قصة الإفْكِ	44	
20	ولم يذكر في شأنه (المحصنات ثم لم يتوبوا...	ولم يذكرْ في شأنِه توبةً. أمَّا قاذفُ غيرِهنَّ فقدْ ذكر الله حكمِه في أوَّل السُّورةِ، حيثُ قال تعالى: (والذينَ يرمُونَ المحصناتِ ثُمَّ لم يتُوبُوا	44	سقط

م	الخطأ	الصواب	ص	
21	فأبو بكر صحابي	فأبو بَكْرَةَ صحَابِيٌّ	45	
22	أدرج القدماء	درجَ القدماءُ	45	
23	ما دامت	مادَت	45	
24	والرابع: (وأرسلنا الرياح لواقح) تلقح النبات، تجمع بين ذكره	سَطرٌ مكرَّرٌ والصَّوابُ حذْفُه	45	
25	ومنهاها	ومنتَهاها	47	
26	ويزيد عنهما	ويزيل عنْهما	48	
27	فى اعتداد	فلا اعتِدَادَ	48	
28	بأن مزية	بأنَّه مزِيَّةٌ	52	
29	ينبى	ينبَنِي	52	
30	على الاستذادة	على الاسْتِزَادةِ	53	
31	على القوْمِ	على القولِ	54	
32	ولا يشربه	ولا يشُوبُه	56	
33	لا تقضى الوقوع	لا تقتضِي الوقوعَ	58	هامش
34	وبالضرور لم	وبالضَّرُورةِ لم	59	
35	جهادا في سبيل الله	جهادًا في الله	66	
36	اسْتِهْلالٌ قويٌّ	اسْتدلالٌ قويٌّ	70	

م	الخطأ	الصواب	ص	
37	ثم يهود	ثَمَّ يَعُود	71	
38	الربابين	الرَّبا بيْنَ	74	
39	علىٰ حب	علىٰ حسْبِ	75	
40	الإصْرار علىٰ الغيرَةِ	الإصْرَار علىٰ الصَّغيرةِ	75	
٤١	حلىٰ في جِسْم	حلَّ في جِسْم	٧٨	
٤٢	أتىٰ	أُتِيَ	٧٨	
٤٣	أثنىٰ علىٰ آدابِه	أُثْنىٰ علىٰ أدَبِهم	٨٢	
٤٤	من الأدب المأخوذة	مِنَ الآدابِ المأْخُوذَةِ	٨٢	
٤٥	مثلهم في الآثم	مثلهُمْ في الإثْمِ	٨٦	
٤٦	مثله في الآثم	مثْله في الإثْمِ	٨٧	
٤٧	أسباب معايشتهم	أسْبَاب معايِشِهِمْ	٨٧	
٤٨	يبيع الخمير	يبيعُ الخمْرَ	٨٨	
٤٩	أمن الوجوب	أنَّ الوُجُوبَ	١٢٤	
٥٠	لاتنبث	لا تثبُتُ	١٢٤	
٥١	في الاجتماع	في الإجْماعِ	١٢٤	
٥٢	عقائد زائفة	عَقَائِد زَائِغَة	١٢٤	
٥٣	أمام أهل الشام	إمام أهل الشام	١٢٤	
٥٤	الإمام الشافي	الإمام الشَّافِعيّ	١٢٤	

م	الخطأ	الصواب	ص	
٥٥	لاحترقت سبحات	لأحرَقَتْ سُبُحَاتُ	١٢٥	
٥٦	وقاوم عددين	وقاوَم عدوَّيْنِ	١٢٦	
٥٧	مما أرجع فيه	مما لمْ أرجِعْ فِيهِ	١٢٦	
٥٨	أنشأ	أنشَأَه	١٢٧	
٥٩	المفكرات	المكفِّرَات	١٢٧	
٦٠	فإذا اعتراضهم	فإذا اعترضَهُم	١٢٧	
٦١	جماعة الصحابة	جمَاعَة منَ الصَّحابةِ	١٥٠	
٦٢	شخصية	شَخْصَيْنِ	١٥٠	
٦٣	محاربة وعدوه	مُحارِبه وَعَدُوّه	١٥٠	
٦٤	مرتد الغنوى	مرْثَد الغَنَوِيّ	١٥٤	
٦٥	أحداهما	إحداهُما	٣	
٦٦	وعز لها	وعزلها	٣	
٦٧	تأسسًا وتأكيدًا	تأسِيسًا وتأكيدًا	٥	هامش
٦٨	اعتناء بهاء	اعتِناءً بها	٥	هامش
٦٩	مواعد الصوم	مواعِيد الصَّوْمِ	٧	
٧٠	وجه إلى الاستاذ	وجَّهَ إليَّ الأسْتاذُ	١٠	
٧١	وله مثقفيهم	بَلْهَ مثقَّفِيهِم	١٤	
٧٢	فطن في الحجاب	فطَعَنَ في الحِجَابِ	١٦	

م	الخطأ	الصواب	ص	
٧٣	جدته قال عن	جدته قالتْ عنْ	١٦	
٧٤	مبارزه بصفح	مبارزه بصَفْحِ سيفِه	١٦	
٧٥	يفسح في مجال	يفسَح لي مجال	٨٥	
٧٦	ال الإسكندر	لا الإسكنْدر	٩٠	
٧٧	مشركو	مشْركُوا	٩١	
٧٨	أن يفعل مافعله ما فعله	أنْ يفْعَلَ مافعَله	٩٥	
٧٩	وقام رجاله باعتصاب	وقامَ رجَالُه باعتِصَامٍ	٩٨	
٨٠	وحش كأسر	وَحْش كاسِر	١٠٦	
٨١	الآفا من أهلها	آلافًا منْ أهلِها	١٠٧	
٨٢	واحة سبوة	وَاحَة سِيوَة	١٠٨	
٨٣	ورد ما	ورَدْمًا	١١١	
٨٤	جيجون وسيحون	جيحُون وسيحُون	١١٢	
٨٥	من الإمام	من الأمَامِ	١١٤	
٨٦	إنشأ الله	إنْ شاءَ الله	١١٧	
٨٧	الاتصل بالعالم	الاتِّصالُ بالعالمِ	١١٧	
٨٨	قدرة لسنانهم	قدرة أسْنَانِهم	١٢٠	

٨- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "إقامة البرهان" بمكتبة عالم الكتب ببيروت سنة ١٤٠٥:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	أقرؤه	أقرِئْه	٣١	١٧
٢	منه	منِّي	٣١	١٨
٣	نابه	ناتِئَة	٤٦	٤
٤	صياد	صائِد	٤٦	٥
٥	هرون	هارُون	٥١	١٥
٦	كفيتموه	كفَيْتكمُوه	٦٠	٩
٧	الحرام	الحرم	٦٢	١٢
٨	قلادة	قلابة	١٨	٦٣
٩	ثهج	ثبَج	٧٢	١٨
١٠	الخبر	الخير	٧٣	٨
١١	قصوا	نصوا	٧٧	١٣
١٢	إلى	إليه	٨١	١٧
١٣	الأفكار	الأحكام	٨٣	٥
١٤	ظرف لغو	ظرفًا لغوًا	٨٨	٧
١٥	المضلين	المصلين	١١٦	٦

٩- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "قصة آدم عليه السلام" بمكتبة عالم الكتب سنة ١٤٠٥:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	واهي	واهٍ	١٣	١١
٢	بال	بل	١٤	١ هامش
٣	فالمؤنثون	المخَنَّثونَ	١٩	٩
٤	سوَّاه	كلَّمه	٦٩	١٢
٥	كذبت	كلمةٌ مكررةٌ	٧٤	١٢
٦	فاستقبلهم	فاستقبلتهم	٨٤	١٢
٧	ساكنها	ساكنيها	٨٩	٢

١٠- بعض الأخطاء الواقعة في كتاب "قصة إدريس عليه السلام" المطبوع بمكتبة عالم الكتب ١٤٠٦:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	العجمية	العُجْمَة	٤	٣
٢	يزداد	تزْدَاد	٧	٩
٣	حال	كلمةٌ زائدةٌ	١٣	٢
٤	الصائبين	الصَّابِئين	٢٠	١٩
٥	كان إدريس أبيض	كان إدريسُ رجلًا أبيضَ	٢٢	١ هامش
٦	ابن حيان	ابن حِبَّان	٣٧	٥

١١- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "قصة داود" بمكتبة عالم الكتب سنة ١٤٠٦:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	بيه	بن	١٠	٤
٢	الثالث	الثالثة	٢٨	١٨

١٢- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "النفحة الإلهية" بمكتبة عالم الكتب سنة ١٤١٠:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	حفواتهم	حَفّوا بهم	٧	٧
٢	بزائدهم	برائِدِهم	٧	٨
٣	اغتبقهم	اعتنقهم	٧	١٢
٤	اغتباقا	اعتِناقًا	٧	١٢
٥	يحد	يجد	٨	٨
٦	فيشرني	فبشَّرني	١٠	١٦

١٣- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "إتحاف النبلاء بفضل الشهادة وأنواع الشهداء" بمكتبة عالم الكتب ١٤٠٥:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	دقي	ذِمِّي	٦٣	٢٠
٢	تعرف	نعرف	٦٦	١٤
٣	المتشمط	المتشحِّط	٦٧	١٦

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
٤	المتشطط	المتشحِّط	٦٧	١٩
٥	رواثق	رواةٌ ثقاتٌ	٦٨	٢

١٤- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "تنوير البصيرة" بمكتبة عالم الكتب سنة ١٤٠٦:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	قتل	فتَل	٤٨	٣
٢	فيتلغ	فيثلغ	٤٨	١٤
٣	فجعل	فعُجِّل	٥٨	١٢
٤	أرأيت قتلت	أرأيتَ إنْ قتلت	٦٠	١٩
٥	البصيري	البَصريّ	٦٢	٢٠
٦	كبارة	كفَّارة	٦٣	٢

* معَ الأخذِ في الاعْتبارِ أنَّ هذه الرسائلَ المطبوعةَ خاليةٌ -تقريبًا- مِنَ الهمزاتِ، ولا تفرِّقُ بينَ الألفِ اللَّينَة والياءِ، وبها بعضُ العباراتِ المكرَّرَةِ خطأً.

* هناكَ خطأٌ شائعٌ في ضبْطِ نِسْبةِ المؤلِّفِ رحمه الله : «الغماري» فضبطها المحرف بفتحِ الغَينِ أو بكسرِها، والصوابُ: بضمِّ العينِ نِسْبةً إلى «غُمارةَ».

١٥- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "دلالة القرآن المبين" بالمكتبة المكية سنة ١٤١٨:

نظرًا لأهميَّة الكتاب، وتفرُّده، وقوَّة مادَّته العِلْميَّة، أحب الناشر أن يقدِّمه للمستفيدين، ولكن بعد تغيير بعض معالمه التي لا تتوافق مع التيميين المتشدِّدين، فأجرىٰ تغيرات علىٰ الكتاب كان بعضها كالآتي:

١- تحريفٌ في كلامِ المؤلِّف في المقدِّمةِ الشِّعْريَّةِ (ص٣):

الخطأ المقصود:

والله أرجُو سائلًا بصفاته وبعزِّه أجرًا بلا حُسْبانِ

والصواب:

والله أرجُو سائِلًا بكتابه ونبيِّه أجْرًا بلا حُسْبانِ

٢- أسقط عمدًا عشرة أسْطرٍ (ص ١١، سطر ١٤) بسبب أنه نقَلٌ عنِ العارفِ عبدالوهاب الشَّعَرانيِّ، وهكذا مشىٰ الناشر علىٰ تغيير معالم الكتاب مع مصحِّح الكتاب من أجل موافقة التيميين!!.

الفائدة التاسعة

فإن سألتَ كيفَ تمَّ العمَلُ، وما هوَ التَّرتيبُ الذي مشيْتُ عليه؟

فالجوابُ: إنَّ مَسَيرةَ العمَلِ في هذا المجموعِ كانَت كالآتي:

١- إنَّ العمَلَ اعتَمدَ علىٰ النُّسَخ التي طُبِعتْ في حياةِ سيِّدي عبدِالله بنِ الصِّدِّيق وقامَ هو بتصحيحِها، وثَمَّ كتبٌ طُبِعتْ في حياتِه ولمْ يقُمْ بتصحيحِها، كالتي طُبِعَتْ بمطبَعةِ الأنْصارِ بالقاهرةِ، وقتَ تَواجُدِ شَيخِنا بالمغْربِ، فهي وإنْ وقعَ فيها أخْطاءٌ مطبعيَّةٌ لكنَّها قَليلةٌ بالنِّسْبةِ لغيرِها، وقدِ اعتمدتُها كأصْلٍ لعدمِ وجُودِ غيرِها وقُمْنا بتَصْويبِ ما يحتاجُ لتصويبٍ.

٢-تجنَّبْتُ أيَّ تعليقاتٍ علىٰ الكتُبِ أو إبْداءِ رأيٍ، فالَّذي أعلمُه وسمِعْتُه منْ شيخِنا وشقيقِه شيخِنا السيِّدِعبدالعزيزِ رحمهما الله تعالىٰ مرَّات أنَّه لا يحبُّ أنْ يعلِّق أحدٌ علىٰ كتبِه أو كتبِ أشقَّائِه، نعمْ احتَفىٰ أستاذُنا العلَّامةُ عبدُالفتَّاح أبو غُدَّة بشيخِه العلَّامةِ السيِّد عبدِالله بنِ الصِّدِّيقِ الغُماريِّ رحمهما الله تعالىٰ، ولكنْ أينَ الجاهلُ مِنَ العالِمِ؟ وأينَ معاوية من عليٍّ؟.

٣- تمَّ ترتيبُ العملِ كالآتي:

- كتابُ الإيمانِ
- القرآنُ الكريمُ وعلومُه
- قَصَصُ الأنبياءِ عليهمُ السَّلامُ
- الحديثُ النَّبوِيُّ الشَّريفُ وعلومُه
- فضائلُ النَّبيِّ صَلَّىٰ الله عليه وآله وسَلَّم
- أصُولُ الفِقْهِ
- الفقْهُ الإسْلاميُّ

- التَّصَوُّفُ الإسْلاميُّ
- كتابُ الأدبِ والمتفرِّقاتِ
- مباحَثَاتٌ معَ المعاصِرينَ المخالِفينَ
- النَّحْوُ
- المنْطِقُ
- كتابُ الفَتاوَىٰ
- كتابُ المقالاتِ

ثمَّ الفتاوَىٰ، وقد جعلْناها علىٰ أبوابِ الفقْه ليَسْهُل الاطِّلاعِ عليها في أبوابِها، وأفردْنا بابًا للفتاوَىٰ الحديثيَّة، وإذا كانَ المُخاطَب مِن الشَّيْخِ يحتاجُ إلىٰ بيانٍ ذكرناه في الحاشيةِ.

وخُتِمَ العملُ المبارك بالمقالاتِ وجعلت مرتَّبةً كترتيبِ الجوامعِ.

وكانَ ترتيبُ العملِ على المجلَّداتِ كما يلي:

المجلَّدُ الأول «المقَدِّماتِ وسبيل التوفيق »:

١ - مقدِّمةُ الشَّريفِ الدكتور عبدالمُنعمِ بنِ الصِّدِّيق.

٢ - استهلال لفضيلة الشيخ محمد فؤاد بن كمال الدِّين الماليزي.

٣ - مقدِّمةُ «مُشْرفِ العملِ» العبدالضعيف خادم العِلْم والعلماء.

٤ - ترجمةُ الحافظِ السَّيِّدِ أحمدَ بنِ الصِّدِّيقِ لسَيِّدي عبدالله بنِ الصِّدِّيق.

٥ - رسائل مُتبادَلة بين السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق وشَقِيقَيه العلَّامة السيِّد أحمد، و العلَّامة السيِّد عبدالعزيز.

٦ - صُورٌ لبعض الأصول الخطيَّة.

٧ - سبيلُ التَّوفيقِ في ترجمةِ عبدالله بنِ الصِّدِّيقِ.

المجلَّد الثاني: (كتابُ الإيمانِ)

١- فَتحُ المُعِين بنَقْدِ كِتابِ الأَرْبَعِين.

٢- النَّقدُ المَتِّين لكتابِ الفَتحِ المُبين.

٣- التَّحْقِيقُ البَاهِر في مَعْنَىٰ الإيمانِ بالله واليومِ الآخِر.

٤- اسْتِمْدادُ العَوْن لإثباتِ كُفْرِ فِرْعَون.

٥- قُرَّةُ العَيْنِ في أدلة إرسالِ النبيِّ ﷺ للثَّقَلَين.

٦- إرشادُ الجاهِلِ الغَوِيِّ إلىٰ وجوبِ اعتقادِ أنَّ آدمَ نبيٌّ.

٧- إعلام النَّبيهِ بسبب براءة إبراهيمَ مِن أبيهِ.

٨- إثمد العينين ببَيانِ نُبُوةِ الخَضر واسم ذي القرنين.

٩- تَنْويرُ البَصِيرةِ ببيانِ عَلامات الكَبيرةِ.

١٠- الحُجَجُ البيِّنات في إثباتِ الكَرَامَات.

المجلد الثالث: (كتاب الإيمان)

١- أولياء وكَرَامَات «النَّقْدُ المُبرَم لرِسالَةِ الشَّرَفِ المُحَتَّم».

٢- إقَامَةُ البُرهانِ علىٰ نُزول عيسىٰ عليه السَّلام آخِرِ الزَّمانِ.

٣- عَقيدَةُ أهْلِ الإسْلامِ في نُزول عيسىٰ عليه السَّلام آخِرِ الزَّمانِ.

٤- المَهْديُّ المُنتظَر.

المجلَّد الرَّابعُ: (القرآنُ الكريمُ وعلومُه)

١- فَضَائِلُ القُرْآنِ الكَرِيم (جـ١ - جـ٢).

٢- الإحْسَانُ في تَعْقِيبِ الإتْقَانِ.

٣- جَواهِرُ البَيانِ في تناسُبِ سُورِ القُرآنِ.

٤- مِنْحَةُ الرَّؤوفِ المُعْطِي ببيان ضَعْفِ وقُوفِ الشَّيخِ الهِبْطِي.

٥- أحاديثُ التفسير.

٦- بَيان صَحِيحِ الأَقَاوِيل في تَفْسِيرِ آيةِ بَني إِسْرَائِيل.

٧- تَوْضِيحُ البَيَانِ لوصُولِ ثَوابِ القُرآنِ.

٨- كمالُ الإيمان في التَّداوي بالقُرآنِ.

المجلَّد الخامسُ: (القرآنُ الكريمُ وعلومُه - قصص الأنبياء)

١- بِدَعُ التَّفاسِير.

٢- قِصَّةُ آدمَ عليه السَّلام.

٣- قِصَّةُ إدريسَ عليه السَّلام.

٤- قِصَّةُ داودَ عليه السَّلام.

٥- قِصَّةُ سُلَيمانَ عليه السَّلام.

٦- قِصَّةُ هَارُوتَ ومَارُوتَ.

المجلَّدُ السَّادسُ: (الكَنْزُ الثَّمِينُ)

المجلَّد السَّابعُ: (الحديثُ الشريف وعلومه)

١- تَوْجِيهُ العِنايَةِ لتَعْرِيفِ عِلْمِ الحَدِيثِ رِوَايةً و دِرايةً

٢- الأربَعُونَ الغُمارِيَّةِ في شُكْرِ النِّعَم

٣- الأربَعُونَ حديثًا الصِّدِّيقيَّة

٤- تمامُ المِنَّةِ بِبيَانِ الخِصال المُوجِبَةِ للجَنَّةِ

٥- الغرائبُ والوحدانُ في الحديثِ الشَّريفِ

٦- أسانيدُ السَّيِّدِ عبدالله للكتُبِ السَّبْعَة

٧- أسماءُ شُيُوخي

٨- إجازاتُ السَّيِّد عبدِالله لبَعْضِ معاصِريه

المجلَّدُ الثامنُ: (الحديثُ الشريف وعلومه)

١- نِهايَةُ الآمَالِ في صِحَّةِ وشَرْحِ حَدِيثِ عَرْضِ الأَعْمالِ.

٢- سَميرُ الصَّالِحِين.

٣- الفَتْحُ المُبين شَرْح الكَنْزِ الثَّمِين في أحاديث النَّبيِّ الأمين ﷺ.

٤- تعليقاتٌ على كتابِ "المَتْجَرِ الرَّابحِ في ثَوابِ العَمَلِ الصَّالِحِ» للحافِظ الدِّمْياطيِّ.

٥- تَخْريجُ أحاديث كتابِ "اللُّمَع" في الأصول لأبي إسحاق الشِّيرازيِّ.

٦- الابْتهاجُ في تَخريجِ أحاديث كتابِ "المِنهاجِ" في الأصول لناصر الدِّين البَيْضَاويِّ

٧- تنبيهُ الباحِثِ المُستَفيدِ للأَخْطاء الواقِعَةِ في الثَّلاثَةِ أجزاء الأول المطبوعة مِن كتاب "التمهيد" للحافظ أبي عمر بن عبدالبر.

٨- أخطاء للشَّيخِ محمد أبي زَهْرَةِ.

المجَلَّدُ التاسعُ: (فضائلُ النبي ﷺ)

١- دَلَالَةُ القُرْآنِ المُبين على أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَفْضَلُ العَالَمين.

٢- الأحاديث المُنْتَقاةُ في فَضَائِلِ رسولِ الله

٣- السَّيْفُ البَتَّار لِمن سَبَّ النَّبيَّ المُخْتار.

٤- النَّفْحَةُ الإلهيَّة في الصَّلاةِ على خَيْرِ البَرِيَّة.

٥- نَقْدُ قَصِيدَةِ البُرْدَةِ.

٦- إرشادُ الطَّالبِ النَّجِيبِ إلي ما في المَوْلد النبويِّ مِن الأكاذيب.

المجلَّدُ العاشِرُ: (الأصولُ، والفقهُ الإسلاميُّ)

أولًا الأصولُ:

١- ذَوْقُ الحَلاوَةِ في امْتِناعِ نَسْخِ التِّلاوَةِ.

٢- فَتْحُ الغَنيِّ الماجِدِ في حُجِّيَّةِ خَبَرِ الواحِدِ.

٣- القَوْلُ الجَزْل فيما لايُعْذَرُ فيه بالجهْلِ.

٤- إتقانُ الصِّنعةِ في تحقيق معنىٰ البِدْعَةِ.

٥- حُسْنُ التفهُّمِ والدَّرْكِ لمسئلةِ التَّرْكِ.

ثانيا الفقهُ الإسْلاميِّ:

٦- الأدلَّةُ الرَّاجِحَةُ في فرْضِيَّة قِراءَةِ الفاتحةِ.

٧- الحُجَّةُ المُبَيِّنةِ لعبارة المُدَوَّنَةِ.

٨- كَشْفُ أنواعِ الجهلِ فيما قيل في نُصْرَةِ السَّدْلِ.

٩- الرَّأيُ القَويمُ في وجُوبِ إتمامِ المُسافِرِ خَلْفَ المُقِيمِ.

١٠- الصُّبْحُ السَّافِرِ في تحرير صَلاة المُسَافِر.

١١- إزالةُ الالتباسِ عمَّا أخطأ فيه كثيرٌ مِن النَّاسِ.

١٢- القولُ السَّديدُ في حُكْمِ اجْتماعِ الجُمُعَةِ والعيدِ.

١٣- إسماعُ الصُّمِّ لاثباتِ تحريمِ غُسْلِ الإبن للأمِّ.

المجلَّدُ الحَادِي عشَرَ: (الفقهُ الإسْلاميُّ، والتصوُّفُ الإسْلاميُّ)

أولا: الفقهُ الإسْلاميُّ:

١- الإنارة في أدلَّة زكاة التجارة.

٢- القول المُشرِق لسبب صومِ المغربِ برؤية المَشْرِق.

٣- دفعُ الشَّكِّ والارتيابِ في تحريم نصارىٰ أهلِ الكتابِ.

٤- الاسْتِقْصَاء لأدلَّةِ تَحْرِيمِ الاسْتِمْناء.

٥- التنصيص علىٰ أنَّ حَلْقَ اللحية ليس بتَنْمِيص.

٦- تعريفُ أهلِ الإسلام بـأنَّ نقلَ العُضوِ حرام.

٧- أمنية المُتمَنِّي في تحريم التبنِّي.

٨- واضِحُ البُرهانِ علىٰ تَحْرِيمِ الخَمْرِ والحَشِيشِ في القُرْآنِ.

ثانيا : التَّصوُّفُ الإسْلاميِّ:

٩- الإعلامُ بأنَّ التصوُّفَ مِن شريعةِ الإسلامِ.

١٠- حُسْنُ التلطُّفِ في بيانِ وجوبِ سلوكِ التصوُّفِ.

١١- سِلْسِلَةُ الطَّريقةِ الصِّدِّيقية.

١٢- الدُّرَرُ النَّقية في أذكارِ وأدابِ الطَّريقةِ الصِّدِّيقية.

١٣- إرْشَادُ الأَنامِ إلىٰ ما يُتْلَىٰ مِنَ السُّورِ والأذْكَارِ في الأيَّامِ.

المجلَّدُ الثاني عشرَ: (الأدَبُ والمتفرِّقاتُ)

١- حُسْنُ البَيانِ في ليلة النِّصْفِ مِن شَعْبانَ.

٢- غايةُ الإحْسانِ في فَضْلِ زكاةِ الفِطْرِ وفَضْلِ رَمَضانَ.

٣- إتحافُ النُّبلاء في فَضْلِ الشَّهادَةِ وأنواعِ الشُّهداء.

٤- القَوْلُ المَسْمُوعُ في بيان الهَجْرِ المَشْرُوعِ.

٥- النَّفْحَةُ الذَّكِيةُ في أنَّ الهَجْرَ بِدْعَةٌ شِرْكِيَّةٌ.

٦- قَمْعُ الأَشْرَارِ عن جَريمَةِ الانْتحَارِ.

٧- الرُّؤيا في الكِتابِ والسُّنَّةِ.

المجلدُ الثالثُ عشْرَ: (خواطرُ دِينيَّة)

١ - خواطرُ دينيَّة- الجزءُ الأوَّلُ.

٢ - خواطرُ دينيَّة- الجزءُ الثَّاني.

المجلَّدُ الرَّابعُ عشْرَ: (مُباحثات مع المعاصرين المخالفين)

١ - الرَّدُّ المُحْكَمُ المَتينُ على كتاب "القول المبين".

٢ - إرغامُ المُبتدِعِ الغَبيِّ بجواز التوسُّلِ بالنَّبيِّ.

٣ - إعلام الرَّاكِعِ السَّاجِد بمعنى اتِّخاذِ القُبورِ مَساجِد.

٤ - إعْلامُ النَّبيلِ بجَوازِ التَّـقْبيلِ.

٥ - بيني وبين الشَّيخ بكر.

٦ - إتْحَافُ الأذْكِياءِ بجَوازِ التَّوَسُّلِ بالأنبياءِ والأولياءِ.

٧ - مِصْباحُ الزُّجَاجَةِ في صَلاةِ الحَاجَةِ «حديث توسُّل الضَّرير».

٨ - أسبابُ الخَلاصِ مِن الأَخْطَاءِ الوَاقِعَةِ في كتاب "تحْقِيقِ كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ".

٩ - القَوْلُ المُقْنِع في الرَّدِّ على الألبانيِّ المُبتَدِع.

١٠ - بيانُ الكَذبِ والبُهْتَانِ في دعوى الظُّلمِ والعُدْوانِ.

المجلَّدُ الخامسُ عشرَ: (النحو والمنطق)

١ - تَشْييدُ المَباني لتَوْضِيحِ ما حَوَتْهُ المُقدِّمةُ الآجُرُّومِيَّةُ مِن الحَـقائِقِ والمَعَاني.

٢ - التَّوَقِّي والاسْتِنْـزَاه عن خطأ البُناني في مَعْنَى الإله.

٣ - رَفْعُ الإشْكَال عن مَسْأَلَةِ المُحَال.

٤ - التَّـنَصُّل والانْفِصال مِن فَضِيحَةِ الإشْكَال.

المجلَّدُ السَّادِسُ عشْرَ: الفتاوَى الشرعيَّة مُرتَّبة على الفنون، وكلٌّ فتوى لها رقمٌ خاصٌّ بها:

١- عِلْم الكلام.

٢- القرآن الكريم وقصص الأنبياء.

٣- الحديث النبوي الشريف.

٤- الفقه وأصوله.

٥- التصوُّف والأدب.

٦- مسائل خلافية.

٧- السِّير والشمائل والمناقب والتراجم.

٨- فتاوىٰ عامَّة ومُتفرِّقات.

المجلَّدُ السَّابعُ عشْرَ: المقالات:

١- مقالات في عِلْمِ الكَلامِ والمنطق.

٢- مقالات في القُرآنِ الكريمِ وعلومه.

٣- مقالات في الحديثِ الشَّريفِ وعلومه.

٤- مقالات في الفِقْهِ الإسلامي.

٥- مقالات في التصَوُّفِ الإسلامي.

٦- مقالات في فضائل النبيِّ ﷺ.

٧- مقالات حول مُباحثاتٍ مع المعاصِرين.

٨- مقالات مُتنوِّعَةٌ.

٩- مُقدِّمات لبعضِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ.

المجلد الثامن عشر: الفهارس وتشتمل على:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار.

٣- فهارس موضوعات الموسوعة.

وقد ألحقتُ بالعملِ في مقدِّمتِهِ:

١- ترجمةَ السيِّدِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيقِ، بقلمِ السيِّد أحمدَ بنِ الصِّدِّيق، وهي مُسْتلَّة منْ كتابِه "سُبْحَةُ العَقيقِ لذكرِ مناقبِ الشيخ سيدي محمد بنِ الصِّدِّيق".

٢- عشرين رسالةً منَ الرَّسائلِ الغُماريَّة المتبادَلة بينَ الأشقَّاء الثلاثةِ سيِّدي أحمدَ وسيِّدي عبدِالله وسيِّدي عبدالعزيزِ حيثُ كانَ السيِّد عبدالله بالقاهرة، رَحِمَ اللهُ الجميعَ.

وقدْ أمدَّني بهذهِ الرَّسائلِ سيِّدي الشريفُ الأجَلّ عبدُالمغيثِ بنُ الصِّدِّيقِ وفَّقهُ اللهُ تعالى.

٣- إجازةَ الحافظِ السيِّد أحمدَ بنِ الصِّدِّيقِ لشقيقه السيِّدِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيق.

٤- صورةَ شهادةِ العالميةِ منَ الأزْهرِ الشَّريفِ.

٥- صورًا لبعضِ الرسائلِ بخطِّ السَّيدِ عبدِالله، ومنها ما يطبعُ لأوَّلِ مرَّةٍ.

٦- صورا لبعض الإجازات المخطوطة التي أجيز بها السيد عبدالله من مشايخه.

(تنبيه): قد يسألُ سائلٌ بما صورتُه: هل استوعبتْ هذه الموسوعةُ كلَّ أعمالِ العلَّامةِ السيِّدِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيق؟

فإجابتُه: نعَم، أرجُو أنْ يكونَ ذلك بشأنِ المطبُوعاتِ والمخْطوطاتِ التي

في تناوُلِ اليدِ.

وبقي ممَّا لم يُلحقْ هنا؛ الآتي:

أولًا: أجوبتُه الخطيَّةُ على تلاميذِه في العالمِ الإسلاميِّ وإجازاتُه لهم، وهُم كثيرونَ، وعهْدي به رحمَه الله تعالى أنَّه كانَ يردُّ على كلِّ منْ كانَ يراسِلُه.

ثانيًا: دروسُه التي كانَ يلْقِيها في الزَّاويةِ الصِّدِّيقيةِ لحواليَّ ثلاثَ عشرةَ سنةً، وختَمَ فيها كتبًا منها "نيلُ الأوْطارِ" كاملًا، وهذه الدُّروسُ سجَّلها بعضُ تلاميذِه، وتفريغُها وإخراجُها يحتاجُ لعمَلٍ مفْردٍ، والميسورُ لا يسقُطُ بالمعْسُور.

ثالثًا: تحقيقاتُه العلميَّةُ على الكتبِ، وتعليقاتُه عليها بقلمِ الأصوليِّ الفاقِه، المحدِّثِ المتكلِّمِ، وهي كثيرةٌ ذكرَها شيخُنا في كتابِه "سبيلُ التوفيقِ"، وتعليقاتُ شيخِنا بحرٌ منَ العلْمِ والتَّحقيقِ والإفاداتِ، يمكنُ توجيهُ النَّظرِ إليها في مُصنَّفٍ خاصٍّ، بشرطِ نباهَةِ الباحثِ الذي يتمكَّنُ منِ استخراجِ اللآلِيءِ المنثُورةِ على طروسِ حواشي الكاغِد، وناهيكَ بما كتبَه شيخُنا في تحقيقِه للمجلَّد السَّابعِ منِ كتابِ "التَّمْهيد" للحافظِ ابنِ عبدالبرِّ الأندلسيِّ، فلم يَفْرِ أحدٌ ممَّن تقدَّموا لتحقيقِ الكتابِ فَرِيَّهُ، فلِلَّهِ درُّه .

وفي الخاتمةِ أقولُ: إنَّ الذينَ ترجموا للسيِّد العلَّامةِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيقِ كثيرونَ، وتناولتْه بعضُ الأطرُوحاتِ العلميَّة التي كُتبتْ بإشرافِ وتوجيهِ تلاميذِ السَّيِّد عبدِالله في مقدِّمتِهم الأستاذُ الدكتورفاروق حمادة، والمؤرِّخُ الأستاذُ الدكتور محمَّد المغراوي، والأستاذ الدكتور محمَّد ابنُ الأخ المحبِّ الحاجِّ الصادقِ بنكيران، وأعمال آل الجباري بالقصر الكبير وفقَهم الله جميعًا.

ولابد أنْ أسجِّل ثَنائي على كتاب "عبدالله بنِ الصِّدِّيقِ الغُماريِّ الحافظِ النَّاقد"

لفضيلةِ أستاذنا الدكتور فاروق حمادة، وهو منْ تلاميذِ شيخِنا المتأثِّرينَ به العارِفينَ بالكثيرِ منْ أحوالِه.

وقدْ جَعلَ كتابَه فصلَيْنِ الأوَّل: لمحَاتٌ منْ حياتِه، والثاني: تعريفٌ بمؤلَّفاتِه، فعرَّفَ بطائفةٍ كبيرةٍ منْ مؤلَّفاتِه تعريفًا جيِّدًا، واختصرَ حياةَ شيخِه السيِّدِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيقِ في قَولِه (ص: ٢٩): «وكانَ سيرتُه -أعلى الله مقامَه- سيرةَ العلماءِ العامِلينَ، والزهَّادِ السَّالكينَ، والمربِّينَ النَّاصحِينَ، والغيُورِينَ المجاهدينَ، والهداةِ الذابِّينَ عن حِمى الشَّريعةِ ولم تكنْ حياتُه لتخرجَ عنْ مسالكِ التَّصنيفِ والتَّأليفِ والإجابةِ عنِ الأسئلةِ الورادة والتَّعليمِ لمنْ يتحلَّقُونَ حولَه، ويكتُبونَ إفاداتِه وتعليقاتِه، وهُناكَ أجوبةٌ لم يدوِّنْها بنفسِه ودوَّنها بعضُ تلاميذِه. وكنتُ أقولُ لإخواني الذينَ يعرفُونَه والذينَ لا يعرفُونه: إنَّ السيِّد عبدَالله بنَ الصِّدِّيقَ الغُماريَّ جبلٌ شامخٌ ولكنَّه سَهْلُ المُرْتقَى».

خاتمةُ المقدمة

وبعدُ فقد كنتُ أستَمِعُ لخطبةِ سيِّدي عبدِالعزيزِ بنِ الصِّدِّيق بالزَّاويةِ الصِّدِّيقيَّة سنةَ (١٤١٥)، فأخذتْني غفْوةٌ أثناءَ الخطبةِ فرأيتُ قبرَ السيِّدِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيقِ رحمه اللهُ تعالى، مغطًّى برُخامةٍ بيضاءَ نقيَّة جدًّا، واقتُطعَ منْ أحَدِ أركانِ القَبرِالأربَعةِ قِطْعةٌ منَّ (الرُّخامِ) فجئتُ بقطعةٍ مثلِها وفي حجْمِها ووضعتُها في الرُّكنِ الخالي فجاءتْ عليه تمامًا.

وبعدَ الصَّلاة أخبرتُ سيِّدي العارفَ بالله عبدَالعزيزِ رحمَه الله تعالى بما رأيتُ فقال لي مباشرةً بدونِ تأمُّلٍ أو توقُّفٍ: ستعملُ عملًا تستُر بهِ السيِّدَ عبدَالله.

وأرجُو أنْ تكونَ مُشاركتي في هذا العملِ وإشرافي عليه، ومنافَحتي عنه رضيَ الله عنه تصديقَ ما رأيتُ.

وختَامُه مِسْكٌ بالدُّعاءِ لوالِدِينا ولمشايخِنا، ولكلِّ ساداتِنا العلماءِ العاملينَ، ولسادتِنا الأشرافِ آلِ الصِّدِّيقِ الغُماريِّ الأعلامِ جزاءَ ما قدَّمُوه منْ خيرٍ للأُمَّةِ الإسلاميَّةِ، واللهَ أسألُ أنْ يباركَ في أبنائِهِمْ، وأخصُّ بالذِّكرِ منْهم مَن أذِنَا في هذا الجمعِ المباركِ، وشرفتُ بتوجِيهِهما وإرشادِهما: سيَّدي الشَّريفَ الأجَلّ السَّائرَ على طريقِ آلِه الدكتور عبدَالمنعِمِ بنَ سيِّدي المحدث المفيد الصوفي عبدِالعزيز بنِ الصِّدِّيقِ، وشقيقَه الدَّاعي للخَيرِ بالخيرِ والقائمَ على تراثِ آلِ الصِّدِّيق سيِّدي عبدَالمغيثِ بنَ سيِّدي عبدِالعزيز بنِ الصِّدِّيقِ، وفيهما شبَهٌ بعَمَّيْهما أحمدَ وعبدِالله فالأوَّلُ يَميلُ للثاني، والثاني يميلُ للأوَّل باركَ الله فيهما وفي ابنِ عمِّهما سيِّدي الأستاذ الدكتور محمَّد علي بنِ شيخ الجماعة سيِّدي الحسنِ بنِ الصِّدِّيق الأستاذ

بجامعةِ القَروِيِّين بتَطْوان.

وأتوجَّه بالشكر الجزيل إلى إخواني الذين توجَّهوا لهذا العمل بالصفِّ والتنسيق والضبط والإخراج بحيث ظهر بالصورة التي تسرُّ الناظرين، وأخصُّ بالذِّكر منهم فضيلة الشيخ محمد بن العلامة الشيخ عبداللطيف بن العلامة الشيخ محمد الطيب القنائي، نفعنا الله بهذا البيت الطاهر، وأجزل له ولإخوانه عظيم المثوبة.

وأسألُ اللهَ تعالى أنْ يباركَ في تلاميذِ السيِّد عبدِالله ومحبِّيهِ وعارفي فضلِه وهمْ كثيرُونَ بالمغرب والمشرق.

ورَحِمَ اللهُ شيخَنا وإمامَنا الشَّريفَ العلَّامةَ المجْتهدَ عبدَالله بنَ محمَّدِ بنِ الصِّدِّيقِ الغماريَّ الحسَنيَّ، وجمعَنا الله وإيَّاهُ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عندَ مَليكٍ مُقْتَدِر، والحمد لله في البدء والختام.

وكتب

محمود سعيد بن محمَّد ممدوح الشافعيُّ

القاهرة، في الخامس عشر من صفر الخير سنة ١٤٣٧

ملحقات المقدمة

١- ترجمة العلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ، بقلم شقيقه الحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ.

٢- رسائل مُتبادَلة بين السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق وشَقِيقَيه العلَّامة السيِّد أحمد و العلَّامة السيِّد عبدالعزيز.

٣- بعض نصوص إجازات العلماء للسيد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ.

٤- صور لمستندات خاصَّة بالمسيرة العِلْمية للسيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغماريِّ.

ترجمة العلّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ بقلم شقيقه الحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ(١)

فصل

(وِلادتُه وبدايةُ نشأتِه):

وأمَّا السَّيدُ عبدالله، فَوُلِد في أَحَد الجُمادَيْنِ، سنةَ ثمانٍ وعشرينَ، ثمَّ دخلَ المكتبَ فَحفظَ القرآنَ وهو ابنُ خمسِ سِنينَ، على الفقِيه أَبِي حامِد العَرْبِي بُودْرَة، ثمَّ بعدُ على الفقِيهِ عبدالكريمِ البَرَّاق، ثمَّ بعدَه على الفقِيهِ محمَّدٍ الأندَلسيِّ، وعليه جمعَ القُرْآنَ وحفِظَه، وأتقَنَ عِلمَ رسْمِ القُرْآنِ. وكانَ في صِغَرِهِ كثيرَ البحْثِ والسُّؤال للوالدِ عَنِ المسائلِ العلميَّة في شَتَّى الفُنونِ، وكذلك كانَ يسألني. ولمَّا توجَّهتُ إلى القاهرةِ، كان يُراسِلُني بالأسئلةِ، وبِسبَبِ سُؤالِه أَلَّفْتُ عِدَّةَ مؤلفاتٍ، "كجُزءِ المَمْسُوخِين"، و"رسالة نُبُوَّة خالِدِ بنِ سِنان والخَضِر والنِّساء"، و"تخريج أحاديث الشِّهاب"، وغيرها مع أجوبةٍ مُطوَّلةٍ في مسائلَ متعدِّدةٍ. ثمَّ لمَّا قدِمْتُ، حضَرَ عليَّ في "الآجُرُوميَّةِ" و"مُنتَقى الأخبارِ"، و"الشمائل" وغيرِها.

(القراءة بالقرويين):

ثمَّ توجَّه إلى فاس في شَوَّال سنةَ أربعٍ وأربعينَ، فأَخَذَ بها الفِقهَ على عبدِالسلام العَلَويِّ، والأصولَ على الحُسين العِراقيِّ وغيرِه، وكذلك أخذَ عن

---

(١) مأخوذة من كتاب "سبحة العقيق بمناقب الشيخ سيِّدي محمد بن الصِّدِّيق" رضي الله عنه (ل٣٨٣-٣٨٩)، وقد أثبتنا الترجمة بنصِّها، وما بين المعقوفتين عناوين تعريفية.

الحَبِيب المُهاجِي، والعَبَّاس البِنَّانِي، والرَّضِي الحِنْش، وغيرِهم.

وبَرَع في النَّحوِ والصَّرفِ، وعلوم العربيَّة، وحصلَ مِنه إقبالٌ وإكبابٌ عليهما، وألَّفَ شرْحًا حافلًا علىٰ "الآجرُّومية" في مجلَّدٍ سمَّيتُه له: "تَشْيِيد المَبانِي لِما حَوَتْه المقدِّمة الآجروميَّة مِنَ الحقائق والمعاني".

(توجُّهه للقاهرة وقراءتُه بالأزْهر):

ثمَّ توجَّه معِي إلىٰ القاهرة في سنةٍ تِسعٍ وأربعين، فأخذَ بها الفقْه المالكيَّ عن الشيخِ عِمرانَ، قرأ عليه "شرْح الدرْدِير"، والفقهَ الشَّافعيَّ علَىٰ عبدالمجيد الشَّرقاوي، أخذ عنه "شرْح الخطيب علَىٰ أبِي شُجَاع"، وعن الشَّيخ عِزَّت الشَّافعِيِّ، أخذ عنه "شرْحَ المنهج" لِشيخ الإسلام بحاشيةِ البجيرميِّ، والفرائضَ علَىٰ عبدالمجيد المتقدِّم، والأصولَ علىٰ محمَّد بن حَسَنين بنِ مخلوف العدويِّ، وكذلك آدابُ البحثِ والمناظرةِ والمنطق، علىٰ محمود الإمام، وعلىٰ الطرابلسيِّ. قرأ علىٰ الأول "تهذيب الخبيصي"، وعلىٰ الثاني "السُّلَّم" للأخْضري.

وأجازَ له أبو الفضل أحمدُ رافِع الطهْطَاوي، وعبدالحيِّ الكتَّاني، ومحمَّد راغِب الطَّبَّاخ، وخَليل الخالِدي.

ولَمَّا كُنتُ بِالشَّام اِستجزْتُ له بَدرَ الدِّين البيبَاني، ومحمَّد سعيد الفرا. وأجزتُ له إجازة مطوَّلة في سنة تِسعٍ وخمسين بطلبٍ منه مِنَ القاهرة.

(اهتمامُه بالمعقولاتِ ثم توجُّهُه للحديثِ):

وله ذكاءٌ وفِطنةٌ وإدراكٌ مع غفْلَةٍ تَلحقُه في بعضِ الأحيانِ، وكانَ ميَّالًا بطبْعِه إلىٰ المعقولاتِ، غير مُلتفِتٍ إلىٰ الحديثِ وفنونِه، وكنتُ أدعُوه إلىٰ الاشتِغال به المرَّةَ بعد الأخرىٰ، وأقولُ له: «إنَّ النَّحْوَ وغيرَه مِنَ الآلاتِ لم

تُقْصَدُ لِذاتِها، وإنَّما وُضِعَتْ للتوصُّلِ بها إلىٰ المقصودِ الأهَمِّ وهو عِلمُ الكتاب والسُّنَّة، ثمَّ المشتغِلون بها في الدُّنيا لا يُحصَوْنَ، بل لا يُوجَدُ غالِبًا إلَّا مَن يشتغِلُ بهذه العلومِ، وأمَّا السُّنَّة النَّبويَّة فعُلماؤُها أقَلّ مِنَ القليل».

فكان في بدايته يُسلِّم هذا ويُصِرُّ علىٰ الاشتغال بما هُوَ فيه، وربَّما عارَضَ ما قُلتُ في بعضِ الأحيانِ، إلَىٰ أنْ سافرَ معي إلىٰ القاهرةِ ولازمَني تلكَ المدَّةَ الطويلةَ، فكانتْ سببَ إقبالِه علىٰ الحديثِ وصرْفِ وجهَتِه إليه، خصوصًا لما صارتْ الأسئلةُ تتواردُ عليه مِنْ بعضِ أصدقائِنا المِصريِّين؛ لِظَنِّهم أنَّه مِنْ أهلِ الحديثِ كأخِيهِ، فألْجَأه ذلك إلىٰ الاشتغال بالحديثِ، وصار يَكتبُ فيه المقالاتِ المتعدِّدة في "مجلَّة الإسلام" وغيرها، وتدرَّب بِكُتبي وأجْوِبتي، وملازمَتي، في معرفةِ رجال الحديثِ وصناعتِه، مع ذكائِه وسرعةِ إدراكِه.

وألَّفَ فيه رسائلَ منها "إعْلام النبيل بِجواز التقْبيل"، ردَّ به علىٰ مَنْ يمنعُ ذلك مِن فِرق الوهَّابيَّة، وهم الخَطَّابِيَّة الموجُودون بِمِصرَ؛ وكذلك "إتحاف الأذكياء بجواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء"، ردَّ به عليهم أيضًا، وكِلْتاهُما مطبوعةٌ بمصر؛ و"ردْعُ الأشرارِ عن جريمةِ الانتحارِ"، و"تخريج أحاديث المنهاج" للبيضاويِّ في الأصول، و"الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء"، و"إقامة البرهان علىٰ نزول عِيسَىٰ في آخِرِ الزمان"، و"الحُجَج البيِّنات في إثباتِ الكراماتِ"، و"الردّ المُحْكَم المتين علَىٰ كتاب القول المبين"، وهو لِبعض الوهابيَّة، و"تخريجِ أحاديثِ اللُّمع" لأبي إسحاق الشِّيرازي، و"القول الواضح المُمَهَّد في عِلل الأحاديث الواردة في فضل التسمية بمحمد"، و"الأربعون في شكر النِّعَم"، وغير ذلك.

(مختصرُ رسالتِه في تضعيفِ ونكارةِ حديثِ الأوْعالِ):

وقد كتبَ إليَّ يخبرُني أنَّه ألَّفَ رسالةً في إبْطال حديثِ الأوْعَال، فكتبتُ إليه أُحَذِّرُه الإقدامَ على إبطال الأحاديثِ بدُون تَثَبُّتٍ، وأُوعِدُهُ بالرَّدِّ عليه وإبْطال ما كتبَ، خوفًا مِنْ أنْ يستهْويَه عُلماء الأزهر فيَسِيرَ نحوَ أهوائِهم، لما أعْلَمُه مِنْ مُرورِ الغفْلة عليه في بعضِ الأحيانِ.

فكتب إليَّ يقول: «أمَّا حديثُ الأوعال فلَمْ أضَعِّفْه تبعًا لهوىٰ السنديوني ولا لغيره، فإنِّي شحيحٌ بعقِيدتي ولله الحمدُ، وإنْ كان علمي ليس بذاك.

ولكنَّ سرَّ المسألةِ هو أنَّ حامِدًا الفقي طبَع ردَّ الدَّارِمي على بِشْرِ المريسِي، وفي هذا الردِّ تجسِيمٌ صريحٌ، كإثْباتِ المَكانِ لله تعالىٰ، والحدِّ، والقعودِ، والحركة، والثِّقلِ والخِفَّةِ، وغيرِ ذلك مِنْ صِفاتِ المُحْدَثاتِ.

فقام ضِدَّه جماعةٌ وكتبوا يُفَنِّدون الكِتابَ وما فِيه، ويَذُمُّونَ طابِعَه، مِنهم الشَّيخ الكوثري والشَّيخ الدِّجْوي، وعبدالرحمن خَليفة، وغيرهم.

وكتبَ الشَّيخ اللبَّانُ سؤالًا إلىٰ مشْيخةِ الأزهرِ يتعلَّقُ بأشياء مِنْ ذلك الردِّ، فكانَ منها حديثُ الأوْعال، وكان غرضُ الشَّيخ اللبَّان مِنْ سؤاله إلْفاتَ نظَرِ المشيخة إلىٰ ما فَعَله حامِدُ الفقي لِتُعاقِبه علىٰ ذلك، فأحالت المشيخةُ سؤالَه إلىٰ لجنةٍ مكوَّنةٍ مِنَ الشَّيخ أبي دقيقه، وعِيسىٰ منون، والجبالي، والصغاني، فأجابوا بجوابٍ فيه تخاليطُ وأغاليطُ.

وكان مِمَّا قالوه في هذا الحديثِ: «إنَّه حسنٌ علىٰ رأي التِّرمذيِّ، وصحيحٌ عند الحاكمِ، وضعيفٌ عند آخرينَ، فمَنِ اعتقدَ ضعفَه فله وجْهٌ، ومَنِ اعتقدَ صحَّتَه فله وجهٌ»، في كلامٍ مِنْ هذا القَبيل، وغرَضُهُم أنْ يُبَرِّءُوا جانِبَ الفقي

حتَّىٰ لا تَقعَ عليه مسؤليَّةٌ، مع عدَم فهْمِهم لهذهِ الأشياءِ.

فلمَّا وصل الجوابُ إلىٰ الشَّيخِ اللبَّانِ أرادَ أنْ يَردَّ ولكنَّه لمْ يَدْرِ ما يُقدِّمُ ولا ما يؤخِّرُ، وكلَّم صاحِبَنا أحمد خيري لِيُكلِّمَ الكَوْثَريَّ، فقالَ له: عندي مَنْ يقومُ بهذا غيرُ الكَوْثَريِّ، وأحالَه عليَّ. فكتبتُ ردًّا عليهم بيَّنتُ فيه خطأهُم كلمةً كلمةً، وضعَّفْتُ الحديثَ، وهوَ الواقعُ مِنْ عدَّة وجوهٍ أذكُرها لكَ مُلخَّصَةً:

أوَّلها: أنَّ الحديثَ تفرَّدَ به سِماكُ بنُ حَرْبٍ، وقد قال النَّسائيُّ: إذا انفرد بأصلٍ لمْ يَكن حُجَّة، لأنَّه كان يُلَقَّنُ فيتَلقَّنُ. وذكرتُ قول شُعْبة في قبولِه لِلتَّلقينِ، وأنَّ التَّلقينَ مِنْ أشدِّ ما يُضعَّفُ به الرَّاوي.

ثانيها: أنَّ سِمَاك مختلَفٌ فيه، فَوَثَّقَه جماعةٌ وضعَّفه آخَرون، وذكَرتُ مَنْ وثَّقه وضعَّفه.

ثم قُلتُ: إنَّ تضْعيفَ من ضعَّفه مقدَّمٌ علَىٰ توثيق مَنْ وثَّقه، لا لأنَّ الجَرحَ مقدَّمٌ علىٰ التَّعديلِ، بل لأنَّ مَنْ ضعَّفُوه بيَّنوا سببَ ضعْفِه، وذلكَ مُوجبٌ تقديمَ كلامِهم. ونقَلْتُ من "التدريب" و"النخبة" ما يؤيِّد ذلك. وذكرتُ أنَّ احتجاجَ مُسلِمٍ بِسِمَاك لا يُصَيِّرُ حديثَه حُجَّة علىٰ الإطلاقِ؛ لأنَّه إنَّما احتجَّ به في أحاديثِ انتقاها مِنْ صحيحِ مسموعاتِه، وذكرتُ جوابًا عامًّا منَ الأجوبةِ التي أجابُوا بها عَنِ الشَّيخَيْن.

ثالثها: ولو سلَّمنا أنَّ سِماكًا ثِقةٌ وألْغيْنا النَّظرَ عن تضعيفِ مَنْ ضعَّفه لوجَبَ ردُّ حديثِه هذا؛ لأنَّه اختُلِف عليه فيه كما قال الحافظ في "التهذيب". وذكرتُ ذلك الاختلافَ حسبَما بهامشِه.

رابعها: أنَّ شيخَ سِماكٍ وهو عبدالله بنُ عُميرة، فيه جَهالةٌ كما قال الذَّهبيُّ،

وقال إبراهيمُ الحَربيُّ: لا أعرفُه. وذكرتُ أنَّ إيرادَ ابنِ حبَّان له في "الثِّقَات" لا يرفعُ عنه الجَهالةِ؛ لأنَّ عادة اِبنِ حبَّان في ذلك معروفةٌ، ونقلتُ كلامَ ابنِ عبدالهادي والسَّخاويِّ في هذا المعنىٰ.

خامسها: أنَّ سندَ الحديثِ منقطعٌ؛ لأنَّ عبدالله بنَ عُميرة لم يَسمَعْ مِنَ الأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ، ونقلْتُ عبارةَ البُخاريِّ في ذلك.

سادسها: أنَّ ابنَ عَديٍّ ذكرَ هذا الحديثَ معَ أحاديثَ أُخْرىٰ في ترجمةِ يحيىٰ بنِ العَلاءِ مِنَ "الكامل"، وقال: كلُّها غيرُ محفوظةٍ.

سابعها: أنَّ الحديثَ يخالفُ القرآنَ والأحاديثَ الصَّحيحةَ في صِفاتِ الملائكةِ؛ لأنَّ القرآنَ وصفَ الملائكةَ بأنَّهم ذَوُو أجنحةٍ، وفي بعضِ الآياتِ أطْلَقَ، ومُطلَقُها محمولٌ علىٰ مقيَّدِها. وكذلك الأحاديثُ الصَّحيحة جاءتْ علىٰ غِرَارِ القُرآنِ، فبعضُها وصَفَ الملائكةَ بالأَجْنِحَةِ، وبعضُها أطْلَق، ومُطلقُها محمولٌ علىٰ مقيَّدِها.

وهذا الحديثُ أفاد أنَّ حمَلَةَ العرشِ منْهم علىٰ صورةِ الأَوْعال، ولو صحَّ لجاز أنْ يُخصَّ به عمومُ القرآنِ والسُّنَّةِ الصَّحيحةِ علىٰ قولِ الجمهورِ بجوازِ تخصيصِ القرآنِ بخبرِ الآحادِ، ولكِنْ في سنَدِه ما تقدَّم.

ثامنها: أنَّ الحديثَ يخالفُ القرآنَ أيضًا مِنْ ناحيةٍ أُخرىٰ؛ لأنَّه يُفيدُ أنَّ حمَلَةَ العرشِ الآنَ ثمانيةٌ، والقرآنُ يُفيدُ أنَّهم ثمانيةٌ يومَ القيامةِ لا الآنَ، قال تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]ومفهومُ الظرف حُجَّةٌ عند الجمهور، لا سيَّما وقد ورَدَ في الحديثِ ما يؤيِّد ذلك. وذكرتُ مُرْسَلَيِ اِبنِ إسحاق وابنِ زيد، وهُما مُصرِّحان بأنَّ حملةَ العرشِ اليومَ أربعةٌ، ويؤيِّدُهم الله

يومَ القيامةِ بأربعةٍ فيَصيرُون ثمانيةً.

تاسعها: أنَّ الحديثَ مُنْكَرُ المعنىٰ، وبيانُ نكارتِه مِنْ وجهين:

أحدهما: أنَّ الله ذمَّ المشركين علىٰ وصْفِهِم الملائكةَ الذين هُم عبادُ الرَّحمن بأنَّهم إناثٌ، وقال: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]ولم يكنْ لِيَذُمَّهم علىٰ وصفِهم الملائكةَ بصفةٍ هي أشرفُ مِنَ الصِّفة التي هُم عليها، كما يفيده حديثُ الأوعال، إذ مما لا شك فيه أنَّ الأنثىٰ أشرفُ مِنَ الوَعْل.

وثانيهما: أنَّ الوعلَ هو التَّيسُ الجَبَلِيُّ، والتَّيسُ ليسَ مما يُستَحسنُ الوصفُ به عند العربِ وغيرِهم، بل هو مَذمَّةٌ وعارٌ كما يُعلَمُ مِنْ كُتبِ الأمثال، وقد استَعملَ الشَّارعُ نفسُه وصْفَ التَّيسِ في الذمِّ، فسمَّىٰ المُحَلِّل بالتَّيسِ المُستَعارِ، وقال عنِ الذي يتخلَّفُ في نساءِ الغازِين: «**إنَّ له نَبِيبًا كَنَبِيب التَّيْسِ**». فكيف تكونُ حَمَلةُ العرشِ وهمْ أشْرَفُ الملائكةِ يحمِلُون أعظمَ مخلوقٍ وأشرَفَه في العالمِ العلويِّ علىٰ أشكال تُيُوسٍ، مع أنَّه لو وُصِف أحدٌ مِنَ النَّاسِ بأنَّه تَيسٌ لكانَ ذلك في غايةِ الذَّمِّ له؛ فالحديثُ في غايةِ النَّكارةِ.

وقلتُ: فلو سلَّمْنا سلامتَه مِنْ وجُوه الضَّعفِ السَّابقةِ، لوجَبَ ردُّه لنكارتِه، بل لا يَبعدُ أنْ يُحكمَ عليه بالوضْعِ، كما فعلَ المحدِّثُون فيما هو أقلُّ نكارةٍ مِنْ هذا. وذكرتُ بعضَ الأحاديثِ التي حَكَم الذَّهبيُّ بوضْعِها للنَّكارَة مع صِحَّة سنَدِها.

هذا ملَخَّصُ الوُجُوه التي ضَعَّفْتُ بها الحديثَ، وهي صحيحةٌ مفيدةٌ إلا الوجهَ السَّادسَ فإنِّي ذكرتُه مع علْمِي بأنَّه لا يفيدُ أصلًا؛ لأنَّ المردودَ عليهم لا يفهمونَ، ولأنَّهم اسْتَعْملوا المغالَطةَ فغالطتُهُم.

فإنْ كنتَ ترىٰ في هذه الوجوهِ شيئًا فأخبِرْنِي به؛ معَ الجوابِ عن حديثِ الرِّشْوةِ والصَّريح، فإنَّه إلىٰ الآنَ لم يَصِلْني هذا.

وأرجو أنْ تكتبُوا لي إجازةً موسَّعة تَذْكرونَ فيها مشايخَكم بِاستقْصاءٍ، ومشايخَهم كذلك إلىٰ أنْ تصِلَ إلىٰ الأثباتِ المعروفةِ...» إلخ ما في كتابِه المؤرَّخِ في خامس وعشري ربيع الثاني سنةَ تسعٍ وخمسينَ.

(جوابه عن مفعولي «قال» وأحوالها):

وكان الشَّيخ الوالد قُدِّس سِرُّه يُذاكرُه في المسائل النحويَّة، وإذا وقع ما يقتضي الكتابةَ في شيءٍ منه أمرَه بذلك، ووجدْتُ في مِحْفَظتِه جوابًا بِخطِّ المترجَمِ، نصُّه: «حضرةُ الشَّريف الجليل الأستاذ الفاضل، سيدي عبدالحفيظ حفِظَك الله، وسَلامٌ عليكَ ورحمةُ الله تعالىٰ وبركاتُه.

أمَّا بعد: ذكرتَ في كتابك أمَّنَك الله، أنَّ البحَّاثة الأديبَ السَّيدَ محمَّدَ بنَ الأزرقِ سألَ عن «قال»: هل هي متعدِّيةٌ؟ وذكرتَ أنَّ كلَّ مَنْ وصلَه السُّؤالُ توقَّفَ في ذلك بعدَ جوابِه بأنْ تنصِبَ الجُملَ، وأنَّ الفقيه السَّيد محمَّد بنَ عبدِالصَّمد أجابَ بأنَّها لازمةٌ، وطلبْتَ مِنِّي تفصيلَ القول في ذلكَ.

فاعْلَمْ أنَّ للفعلِ المتعدِّي علامتَيْنِ:

إحداهما: أنْ تتَّصلَ به هاءُ غيرِ المَصْدرِ علىٰ وجْهٍ لا يكونُ خبرًا، كما قالَ ابنُ مالك:

عَلامـةُ الفِعْـلِ المُعَـدَّىٰ أَنْ تَصِـلْ ... «ها» غَيْرِ مَصدَرٍ بِـهِ نَحْـوُ «عَمِـلْ»

ثانيتهما: أنْ يُبنَىٰ منه اسمُ مفعولٍ تامّ، أي: غير مفتَقِرٍ إلىٰ صِلَتِه بحرفِ جرٍّ.

وغيرُ خافٍ أنَّ العلامتَينِ موجودتان في «قال»، إذ يصِحُّ أنْ يقال: «هذه

كلمة قُلتُها»، و«هذا كلامٌ مَقُولٌ»، ووجودُ إحدى العلامَتَيْنِ في الفعلِ كافٍ في ثُبوتِ تعدِّيه كما يفيدُه اقتِصارُ اِبنُ مالكٍ على أوَّلِهما، وتفريعُه عليها قوله: فِانْصِبْ به مفعولَه؛ فكيفَ بوجودِ العلامتَينِ؟! فـ«قال» إذنْ متعدِّيةٌ كما قال المُراديُّ والأشْمُونيُّ، وإنْ لم يُبيِّنا وجهَ التَّعدِّي، ولعلَّهما لوضُوحِه تركاه.

وبهذا تَعلمُ أنَّ توقُّفَ مَنْ توقَّفَ في تعدِّيها بعد اِعترافِه أنَّها تَنصِبُ الجُمَلَ، غلطٌ نشأ مِنَ الغفْلةِ عَمَّا قدَّمْناه. وأفحَشُ منه قولُ سيدي محمَّدِ بنِ عبدالصَّمد أنَّها لازمةٌ؛ إذْ لا قائلَ بهِ غيرُه فيما أعلَمُ، ثمَّ المشهورُ عند الجُمهورِ أنَّها متعدِّيةٌ إلى مفعولٍ واحدٍ. وذَكَر الأعلمُ وابنُ خَروفٍ وصاحِبُ "البسيط": أنَّ سُلَيمًا مِنَ العَربِ تُعدِّيها إلى مفعولَيْنِ تشبيهًا لها بِظَنَّ في العمَلِ، وإنْ لم تُضَمِّنْها معنَاها مِنْ إفادة الظَّنِّ، واستدلُّوا بقول الشَّاعر:

قالــتْ وكنــتُ رَجُــلًا فَطِينــا ... هــذا ورَبِّ البيــتِ إسْرائِينــا

فنصبَ هنا «قالت» مفعولَيْنِ، أحدُهما: «هذا»، والثَّاني: «إسْرائِينا»، وليس معناه ظنَّتْ، وتأوَّله ابنُ عُصفورٍ: بأنَّ «هذا» مبتدأٌ و«إسْرائِين» على حذفِ المضافِ هو الخبرُ، أي: مسْخُ «إسْرائِينَ»، فحُذِفَ المضافُ وبقِي المضافُ إليه على جرِّه؛ لأنَّه غيرُ منْصَرفٍ للعَلميَّة والعُجْمةِ، قال الخُضريُّ: «وهوَ تأويلٌ بعيدٌ».

قُلتُ: وجْهُ بُعدِه فَقْدُ شرْطِ بَقاءِ المضافِ إليه على جرِّه بعد حذْفِ المضافِ، لكنْ قال: ليس إنْ كانَ المشارُ إليه بهذا النَّصْب فالتقديرُ واجبٌ أعمل القول أو لا، وإنْ كان الشَّاعر فلا يصح التقدير، وعلى المشهور فمفعولها قسمان:

الأول: المفردُ وهو نوعانِ، أحدُهما: المفردُ المؤدِّي معنَى الجملة، وذلك

كقريضٍ وخطبة، وقد اتَّفقُوا علىٰ أنَّها تَنصِبُه.

ثانيهما: المفردُ المرادُ بِهِ اللَّفظُ الذي لا يكونُ اسمًا للجملَةِ، وذلك ككَلِمةٍ ولفظةٍ، واختلفوا فيه، فذَكَر الرَّضِيُّ أنَّها تَنصِبُه، وردَّه ابنُ هِشام بأنَّه خلافُ الإجْماعِ.

قلتُ: هذا الإجماعُ مردودٌ، فإنَّ ما ذكَره الرَّضيُّ ذهبَ إليه الزَّجَّاجيُّ والزَّمخشريُّ، وابنُ خَرُوفٍ، وابنُ مالكٍ، وجعلُوا منه قولَه تعالىٰ: ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]وتبِعَهُم الأشْمُونيُّ قال: ولو كانَ يُقالُ: مَبنيًّا للفاعلِ لَنَصَب ﴿إبراهيمَ﴾.

قلتُ: وهو ظاهرٌ؛ لأنَّ بناءَه للمفعولِ، ورفعَ ﴿إِبۡرَٰهِيمُ﴾ به فرعٌ عن صحَّةِ نصبِه له مفعولًا.

زاد الرَّضي نوعًا ثالثًا ينصَبُ بـ«قال»؛ وهو ما يصِحُّ أنْ يُعَبَّر به عنِ الجملةِ وعنِ المفردِ، نحو « قُلتُ لفظًا »، فإنَّ اللَّفظَ يَقعُ عليها.

الثاني: الجملةُ، وذلك إذا حُكِيَت بـ«قالَ»، فإنَّها تكونُ في موضِع مفعولِها المفرد المتَقدِّم. ذَكَره -كما قال- غيرُ واحدٍ.

وحكَىٰ الصَّبَّانُ عن بعضِ النَّحْويين: أنَّها تكونُ في موضعِ مفعولٍ مُطلَقٍ نوعِيٍّ، وهذا ـ وإنْ لم يردُّه هو ولا الأخْضريُّ ـ باطلٌ؛ لأنَّه لا تُعرَف نيابةُ الجملةِ عن المفعول المطلقِ، والمرادُ بالجملةِ ما يعُمُّ الصَّريحةَ والمقدَّرةَ، فإنَّ المفردَ الواقعَ بعد «قال»، مِنْ غير الأنواعِ الثلاثةِ المتقدِّمةِ، يُحكىٰ كما قال الرضيُّ والسُّيوطيُّ علىٰ تقديرِ متم الجملة، وذلك نحوُ قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، أي: سلامٌ عليكُم .

وقول امرؤ القيس:

إِذا ذُقْتَ فَاهَا قلتَ: طَعمُ مُدامَةٍ مُعَتَّقَةٍ مِمَّا يَجِيءُ بِهِ التُّجُرُ

وقد ذكروا هنا كيفيَّةَ حكايةِ الجُملة الصَّريحةِ، وأنَّه يجوزُ أن تُحكى بلفظِها وبمعناها، إلَّا إذا كان فيها لحنٌ، فاختلفُوا هل يجوزُ أن تحكى به، أو يجبُ أنْ تحكى بالمعنى؟ ذهب إلى الثاني ابنُ عصفور، والصَّواب التفصيلُ بين أن تُقصدَ حكايةُ اللَّحن فتجوزُ أو لا.

فهذا ما يتعلَّق بـ«قال» من تأصيلٍ وتفصيلٍ، وقد تكلَّم عليها الصبَّان والخضريُّ فلم يُحصِّلا فيها هذا التحصيل، وإنما أكْثرا على عادتهما من تشفِّي الغليل، ولا تجْدِي كبيرَ نفْعٍ لَدَى الاعتماد عليها والتعويل.

فاعْرِضْ هذا على السَّائل وتأمَّلْ أنت وهو فيه، فإنَّه إنْ شاء الله حسَنٌ جميلٌ وافٍ بالمقصود، خالٍ من التَّطويل. فالحمدُ لله على جميع نِعَمه، الصَّغيرِ منها والجليلِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبِه، ومَنْ اقتفى أثَرهُم ونهَجَ سواءَ السَّبيل. وحُرِّر في سادسٍ وعِشرين ربيع الثاني منْ سنةِ خمسينَ وثلاثمائةٍ وألفٍ.

ولما رأى بعضُهم قولي في بعض مؤلَّفاتي: «وجماعةٌ كثيرون» على تعبيرِ المحدِّثين في ذلك، وقال: «الصَّوابُ: جماعةٌ كثيرةٌ»، وبلَّغَ ذلك لمولانا الشَّيخِ الوالدِ قُدِّس سِرُّه، كتبَ إليه يأمرُه بالردِّ على هذا فكتبَ في ذلك ردًّا حسنًا.

(تدريسُه في الأزهرِ وحصولُه على العالمية):

وكانَ أيامَ حضورِه بالأزهرِ يقرأُ معَ الطَّلبة النَّحْوَ والمنْطقَ والأصولَ والبَيانَ، وانتفعَ به جماعةٌ منهم، ودخلَ للامتحانِ وأخذَ شهادةَ العالميَّة من

الأزهر، في حين أنَّه أعلمُ وأذكىٰ بكثيرٍ ممن امتحنَه وشهدَ له.

(تدريسُه "جمع الجوامع" الأصولي ثُمَّ استقرارُه بالقاهرة):

ولما تُوفِّي الشَّيخُ قُدِّس سرُّه، رجعْنا منَ القاهرةِ ثمَّ شرعَ في قراءة "جمع الجوامع" بالجامعِ الأعظمِ منْ طنْجةَ، وأُعجبَ بقراءتِه أكثرُ الطَّلبةِ، بل اعترفُوا بعدم فهْمِهم لكلامِه لعلوِّ نفَسِه في الإلقاءِ، وكثْرةِ بحْثِه وتعمُّقِه في الغوْصِ علىٰ المعاني، إلَّا أنَّ ذلكَ لم يطلْ لعدَمِ مُكْثِه بطنْجةَ، فإنَّه لم يُقِمْ بها إلَّا ستَّةَ أشهرٍ، ثُمَّ رجعَ إلىٰ القاهرة في جُمادىٰ الأولىٰ سنةَ خمسٍ وخمسين، وأقبلَ بها علىٰ التَّدريسِ والإفادةِ، ولا يزالُ بها كذلك أعانَه الله ووفَّقه». انتهىٰ.

رسائل وخِطابات بين السَّادة العُلماء
عبدالله؛ وشَقِيقَيْه أحمد وعبدالعزيز
رحمهم الله تعالى

الرسالة الأولى[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي أمَّنكُم الله، وسَلامٌ عليكم ورحمةُ الله.

وبعد تقْبِيلِ أيديكم والسُّؤالِ عنْ أحوالِكُم التي نرجُو أنْ تكونَ بخيرٍ، وَصَلَني كتابُكم الأخيرُ وتأخَّرْتُ عنْ جوابِهِ لأنِّي كنتُ انتظرُ الانتهاءَ معَ سُلَيمانَ في مسْألةِ الكتابِ، وقد انتهَيْنا واستلمْتُ (٢٥٠ نسخةً) منَ الكتابِ، سأبعثُ منها (١٠٠ نسخةً) ومعها نسخةٌ من "البحْرِ الزَّخَّار"، ومجموعة "الرَّمْي بالسِّهام" التي ساوتْ هنا عشرَ جنيهاتٍ، وكتاب "إزالة الخطر" أُعجِبَ به كلّ من رآه هنا، فالشَّيخُ أحمد مرسي -وهو يسلِّم عليكم كثيرًا- قال لي: إنَّ أخاك مجتهدٌ مطلقٌ؛ لأنَّ له ثلاثةَ كتبٍ لم يُسبَقْ إليها، تدلُّ على اجتِهَادهِ، وهي: "تشْنِيفُ الآذَان"، و"إحياءُ المقبور"، و"إزالة الخطر".

وهو لذلك يحرِّضُ أصحابَه على اقتناءِ هذه الكتُبِ ويدعُو إليها في مجالسِه، بل قال لي منذُ أيامٍ: أنا أعتقد أنَّ أخاك وليٌّ منفوحٌ، وأنَّه في رعاية النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ويَصِفُكم عندَ أصحابِه بالحفْظِ الواسِعِ والاطِّلاع التَّامِّ.

وكذلكَ صديقٌ لنا اسمُه حمدُالله بليغٌ وهو رجلٌ صوفيٌّ صالحٌ ومحبٌّ للسُّنَّة، لا يقدِّمُ عليها مذهبًا ولا إمامًا، لَمَّا رأى الكتابَ أخذَ منه عِشرينَ نسخةً ليوزِّعَها على أصحابِه، وقال لي: إنَّ أخاكَ عالمٌ من طرازٍ آخرَ وهؤلاءِ العلماءُ الذينَ نراهُم لا يَصْلُحون أنْ يكونُوا تلامذةً له.

---

(١) من السيِّد عبدالله للسيِّد أحمد.

وكذلك صديقٌ لنا آخرُ دِمَشْقِيٌّ وهو وهَّابيٌّ معتدلٌ، أخذَ عشرَ نُسخٍ من الكتاب ليبْعَثَهَا إلىٰ دِمَشْقَ، وأثنىٰ عليكم ثناءً عاطرًا.

والمقصودُ أنَّ كلَّ منْ رأىٰ الكتابَ أطْراه وأبْدىٰ إعجابَهُ بسَعَةِ علمِكُم وقوَّة حُجَّتِكم ودِقَّةِ استنباطِكُم، وبالأمسِ جاءني خِطابٌ من شخْصٍ لا أعرفُه ببلدة بِيَلا، يطلبُ كشْفًا بأسْماءِ كتبِكُم؛ لأنَّه رأىٰ "التَّشْنيفَ"، و"إحياء المقبور"، فأُعْجِبَ بهما أيَّما إعْجابٍ.

واقتراحُ شرحِ "الرسالة" أو"ابن عاشر"حسنٌ جدًّا، وأرجو أنْ أُوَفَّق إلىٰ شرحِ "ابنِ عاشر" أولًا؛ لأنَّه أصْغرُ ويُطلبُ كثيرًا في مصْرَ والسُّودانِ.

والأزهرُ مُقْفلٌ بكلِّيَّاته ومعاهدِه والشَّيخُ قاعدٌ في بيتِهِ؛ لأنَّ للأزهريِّين جميعًا مطالبُ لم تُجِبْها الحكومةُ، فتركوا الدِّراسةَ واستقالُوا منْ وظائفِهِم بالإجْماعِ.

يُسلِّمُ عليكُم سائرُ الأصدقاءِ، وكثيرٌ منهمْ يدعونَ لكُم في كلِّ مُناسبةٍ، حقَّقَ الله الآمالَ وفرَّجَ الكربَ قريبًا بمنِّه وفضْلِه، والسَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ الله.

١٧ ربيع الآخر سنة (١٣٧٠).

الرسالة الثانية[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي عبدَالعزيزِ سلامٌ عليكمْ ورحمةُ الله.

وبعدُ: وَصَلَني كتابُك الشَّريفُ وعرفْتُ ما فيه وأخَّرَني عَنِ الجَوابِ اشْتِغالي بتصْحيحِ "البحْر الزَّخَّار"، وبتصْحيحِ "شرحِ الأمير على خليل" الذي يطبعُه صاحبُ مكتَبةِ القاهرةِ، وطلب منِّي تصْحيحَه والتَّعليقَ عليه إلى جانبِ اشتغالي بتصحيحِ كتابي "الأحاديثُ المنتقاة" الذي تمَّ وبعثْتُ بنسخةٍ منه مع نُسَخِ "إحياء المقبور" وسأبعثُ لكَ بنُسْخةٍ منْهُ مع باقي مُؤلَّفاتي بحولِ الله.

وكتاب "قطعُ الوَتِين" لابدَّ من طبْعِه إنْ شاءَ الله، وسيِّدي عبدُالحميد لا يردُّ عليه ولا يستطيعُ الرَّدَّ، بل هو في نظَري وفي الواقعِ لم يتعلَّقْ من العلمِ بكثيرٍ ولا قليلٍ، وأحسنُ ما يوصفُ به الآنَ أنَّه مسخِّن، كما يقال عندنا في الجبل: فلانٌ مسخِّنٌ، يَعْنُون: ليس بعالمٍ، ولكنَّه فوقَ العامِّي، فكذلك سيدي عبدالحميدُ هو مسخِّنٌ لا غير.

والكتبُ المخطوطةُ التي أشرت إليها، ربما نصوِّرها بالفوتوغراف عنْ طريقِ الجامعةِ العربيَّة، فقد بلغني أنَّ التَّصوير عندهم رخيصٌ ربَّما يعادلُ ثمنَ النَّسْخِ، وقد صوَّرتِ الجامعةُ العربيَّة عدَّةَ مخطوطاتٍ من مكتبةِ الأزهرِ ودارِ الكتبِ المصريَّة ومكتبةِ الإسكندرية ودارِ الكتبِ الظاهريَّة، وأرسلتْ بعْثةً إلى اصطنبول فيها ابن تاويت الطَّنْجِيُّ ورشاد صاحبُك -وهو يسلِّم عليكَ-

---

(١) من السيد عبدالله للسيد عبدالعزيز.

لتصويرِ مخطوطاتِ بعضِ المكاتبِ هناك، ورُبما أُرْسِلُ لك الملزمةَ الأولى مِنَ فهرس "الحلية" مَعَ الكتبِ لتطَّلِعَ عليها.

أبلِغْ سلامي إلى أهلِ الدِّيار جميعًا، وأخبِرِ الأخَ أنَّه وصَلَني كتابُ "الزُّهد" و"القرطاس"،ومن طرفِنا يُسَلِّمُ عليكُم سائرُ الأصدِقاءِ خُصوصًا المحمَّدي والشَّيخ محمودًا.

والأحوالُ هنا مضطربةٌ، وقد ظهرَ بعدَ قتلِ النَّقراشِي أشياءُ كثيرةٌ عن الإخوانِ وغيرِهم، ولولا لُطفُ الله لأصبَحَتِ القاهرةُ في الأُسْبوعِ الماضي ميدانَ حربٍ بينَ البيوتِ والشَّوارعِ، ولكنَّ اللهَ سلَّمَ وكشَفَ الأمرَ في آخرِ لحظةٍ، والأمرُ لله يفْعَلُ ما يشاءُ.

وأحبُّ أنْ تخبرَني ماذا تمَّ في زواجِك؟ وهل دخلتَ أوَّلًا؟ والسَّلام.

١٠ ربيع الآخر سنة (١٣٦٨).

الرسالة الثالثة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي أمَّنكم الله وسلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُهُ.

وبعد: وصَلَني كتابُكم الشَّريفُ ومعَهُ القَصِيدتانِ، ففرحْتُ لا سيَّما حينَ رأيتُ عليه ختْمًا بواسطةِ أزمور إذ يمكنُ بعدَ هذا مُكاتَبتكم رأسًا والحمد لله.

أمَّا بخصوصِ "شرح الرِّسالة" فلابُدَّ من طبْعِهِ إنْ شاءَ الله تعالىٰ؛ لأنَّ الاتِّفاقَ تمَّ بشأنِهِ، وإنَّما نحنُ في انتظارِ هُبُوطِ سِعْرِ الوَرَقِ، فلا يأسَ من طبْعِهِ بفضْلِ الله، ومنذُ أربعةِ أيَّامٍ أرسلْتُ لسيدي عبدِالعزيز (٩٩) نسخةً منْ "إزالة الخطر "في (١١) طردًا مسجَّلًا كلّ طرْدٍ (٢ كيلو)، نرجُو أنْ تصِلَ سريعًا بحولِ الله، وإذا أردتُم بعدها نُسَخا أُخْرىٰ أبعثُ بها إنْ شاءَ الله.

وفي يومِ السَّبْت الآتي ١٠ جُمادىٰ الأولىٰ سأذهبُ بمشيئة الله إلىٰ الصَّعيد لزيارةِ أبي الحسن الشَّاذليِّ وسيدي عبدِالرَّحيم القِنائيِّ، وسيكونُ معي في هذه الزِّيارة الشَّيخُ مصطفىٰ بوعشرين وعبدُالواحد التَّازيُّ والشكارة، وعالمٌ تونسيٌّ اسمُه علي خميس، وربُّما يكونُ معي أيضًا شيخُ طريقةٍ بالشَّرقيَّة اسمُه علي سالم عمَّار، وسندعو لكُم هناك لعلَّ اللهَ يتقبَّلُ ويفرِّجُ الكرْبَ عاجِلًا.

أمَّا زِيارَتي لكُم فقد كنتُ عازمًا عليها في شَعْبانَ، واتفقتُ مع عبدِالواحد التازيِّ أنْ يكونَ سفَرُنا فيها عن طريقِ البرِّ، لكنْ حيثُ أبديتُم ذلك الاقتراحَ فسأؤجِّل الزِّيارةَ إلىٰ أنْ يفرِّجَ الله عنكُم، ولعلَّ ذلك يكونُ قريبًا، ولا شيءَ من

---

(١) من السيد عبدالله للسيد أحمد.

الأخبارِ هنا يستحِقُّ الذِّكرَ، والأصحابُ كلّهم يُسِلِّمُون عليكُم ويدعُونَ لكُم.

أبلِغُوا سلامِي إلىٰ المقدَّمِ بوغابة وكلِّ مَنْ يزورُكم من الإخوانِ والسَّلامُ.

٥ جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٧٠).

الرسالة الرابعة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي أمَّنكم اللهُ، وسلامٌ عليكُم ورحمةُ الله.

وبعدُ:

وصَلَتْني منكُم عدَّةُ خِطاباتٍ وما بها عُلِم وصارَ بالبال، وزيارةُ أبي الحسن الشَّاذليِّ كانتْ بحمدِ الله زيارةً موفَّقةً، رغْم صُعُوبةِ الطَّرِيقِ ومشَقَّةِ سلُوكِها، وقدْ دعَوْنا لكمْ في ذلكَ المكانِ الطَّاهرِ، وفي ضَرِيحِ أبي الحجَّاجِ الأَقصُريِّ، وسيِّدي عبدالرَّحيم القِنائيِّ، والشَّيخِ أحمد الفرغَل، ونرجُو مِنَ الله أنْ يقبَلَ الدُّعاءَ، والشُّيوخُ الذين طلبتُم تاريخَ وفاتِهم وُفِّقْنا إلى مُعظمِهم، ولم نَهتدِ إلى بقيَّتِهم مثلَ الشَّيخ يونُس العطافي، والشَّيخ عويد نصر، والشَّيح يوسف الشبرابخومي، ومحمَّد بن ناصر شيخ روَاق اليمَن، والشَّيخ أحمد الدلبشاني؛ لأنَّ ابنَه أبا الفتوح توفِّي منذ ثلاثِ سنواتٍ، وسأُوَالي البحثَ عنهُم لعَلِّي أعْثرُ على شيءٍ يتَّصلُ بهم ولو كانَ يسيرًا.

إلَّا أنَّ الشَّيخ يونُس العطافي لم أجدْ أحدًا سمعَ به أو عرفَ جنسيَّته، وكُتب الشَّيخِ عبدالرحيمِ الأسيوطيِّ الجِرْجاويِّ أبحثُ عنها كلَّ يومٍ، وأوصيتُ عليها بعضَ الكُتُبيَّة.

وطبعُ ترجمةِ سيدي أحمد ابنِ عَجِيبة فكرةٌ جيِّدةٌ، والكتابُ يرُوجُ؛ لأنَّه مشهورٌ في هذه البلادِ فعجِّلُوا به، وقد سألتُ الشَّيخَ طه عن الشَّخص الذي

---

(١) من السيد عبدالله للسيد أحمد.

يرْوِي عنه فلم يعرفْه ولم يذكرْ شيئًا عن هذا الموضوعِ إطلاقًا، والمؤذِّن أخذتُه إلى دار الكتبِ لكنْ لم أَنْتَهِ فيه إلى شيءٍ، هل يكون هديةً أو بيْعًا؟ والغالبُ الأوَّل.

وترجَمتي سأَبعثُ بها إليكُم بحولِ الله مَعَ ما لم يتيسَّرِ الجوابُ عنه الآنَ، و"دليل مؤرخ المغرب" لم أسمعْ به وهوَ يلزَمُني جدًّا، فلو كلَّفتُم سيِّدي الحسنَ بإرسال نسخةٍ إليَّ، ونحبُّ أنْ نرىٰ إذا أمكَنَ كتابُ "التَّوبيخ الإعلاني" وما أَلَّفتُمُوه حديثًا، كما يهمُّنا كثيرًا أنْ نُوفَّقَ إلى طبْعِ ما يتَّصلُ بأجدادِنا وعائلتِنا، فهو مِنْ أوجَبِ الواجباتِ في هذا العصرِ.

والأصدقاءُ هنا كلُّهم يسلِّمُونَ عليكُم ويسألونَ عنكم كثيرًا، وليس هنا من خبرٍ جديدٍ، والأحوالُ هادئةٌ نوعًا ما، والمقدَّمُ بوغابة وصَلنِي منْه خطابٌ بعد الزِّيارة فإذا زارَكم فأبلغُوه سَلامي، والسَّلام عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه.

المبارك الغزَّاوي يُسلِّمُ عليكُم ويقولُ: إنَّه كتبَ لكُم كتابًا منذُ أيامٍ.

٢٢ رجب سنة (١٣٧٠).

الرسالة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي عبدَالعزيزِ سلامٌ عليكُمْ ورحمةُ الله.

وبعد:

وصَلَني كتابُك الشَّريفُ وما به عُلِم، وكنتُ أودُّ كثيرًا أنْ يُمْكِنكُم شراءُ "كنز العمَّال" منْ مكتبةِ العمراني؛ لأنِّي في حاجةٍ شديدةٍ إليه، إلَّا أنَّ الأخ أخبرني أنَّه أوقفَ مكتبتَه على أولادِ أولادِه، و"كنز العمال" ثمنُه مرتفعٌ هنا، وقد اشتَريتُ نُسْخةً منه في السَّنةِ الماضية بثمانيةِ جُنَيهاتٍ، وهي منْ كتُبِ الكوثَريِّ فوجدتُ الرُّطُوبةَ قد أضرَّتْ بها وأعدمَتْ الانتفاعَ منها فبِعتُها.

وسائرُ مطبوعاتِ الهندِ هنا غاليةٌ، وكتابُ زكي مجاهد أرسلتُه بالبريد المسجَّل، فلا أدري كيفَ ضَاعَ!، وأنا في انتظارِ "شرح ابن الحاجب"، وقد سرَّني كثيرًا ما أُخبرتُ به عن حُسنِ معاملةِ الأخ، وأنَّها لم تتغيَّر؛ لأنَّ الوزَّانيَّ ذكر في إحدى زياراته للرِّيفيِّ: أنَّ الفرنسيِّين غيَّروا معامَلةَ الأخ وضغَطُوا عليه، وزاد: أنَّ الملِكَ أصدر العفوَ عنه وأنَّ الفرنسيين أوقفوا تنفيذَه؛ لأنَّهم يعارضُون في إطلاقِ سَراحِهِ، وصدَّقَ الرِّيفيُّ كلامَه وقال: إنَّه واثقٌ من أنَّ الملِكَ أصْدَر العفْوَ عن الأخ، ولكنَّ الفرنسيِّين عارضُوا فيه ،شأنُهم في معارضَةِ كلِّ ما يتَّصلُ بالحرِّياتِ الفرديَّةِ والجماعيَّةِ، ويعارضُون في كلِّ خيرٍ وإصْلاحٍ، فآلمنِي هذا الخبرُ حتَّى جاء كتابُكَ، فأزالَ ما عندي مِنَ الألمِ.

أبلغْ سَلامي إلى أهلِ الدَّارِ جميعًا، وسائرِ الإخْوانِ، ومِنْ طَرَفِنا يُسَلِّمُ عليكُم سائرُ الأصْدقَاءِ.

وقد طُبع ترتيبُ "مسند الشَّافعي" لعابدٍ السِّنديِّ في جزءَيْنِ صغِيرَيْنِ، وألَّفْنا لجنةً مِنَ العلماءِ لطبْعِ مُؤلَّفاتِ أعضائِها ومؤلَّفاتِ أخرىٰ وجعلْنا الاشتراكَ فيها عشرةَ جُنيهاتٍ وربَّما نبْدأُ العملَ في الشَّهْرِ القادمِ بحولِ الله.

وبعضُ النَّتائجِ هنا تنبَّأَتْ بوقُوعِ حرْبٍ وأحداثٍ وبنَتْ ذلكَ علىٰ أنَّ مُفْتَتَحَ السنتَيْنِ الهجريَّة والميلاديَّة يوافقُ يومَ الثُّلاثاءِ وهو يومُ المكروهِ، فنسألُ الله السَّلامةَ والعافيةَ، ونرجُو أنْ يُخلِفَ اللهُ ظنَّهم ويكذِّبَ نبأَهُم والسَّلام.

وسامي النشَّار في الإسكندريَّة، وحينَ أقابلُهُ بالقاهرةِ أبلِّغُه الرِّسالة بمشيئةِ الله تعالىٰ.

٢٧ من ذي الحجة سنة (١٣٧٠) - ٢٩ سبتمبر سنة (١٩٥١).

الرسالة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي عبدَالعزيزِ سَلامٌ عليكُم ورحمةُ الله.

وبعد: وصَلَني كتابُك الشَّريفُ وعلمْتُ ما فيه، وفرِحْتُ كثيرًا بما ذكرتُه عن الأخِ، وسجَدْتُ شُكْرًا لله علىٰ ذلكَ، وهي خُطْوةٌ طيِّبةٌ سيَعقُبُها إنْ شاء الله الفرجُ التَّامُّ، والتِّلِّغراف أرسلتُه من هنا يوم ١٧ نوفمبر باسمِ مشيخةِ الطُّرُقِ الصُّوفيَّةِ وجماعةِ عُلماءِ الوعْظِ بالأزْهَرِ، وثمانِ جمعيَّاتٍ دينيَّةٍ.

وزيارتي لكُم لا أكرهُهَا بل لي رغبةٌ فيها ولكنَّها تحتاجُ إلىٰ شيءٍ من المالِ، وهو غيرُ متيَسِّرٍ، وفي عزْمي - إنْ يسَّرَ الله وسهَّلَ - أنْ أصومَ رمضانَ معكُم، والزَّواجُ صرفْتُ النَّظرَ عنه؛ لأنِّي لا أميلُ إليه الآنَ، و"البحرُ الزَّخَّار" عندي منه نُسْخةٌ معدَّةٌ لإرْسالها إلىٰ الأخِ، و"تفسيرُ القرطبيِّ" تمَّ طبعُه، فانظر الأجزاءَ التي تنقُصُ المكتبةُ منه ولوْنَ تجليدِها، وأخبرْني لأبْعثَ بها، ومجموعةَ "الرَّمْيِ بالسِّهَامِ" لم تساوِ أكثرَ من عشرةِ جنيهاتٍ، فلمْ أبِعْها وسأرسِلُها بحولِ الله ولا زلتُ أنتظرُ الكتُبَ التي ذكرها الأخ ووعدتُ بإرسالها، و"الأُبي" يساوي ما بين ثلاثةِ جُنَيهاتٍ أو ثلاثةٍ ونصفٍ وعندي منه نسخةٌ، ومسألةُ تقييدِ الطُّرودِ المرسَلَةِ بالبريد واحدة، فهنا أيضًا لا يقبلُ البريد أكثرَ من طرْدِ اثنين كيلو، وهنا علَّة أخرىٰ وهي أنَّه لا يمكنُ إرسالُ أيِّ طرْدٍ حتىٰ يُستَخْرَجَ تصريحٌ من إدارةِ الجُمْرُكِ والإدارةُ تقعُ في السَّبْتيَّة بعد بُولاق، أيْ: في آخرِ مصْرَ، ولهذا تراني أتحيَّنُ وجودَ الموظَّفِ الذي يعرفُني بالبريدِ، حتَّىٰ لا يكلِّفني الذَّهَابَ إلىٰ الجُمْركِ واستخراجَ التَّصْريحِ.

أبلغْ سلامي إلى أهلِ الدَّارِ جميعًا وسأُرسِلُ الصُّورَ في الخِطَابِ الآتي بمشيئةِ الله تعالى، ومِنْ هنا يسَلِّمُ عليكم سائرُ الأصدقاءِ وأهلُ الإسكندريَّة بخيرٍ، وسأخبِرُهم بما ذكرتَه عن قرابيهم والسَّلام.

الثلاثاء ٢ ربيع النبويّ سنة (١٣٧٠).

الرسالة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي عبدَالعزيزِ سلامٌ عليكَ ورحمةُ الله.

وبعد: فقد وصَلَني كتابُكَ الشَّريفُ منذ مدةٍ وتأخَّرتُ عن الجوابِ منتظرًا وصولَ "شرح ابن الحاجب"، فلمَّا طالَ الانتظارُ عجَّلْتُ إليك بهذا الخطاب، وقد كتبتُ إلى الأخ وأخبرتُه بأنَّ المجموعةَ لا زالتْ عندي، وأنِّي سأبعثُ به إنْ شاء الله.

وبلغَنِي عن الوزَّاني الموجودِ هنا الآنَ أنَّ الفرنسيِّين ضيَّقُوا على الأخ هناك فهل هذا صحيحٌ؟ أحبُّ أنْ تفيدَني بالتفصيلِ، ثمَّ متى يحصُلُ الإفراجُ عنه؟

والأحوالُ هنا مضطربةٌ، والأزْمةُ شديدةٌ والنَّاسُ كلُّهم يشكُونَ، وشيخُ الأزهر في خلافٍ كبيرٍ معَ الحكومةِ، وأُشيعَ أمسِ أنَّه أُقِيلَ، وعُيِّن بدلَه الشَّيخُ حمروشٌ، والشَّيخُ محمد راغب الطبَّاخ تُوفِّي في أواخرِ رمضانَ عن (٧٨ سنة)، أخبر الأخُ بذلك ليثبتَه في "معْجَم شُيوخِه".

أبلغْ سلامي إلى أهلِ الدَّار جميعًا وإلى الإخوانِ، ومن طرفِنا يُسلِّمُ عليكم سائرُ الأصدقاءِ والسَّلامُ.

يوم الثلاثاء ٢ من ذي الحجة سنة (١٣٧٠).

الرسالة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي عبدَالعزيزِ سلامٌ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه.

وبعد: وصَلَني كتابُكَ الأول ثمَّ الثَّاني معَ كتابِ الأخِ، ثمَّ كتابُ الأخ الثَّاني، فاطمأننتُ على أخبارِكم وعلى وُصُول "إزالة الخطر" والحمدُ لله.

أمَّا رِحلتُنا إلى الصَّعيدِ فكانتْ موفَّقةً بفضلِ الله، والطَّريقُ إلى أبي الحسن الشَّاذليِّ صعْبٌ شاقٌ جدًّا أكثرَ من صعوبةِ الطريقِ إلى شيخِهِ بجبلِ العلم، ويلزم مَنْ يزورُه أنْ يأخذ جميع ما يلزَمُه حتَّى ماءَ الشُّرْبِ ويستعمِلُها بتحفُّظٍ، ولو أسرفَ فيها بعضَ الشَّيء لهلكَ في الصَّحراءِ عَطشًا.

وبالجُملةِ فقد كانتْ الزِّيارةُ لذيذةً جميلةً، ودعونا لكُم هنالك كما دعونا لكم في مقام أبي الحجَّاج الأقصُريِّ بالأقْصُر، وسيدي عبدِالرَّحيم القنائيِّ، والشَّيخ فرغل بأبي تِيج، نسألُ الله أنْ يقبلَ الدُّعاءَ ويحقِّق الرَّجاءَ.

ومن الكُتُبِ المكرَّرةِ التي كان الأخُ يريد أنْ يبعثَ بها إليَّ، كتابَ "تنقيح الفُهُوم في صيغ العموم" للعلائي، و"رفع الحاجب شرح مختصر ابن الحاجب" للسُّبكي، فعجِّل بهما مع تكرُّرٍ من غيرهما.

وابعثْ أيضًا ما ألَّفته في آل البيت كـ"التدمير" فإننا بفضل الله لا نعدم مَن يطبَعُه، والضَّجَّة التي قامت هنا عن المغربِ علِمتُ أنَّ أكثرَها كَذِبٌ لا أصلَ له، والذي أثارَها أصحابُ مكتبِ المغْربِ لا بمجهودِهم الشَّخصيِّ، بل بسببِ أنَّ عبدَالكريم زكَّى كلامَهم في الدوائرِ العربيَّة وأكَّده بأنَّ الأخبارَ التي وصَلَته تُصدِّقُ ما يقولونَ، وأهلُ مصرَ كما تعلمُ تغرُّهُم المظاهرُ، فحيثُ علِمُوا أنَّ الأمير

تكلَّم وقال قامُوا وقعَدوا وعملوا مظاهراتٍ في مصرَ والإسكندريَّة، وقد فهمتُ كثيرًا من أصحابي سِرَّ المسْألةِ وأنَّ هذه حمْلةٌ ظالمةٌ، حتَّىٰ قال لي بعضُ أصحابي مِنَ العُلماءِ: لو كانَ أخُوكَ السَّيد أحمد هنا لاستطاعَ أنْ يكشفَ الحقيقةَ؛ لأنَّه لطُول مُكْثِه بمصرَ عرفَ المصريِّين واختلطَ بهِم، وله أصدقاءُ من جميعِ الطَّبقاتِ، فوجودُه هنا في هذه الفترة نافعٌ جدًّا مِنْ هذه الجهة، فقلتُ: هذا صحيحٌ، ولكنْ:

أَهـمُّ بـأمرِ الحـزْمِ لـو أسـتطِيعُه   وقد حِيـلَ بـينَ العَـيْرِ والنَّـزَوَانِ

أبلغْ سلامِي إلىٰ الأخِ وأخبره أنِّي ذاهبٌ اليومَ لزيارةِ الكوثريِّ ثمَّ بعد ذلك أجيبُه بحولِ الله، وقلْ له: إنَّ ابنَ الشَّيخِ الد لبشاني تُوفِّي منذُ أكثرَ من سنتيْنِ، أبلغْ سلامي إلىٰ أهلِ الدَّارِ جميعًا وسائرِ الإخوانِ، ومن طرَفِنا يُسلِّمُ عليكَ سائرُ الأصْدقاءِ والسَّلامُ.

يوم الاثنين ٣ من رجب سنة (١٣٧٠).

الرسالة التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي عبدَالعزيزِ سلامٌ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه.

وبعد: وصَلَني كتابُكَ الكريمُ بعد غيبةٍ طويلةٍ، فحمدتُ الله علىٰ ما أفاده من سلامةِ الأحوال، وقد اقتنَعتُ بما ذكرتَه.

و"تهذيبُ سُنَنِ أبي داودَ" اشتريتُه غاليًا، فإنَّه يُباعُ هنا بأربعةِ جنيهاتٍ فقَطْ،علىٰ حسَابِ الجزءِ بخمْسينَ قرشًا، أمَّا "الردُّ علىٰ المَنْطِقِيِّين" فهو يُساوي ذلك الثَّمنَ تقريبًا، وممَّا طُبعَ هنا حديثًا "جامع الأصول" لابنِ الأثير، وكتابُ "الشريعة" للآجُري، كما طُبعَ بالشَّام المجلَّد الأول من "تاريخ ابن عساكر" وثمنُه (٣٥٠ قرشًا)، والجزءُ الأول من "ذيل طبقات الحنابلة" لابنِ رجب وثمنُه (٢٥٠قرشًا)، وجُزْءانِ من "تاريخ حَلَب" لابنِ العديم وثمنُ الجزْء (٢٥٠ قرشًا) أيضًا، وطُبعَ بالهند أربعةُ أجزاءٍ من "الطيبي علىٰ المشكاة" ومعَه "التوربشتي" عليها وثمنُ الجزءِ (جنيهٌ مصريٌّ).

والمطبوعاتُ كثيرةٌ ولكنَّ الفُلوسَ قليلةٌ، والقدسي ماضٍ في طبعِ "تاريخ الإسلام" للذَّهبيِّ، لكنَّه يبيعُ الجزءَ بثمنٍ مرتفعٍ بالنِّسْبةِ لحجْمِ الجزْءِ، وطُبعَ جُزءٌ من "فهرس مكتبة الإسكندريَّة"، وأنا ذاهبٌ اليومَ إلىٰ كَفْرِ الدَّوَّارِ ثمَّ الإسكندريَّة إنْ شاء الله، فإذا قابلتُ الأستاذَ سامي النشَّار -وهو بجامعةِ فاروق- أبلغتُه سلامَك، وذكَّرتُه بديوان الششتري، وإنْ كانَ لم يُشْرَعْ في طبْعِه علىٰ ما أظنُّ.

ومسألةُ الأخ لا يوجدُ هنا أحدٌ نكلِّمه فيها الآن؛ لأنَّ أغلبَ رجالِ الجامعةِ

-ومنهم عزَّام- لا يزالونَ في باريسَ، فإذا حضرَ عزَّام أمكنَ أنْ نكلِّمه عنْ طريقِ سامي النشَّار بحول الله.

و"تاريخ جُرْجان" سأُرسِلُه لكَ لكنْ بعد إتمامِ قراءتِه، فإنِّي قرأتُ أكثرَ مِنْ ثلُثِه، وبعد تجلْيدِه عندَ سعد إنْ أحببتَ تجليدَه.

والشَّيخُ محمود كانَ عندي أمْسِ وهو يُسلِّمُ عليكَ، وكذلكَ أخوه المعلِّمُ حُسَين، ويسلِّمُ عليكَ الشَّيخُ عبدُالغنيِّ عبدالخالق فإنِّي زرتُه أمسِ بالسِّيدة نفيسة حيثُ استعرْتُ منه رسالةَ "وجوب الحمية عن مضار الرقية" لأنسخَها للأخ، ويسلِّمُ عليك سائرُ الأصدقاءِ، والأحوالُ هنا مضطربة والأحكام العُرفيَّة قائمةٌ، والخروجُ ممنوعٌ بعد العاشرة مساءً بأمرٍ عسكريٍّ، والجيشُ يطوفُ بشوارعِ القاهرةِ بدبَّاباتِه وسيَّاراتِه، وأُقيلتْ وَزَارة النَّحَّاس وجاءتْ وزارةُ علي ماهر، وهدأَ الحالُ بعد مجيئِها نوعًا ما، وأُقيلَ الشَّيخُ إبراهيمُ حمروش وجاء بدله عبدُالمجيد سليم شيخًا للأزهر، ومنذ أيام تُوفي زكي مبارك.

هذا ما لدينا منَ الأخبارِ وأبلغْ سَلامي إلى أهلِ الدَّار جميعًا والسَّلام.

ومنه أخبرني الأخ بوصول مجموعةِ "الرَّمي بالنشاب" فاطمأننتُ.

يومَ الإثنين ١٥ جُمادى الأولى سنة (١٣٧١).

الرسالة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي عبدَالعزيزِ سلامٌ عليكُم ورحمةُ الله.

وبعد: وصَلَني كتابُكَ الكريمُ بعد غيبةٍ طويلةٍ وما به عُلِم، ووَصَل بالأمسِ كتابُ "التشوف" -فيما يظهر- لأنِّي لم أستلِمْه؛ إذ وصَل آخرَ النَّهارِ، و"مختصر العلل الواهية" شُحِنَ معَ صندوقِ الكتبِ الذي أُرْسِلَ إلى إدريسَ مزور بالدار البيضاء، ومعه عدَّة نُسَخ من كتاب "الباحث".

و"شرح العشْماوية" سيبدأُ الحلبيُّ فيه أولَ الأسبوعِ الآتي بحول الله، لأنَّه لم يأتِ مِنَ السَّفَرِ إلَّا منذُ أيامٍ قلائلٍ، وهو سيطبَعُ أيضًا كتابَ سامي النشَّار عَنِ الششتري، والأخُ سافرَ إلى الصَّعيدِ منذُ عشرةِ أيامٍ ومعه الشَّيخ أحمد مرسي، لأنَّ بعضَ أصحابِنا هناكَ دعوه لزيارتِهم، وسيزُورُ أولياءَ الصَّعيد، لكنْ لا يزورُ أبا الحسنِ الشَّاذليَّ؛ لأنَّ زيارتَه تحتاجُ إلى تصْريحٍ واستعدادٍ خاصٍّ.

والشَّيخ الخضر حسين استقالَ من مشيخة الأزهر، ووِلِّي بعده الشَّيخُ عبدُالرحمن تاج متخرِّجٌ من السُّورْبُون بفرنسا، ومن هيئةِ كبارِ العُلماء، والشَّيخ طه الشَّعبيني تُوفِّي منذ أسبوعَين رحمهُ الله رحمةً واسعةً.

أبلغْ سلامي إلى أهلِ الدَّار جميعًا وإلى الإخوانِ؛ خُصوصًا السَّيد المكِّي الزيلاشي، وأنا في انتظار "أصول الفتوى" لابن الحارث فعجِّلْ به، وأرجُو مراعاةِ الدِّقَّة في النَّسْخِ، والسَّلام.

٧ جُمادى الآخرة سنة (١٣٧٣) - ١٢ يناير (١٩٥٤).

الرسالة الحادية عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أسماء الكتب المرسلة في الصندوق:

مع ربطتَين مِنَ "المعجم"، وربْطةٍ مِنَ "الباحث"، والكتب الكبيرة هي غالبًا، وفيما أذكره الآن:

١ - "تاريخ الخطيب".

٢ - "أجزاء القرطبي" من ١٦ إلى ٢٠.

٣ - "طبقات السلمي" نسختان.

٤ - "طبقات الحنابلة" لأبي يعلى.

٥ - ذيل "طبقات الحنابلة" لابن رجب.

٦ - "صحيح" ابن حِبَّان الأول.

٧ - "تعطيرُ الأنام" للنابلسي.

٨ - "روضات الجنات" مجلَّد ضخم طبْع إيران، أخذتُه بسبعةِ جنيهاتٍ.

٩ - "الكافي من الانتباه في أخبار النُّحاه".

١٠ - "فهرست تيمور" مجلَّدان.

١١ - "حاشية الأمير على الزرقاني" خط.

١٢ - "تاريخ الأندلس" للحُمَيدي.

وهذا ذكرته من الكتب الكبار.

ومِنَ الرَّسائلِ أوراقٌ مِنَ "المعرفة" للبيهقيِّ، و"الرِّسالة المستطرَفة"، وردُودٌ على الكوثريِّ ونحوُ ذلك، واختصار "علل ابن الجوزي" للذهبي، وكراريس

بخطِّك في الذَّيل على "اللآلئ المصنُوعة".

أما "إحياء المقبور" فسأشتري منه نُسَخًا إنْ شاء الله وأبعثُ لك بها.

ومما في الصُّندوق بعضُ نُسخ من "التصوُّر والتصديق" أيضًا.

الرسالة الثانية عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي عبدَالعزيزِ سَلامٌ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه.

وبعد: وصَلَني أمْسِ كتابُ مِنَ الأخ وليتَهُ لمْ يصِلْ، فإنَّه فاجأني بخَبرٍ محزِنٍ أسِفتُ لقراءتِه غايةَ الأسَفِ، بل ظللْتُ طولَ يومي حزينًا كئيبًا لهذه المصيبةِ الجديدةِ، فإنَّ النَّفيَ أشدُّ مِنَ الاعتقالِ، ولكنْ لمَ تسكتُونَ؟ بل اسعَوْا واجتهِدُوا وأقيمُوا محاميًا إذا اقتضىٰ الأمرُ، والقوانينُ الماشية في الدُّنيا كلّها أنَّ الشَّخصَ لا يُعاقَبُ علىٰ جريمةٍ مرَّتينِ، وقد عُوقبَ الأخُ بالسَّجنِ والغرامةِ، فكيفَ يُعاقبُ ثانيًا؟! هذا كلامٌ فارغٌ، وأظنُّه تهويشًا مِنَ الإدارةِ الدَّوليَّةِ بطنْجةَ لتَخْتبَركم، فلا تُظهرُوا ضعْفًا أبدًا، وعلىٰ كلٍّ فلا يتعَجَّلِ الأخُ بالسَّفرِ فلَعلَّ اللهَ يغيِّرُ الحالَ، وإنْ عزمَ علىٰ السَّفرِ إلىٰ مصرَ كما في كتابِه عنْ طريقِ البرِّ، فإذا وصَل بَنْغازي فليكتبْ إليَّ منها لنُسهِّلَ له طريقةَ الدُّخولِ بواسطةِ قنْصُل ليبيا في مِصرَ، فإنَّه صديقٌ لنا وعنده مُرُوءةٌ، ونسْألُ الله أنْ يسهِّلَ لهُ كلَّ خيرٍ، ويُستحْسَن أنْ تبعثَ كتابَ تهْنِئةٍ إلىٰ الأستاذِ علي سامي النشَّار؛ لأنَّه عُيِّن مُستشارًا لمجلسِ قيادةِ الثَّورةِ، فلربَّما تحتاجُ إليه فيما يتَّصلُ بالأخِ.

أبلغْ سلامي إلىٰ أهلِ الدَّار جميعًا والإخوانِ، وأبلغْ سلامي إلىٰ أبي الفيضِ بصفةٍ خاصَّةٍوقُل له: لا يتَعَجَّل بالسَّفرِ والسَّلامُ.

٥صفر سنة (١٣٧٣).

الرسالة الثالثة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي أمَّنكم الله وسلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه.

وبعدُ: فأهنِّيكُم بالعامِ الهجريِّ الجديدِ، جعلَه الله عامَ فرَجٍ وخيرٍ وسعادةٍ وكلّ عامٍ وأنتُم بخيرٍ.

ومنْ عجائبِ ما حَصَل هنا أنَّ الشَّيخَ الخضر التونسيَّ تولَّىٰ مشيخةَ الجامعِ الأزهرِ، وكانَ تولِّيهِ هذا المنصب مفاجأةً لم تخْطرْ علىٰ بال أحدٍ، وقد زُرتُه أوَّل أمسٍ وهنَّأْتُه، وهوَ وإنْ كانَ عديمَ الفائدةِ خيرٌ منْ عبدِالمجيد سليم الذي قرَّبَ أمثال الزيَّات صاحبَ "مجلة الرِّسالة"، وشلتوت ومحمَّد المدني ورقَّاهم.

والشَّيخ أحمد شاكر يسلِّم عليكم وقد أشرفَ علىٰ الانتهاءِ منَ الجزءِ الأول من "صحيح ابن حبَّان"، وأخشىٰ ما أخشاه أنْ تفوتَنا نسخةٌ منه لغلائِه وعدمِ النُّقودِ، وعندي الجزءُ الأول من كتاب "تصحيح الأغلاط الكتابية الواقعة في النسخ الطحاوية" لمؤلِّفه محمَّد أيُّوب بن محمَّد يعقوب المظاهريِّ السهارنفوريِّ طُبع سنة (١٣٦٩)، صحَّحَ فيه الأغْلاطَ الإسناديَّة وغيرَها الواقعةَ في كتابِ "معاني الآثار"، وهو مفيدٌ في بابِهِ فإنْ لم يكنْ عندكُم جلَّدتُه وبعثْتُ بِهِ إليكُم.

والحاجُّ محمَّد رمضان المدني الكتبي تُوفِّي يومَ الخميس رحمه الله وغفرَ لنا وله، وسامي الخانجي يَطبَعُ "إعجاز القرآن" لأبي عُبَيْدَةَ، كما أنَّ الشَّيخَ سُليمانَ يطبَعُ "إعجاز القرآن" للخَطَّابيِّ بتعْلِيقاتي، والأحْوالُ هادِئةٌ.

يسلِّمُ عليكم سائرُ الأصدقاءِ خصوصًا الشَّيخ محمود وقريبه مصطفىٰ سنبل، وأبلغُوا سلامي إلىٰ أهلِ الدَّار جميعًا والسَّلام.

يوم الأحد غرة محرم سنة (١٣٧٢).

الرسالة الرابعة عشر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي أمَّنكم الله وسلامٌ عليكُم ورحمةُ الله.

وبعدُ:

وَصَلَني كتاباكُم الكريمانِ وما بهما عُلِم، وأخَّرَني عنِ الجوابِ اشتِغالي بالتَّعْليقِ علىٰ أربَعِ رسائلَ للمَقْريزي، **إحداها**: حصولُ الإنْعام والمير بالدُّعاء بخاتمةِ الخيرِ، **والثانية**: صلاةُ الليلِ مثْنىٰ مثْنىٰ، **والثالثة**: ذمُّ بني أُميَّة ومدحُ العبَّاسيِّين، **والرابعة**: ضوْءُ السَّاري علىٰ خبرِ تميمِ الدَّاري.

وهذه الرسائلُ بَعثَ بها إليَّ منْ لندن الأستاذُ أحمد الغوابي الذي قدَّم لجامعة كمبرج بحثًا عن المقريزي، وكتبَه ليأخذ به الدكتوراة، وسألَ أعضاءَ البعثاتِ المصريَّة بلندن عمَّن يعرفُ الحديثَ ويتخصَّصُ فيه فأحالوه عليَّ.

ومسألةُ علي الخواص أميلُ إلىٰ ترْجِيحها، وقد سَألتُ الشيمي فقال: إنَّه لم يجدْ أحدًا نوَّه عنه أو نقلَ كلامَه إلَّا بواسِطةِ الشَّعرانيِّ، علىٰ كثرةِ ما قرأ من كُتبِ التَّصوُّف، لكنْ ذكر أنَّ عنده رسالةً مخطوطةً من تآليف أفضلِ الدين، وسأطَّلع عليها وأتحقَّق من أمرِها، وقد ظهر تأليفٌ في ترجمة الشَّعرانيِّ ورأي المستشرقين فيه لطه عبدالباقي سرور، أفاضَ في مدحِ الشَّعراني وتصوُّفِه، وهاروني لم يصِلْ منه شيءٌ بعد خطابِه الأول الذي أجبتُه عنه، ولعلَّ الله يوفِّقُنا لإجابةِ مطالبِه، والأمرُ لله يفعلُ ما يشاء.

---

(١) من السيد عبدالله للسيد أحمد.

جاءني خطابٌ منْ عبدِالحيِّ الزيلاشي ورفقَتُه بدِمَشْقَ يطلبونَ اسْتِخراجَ الإذنِ لهم بدُخُولِ مِصْرَ لحضورِ العِلْم.

أبلغُوا سلامي لأهلِ الدَّار خصوصًا مَلَكَة، ومنَّا يسلِّمُ عليكم سائرُ الأصدقاءِ خصوصًا الشَّيخ أحمد مرسي والتبر والسَّلام.

يوم الأحد ٢ جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٧٢).

الرسالة الخامسة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي أمَّنكم الله وسلامٌ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه.

وبعد: فقدغابَ عنِّي كتابُكم مدةً ثمَّ جاءني خطابٌ من سيِّدي عبدِالعزيز علمتُ منه بمرضِكُم، فتألمتُ كثيرًا ودعوتُ لكم بالشِّفاء العاجلِ، كما طلبتُ مِنَ الشَّيخِ محمود فدعا لكم عند الشَّيخِ الحنفيِّ والسَّيدةِ زينبَ وغيرِهما، ونسألُ الله أنْ يَقبلَ الدُّعاء ويُعجِّلَ بالشِّفَاءِ.

و"العقد الفاخر" بعثْتُ به يومَ الإثنين ٢٩ رجب فلعلَّه وصَلَ، والجوابُ عنه بالطَّريقِ، وليس لدينا جديدٌ في الأخبارِ، ولعلَّ الله يُسهِّل مجيئكم إلينا بعد انتهاءِ فترةِ الاعتقال.

كما أرجُو إرسالَ نسخةٍ من "أزهار البستان في طبقات الأعيان" إذا أمْكنَ، فإنَّه سيُطبع إذا حَصل الاتِّفاقُ بحول الله، لكنْ لا يحصلُ الاتِّفاقُ إلَّا بعد رؤيةِ الكتابِ.

أبلغُوا سلامي إلى سيِّدي إبراهيمَ ومَنْ بطرفِكُم من أهل الدَّار، ومن عندنا يسلِّمُ عليكم، جميعُ الأصدقاءِ، خصوصًا الشَّيخ أحمد مرسي الذي يسألني عنكم كلَّ مرَّةٍ، ويُثني عليكم الثَّناءَ العاطِرَ في كلِّ مناسبةٍ، ولمناسبةِ رمضانَ أهنِّيكم بحلولِه وكلّ عامٍ وأنتم بخيرٍ،وفي الختامِ أكرِّر الدُّعاءَ لكم بالشِّفاء التَّامِّ العاجلِ والسَّلام.

٢٥ شعبان سنة (١٣٧٢).

العتابي قابَلَني أمْسِ وألَحَّ عليَّ أنْ أبلِّغكم سلامَهُ.

الرسالة السادسة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي أمَّنكم الله وسلامٌ عليكُم ورحمة الله، وكلُّ عامٍ وأنتم بخيرٍ.

وبعد: فقد غابتْ عني كتبكم غَيْبةً طويلةً لم أعهَدْها منكم، فتشوَّش فكري وتبَلْبَل خاطِري، وهمَمْتُ أنْ أبعَثَ بتلغراف أستفْهِمُ به عنِ الأحوال، وزاد في قَلَقِي ما نسْمَعُه منْ أخبارٍ مُزعجةٍ عنِ المغربِ، كما صادفَ أنَّ سيِّدي عبدَالعزيز لم يكتبْ إليَّ منذ مدَّةٍ طويلةٍ أيضًا، فأنا في غايةِ القَلَقِ والانزعاجِ، ونرجُو الله أنْ يكونَ المانعُ خيرًا.

ثمَّ إنَّ الجزءَ الأول مِنَ ابنِ حِبَّان ظهرَ، وثمنُه كما أخبرتُكم أربعةُ جنيهاتٍ، ومولاي أحمد التبر موجُودٌ هنا سيسافرُ إلى السُّودانِ ثمَّ المغربِ، وهو يسلِّمُ عليكم ويقولُ: إنَّ خروجَكم يوافقُ مجيءَ الفرَجِ العامِّ.

والأحوالُ هنا مستقرَّةٌ، والشَّيخُ الخضر صدَقَ ظنِّي فيه فلم يفعلْ في مسألتي شيئًا ولا يريدُ أنْ يفعلَ، والشَّيخ محمود ماتتْ أمُّه، وهو يسلِّمُ عليكم كما يسلِّمُ عليكم سائرُ الأصدقاء خصوصًا الشَّيخ أحمد مرسي والشَّيخ القباني.

أبلغُوا سلامي لمنْ بطرَفِكم منْ أهلِ الدَّارِ والإخوانِ، وأنا في انتظار الجوابِ العاجِل ليطمَئنَّ قلبي والسَّلام.

يوم الاثنين ٢٠ من ربيع النبوي سنة (١٣٧٢).

الرسالة السابعة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي عبدَالله السَّلامُ عليكُم ورحمةُ الله تعالىٰ وبركاتُه[١].

أمَّا بعدُ: فساعتَه قرأتُ جزءَك المسمَّىٰ "نهاية الآمال حديث عرض الأعمال" ويعدُّ جزءًا مفيدًا حسنًا، وقلمُك فيه قلمُ محدِّثٍ محقِّقٍ منذ وقتٍ للفنِّ يدلُّ علىٰ أنَّك قد وجَّهتَ عنايتَك للحديثِ الشَّريفِ أكثرَ من ذي قبل؛ لأنَّ كتابتَك فيه أعلىٰ من كلِّ كتابةٍ رأيتُها لك في الحديثِ، وكنتُ أودُّ لو وقفتَ علىٰ كتابتي فيه، فإنِّي كنتُ كتبتُ فيه كتابةً مطوَّلةً للشَّيخ يوسف الدِّجوي رحمه الله، وأظنُّها عندك؛ لأنَّ فيه من الكلامِ علىٰ توجيه صحَّته وأنتَ لم تتعرَّض له، والأمرُ سهلٌ، وليس في الجزءِ ما يلاحظُ إلَّا نقلُك عن المناويِّ.

قوله: «تُحدِّثون ويُحدَّث لكم» بتشديد الدَّال فيهما، فإنَّ هذا من أخطاءِ المناويِّ المضحِكةِ، فإنَّ الرَّجُلَ لفرْطِ بلادَتِه، كان لم يدرِ ما يخرُجُ من رأسِهِ في المتْنِ والإسْنادِ، كما بينَّا في الثاني فقط في "المداوي"البالغِ ستةَ مجلَّداتٍ، فقولُه الذي نقلتَه لا يُوافَقُ عليه لغةً ولا معنىٰ، أمَّا اللغة فلا يُقال: «يحدَّث لكم»، بل يقال: «تُحدِّثون وتحدَّثون» بفتح الدال في الثاني، أو «تُحدِّثُون وأحدِّثُكم» أمَّا «يحدَّثُ لكم»، فلا تساعدُه اللغةُ، وأمَّا المعنىٰ ففاسدٌ من وجوهٍ، يطولُ ذكرُها، ويكفي في تعيين المرادِ قوله في الوفاة: «تُعرَضُ عليَّ أعمالُكُم» فهذا صريحٌ في بيانِ الشَّطرِ الأول، وهو ما ذكرتَه أنتَ احتمالًا بعدَ كلامِ المناويِّ، مع أنَّه لا

---

(١) من السيد أحمد للسيد عبدالله.

معنىٰ للحديثِ إلَّا ما ذكرت، فكان الواجبُ أنْ يتصَدَّر بكلامِك، ثمَّ تنبِّهَ بعدَه علىٰ خطأ المناويِّ في فهمِه، ولعلَّك تعيدُ طبْعَ الكتابِ فتفعلُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ، وتشيرُ إلىٰ كونِ المناوي أخطأ كما في "المداوي".

ولما ذكرتَ الوجوهَ في الجوابِ عن الإشكالِ الواردِ علىٰ حديثِ الحوْضِ لم تنتَبِهْ لجوابِنا، وهوَ قاطعٌ لكلِّ إشكالٍ، مانعٌ له من عُروقِه، فإنَّ جوابَنا عن هذا الإشكال أنَّ قوله: «**إنَّك لا تدري ما أحْدَثُوا بعدك**» تقريرٌ أو خبرٌ في معنىٰ الاستفهام، كأنَّه قيل له: «ألستَ تدْري ما أحدثُوا بعدَك؟»، وذلك أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وإنْ كان عالمًا بما أحدثُوه، فإنَّه لشفَقتِه وحقيقتِه التي رُكِّبَ عليها وهيَ الرَّحمةُ العامَّةُ للخلْقِ كافَّةً أرادَ أنْ يتغاضى عنْ ذلك، ويذكِّرهم لعلَّ الله يجيبُه إلىٰ طلبِه كما فعلَ معَ بعضِ أهلِ الجاهليةِ، ومعَ عبدِالله بن أُبيٍّ سَلُول، فإنَّ عُمَر لما ذكَّره بنفاقِه لم يرْجِعْ عنْ ذلكَ طمَعاً في رحمةِ الله تعالىٰ حتَّىٰ نهاهُ ربُّه، وكذلكَ هؤلاءِ حتَّىٰ قِيلَ: «ألستَ تدْري ما أحدَثُوا بعدَكَ؟» فعند ذلك علم أنَّ مرادَ الله منهم هو الطَّردُ مِنَ الحوْضِ، إذ لو أرادَ سِواه لغفَر لهم ذلك الإحداثَ ولم يذكِّره.

ثمَّ إنِّي استغربْتُ منكَ جدًّا عدَّكَ الحديثَ مِنَ المتشابِهِ الذي لا يُعلَمُ معناه مع أنَّنا نَجْزِمُ بأنَّه في مُعاويةَ وأصحابِه ممنْ حَارَبَ الإمامَ الحقَّ وخَرَجَ عليه، وفعلَ الأفاعيلَ ولذلك كانَ الشَّافعيُّ يقول: لا ألومُ أستاذَنا مالكًا علىٰ شيءٍ إلَّا علىٰ ذكره حديثَ الحوْضِ في "الموطأ"، وهذه منْ هَنَّات الأئمةِ الأكابر رضي الله عنهم، فإنَّ ما حدَّثَ بِهِ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يُلامُ أحدٌ علىٰ روايتِه بل يلامُ علىٰ تركِه وتضْييعِه، والمقصودُ أنَّ الشَّافعي فهِمَ أنَّ الحديثَ في

مُعاويةَ وأصحابِهِ لا في المرّتدِّينَ، ولو كنتَ تعرضُ علينا هذهِ الرَّسائلَ قبلَ طبعِها لذكرنا لك في مثلِ هذه المسائلِ فوائدَ وآراء تستفيدُ منها.

وسامي النشار كتبَ إليَّ من لندن يخبِرُني أنَّه أخذَ صورَ الكتبِ من لندن بأربعةِ مِلِّيماتٍ للصحيفة، ولكنْ بالشريط فقط، وبعد ذلك ننقلُه عند أيِّ مصوِّر هنا من الشَّريط، أي الورق الآخر، وهذا فيه تسهيلٌ قانع يسَّر الله لنا أخذَ ما هنالك من النَّفَائِسِ الحديثيَّة والأصولِ المسنَدةِ، إلا أنِّي كنتُ طلبتُه أنْ يبحثَ لي عنْ فهرست المتحفِ البريطانيِّ فقال: إنَّه نادرٌ جدًّا لأنَّه طبع منذُ ٩٥ سنةً ويمكنُ الاستغناءُ عنه ببركلمان وذيلِه، وسننظرُ من يقرأُ لنا بركلمان وننتخِب بعضَ النَّفائسِ بحول الله.

الرسالة الثامنة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي عبدالعزيز سلام عليكم ورحمة الله وبعد وصلني كتابك الشريف وعرفت ما فيه، وحمدت الله على سلامة أحوالكم، واطمأن قلبي بعد قلقه والحمد لله .

أما اختياري لشرح الأمير على خليل فبسبب أمور أن كثيرا من السودانيين طلبوا من صاحب المكتبة أن يطبع لهم كتابا صغيرا في مذهب مالك ،ومنها أن شرح الأمير طلبه طلبة الكلية بالأزهر ليستعينوا به في المذاكرة للامتحان ولو لا ذلك لما أشرت بطبعه ولا بطبع شرح من شروح خليل لأنه يشتمل على آراء محضة وفقه ناشف لا يشوبه دليل، وقد كان الشيخ محمد ابراهيم الببلاوي المالكي رحمه الله يقول : فضحتنا المدونة وكسفتنا مع الناس، أما ما أشرت إليه من مثل موضوعات ابن الجوزي فإني أتحين الفرصة لتحقيقه ولابد من القيام بذلك إن شاء الله .

وترتيب الحلية قامت في طريقه عقبات آخرها عدم وجود حروف وأرقام كافية في المطبعة مما جعلنا نقسم الملزمة نصفين، يطبع قسم ثم يجمع بحروفه نصفه الآخر، وعندي الآن النصف الأول من الملزمة الرابعة، ونسأل الله التيسير، وقد اقترح نجيب أن أكتب مقدمة للترتيب تشتمل على كلمة في فضل الحلية، وما قيل في مدحها وترجمة لك وترجمة لوالده، ولكني مشغول بتصحيح البحر الزخار، وتصحيح شرح الأمير وتصحيح البغية وغير ذلك .

فاكتب كلمة في فضل الحلية، وترجمة مختصرة لك، وابعثها لنضمها إلى

ترجمة والده، ويجعل الجميع مقدمة للبغية، وكتبي سأرسلها لك غدا بحول الله، ما عدا إقامة البرهان فإنه نفد.

والحاج الشكارة توفي يوم الخميس ٨ رجب وهو في محطة كفر الزيات بعد عودته من مولد سيدي إبراهيم الدسوقي، أغمي عليه وهو قاعد فكان في الإغماء وفاته، ودفن هناك يوم الجمعة، بعد أن اتصلت الحكومة بي في شأن دفنه رحمه الله، وكل أصحابه بكوا عليه وتأثروا كثيرا .

أبلغ سلامي إلى أهل البيت جميعا وسائر الإخوان، ومن طرفنا يسلم عليكم سائر الأصدقاء خصوصا الشيخ محمودا والشيخ المحمدي والسلام .

يوم الأثنين ١٢ رجب سنة ١٣٧١ .

الرسالة التاسعة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وآله.

إلىٰ حضرةِ الأخِ الشريفِ الذكيِّ الفطِنِ النَّبيلِ سيدي عبدِالعزيز، سلامٌ الله عليك ورحمةُ الله وبركاتُه، وبعدُ:

وصلَنا كتابُكَ وفرحْنا به كثيرًا حيثُ أنه أتىٰ بعد غيبةٍ أوجبتِ الاشتياقَ إليه مع ما أفادَه من سلامتِكم وعافيتِكم ولله الحمدُ.

وما ذكرتَ من إعجابِ الناسِ بكتابي في سماعِ الحسنِ البصريِّ من عليٍّ عليه السَّلامُ وتعجُّبِهم من معرفتي بالرِّجال واطِّلاعي إلىٰ ذلكَ الحدِّ إنَّما نشأ من اعتقادِهم قلَّةَ علمي أو ضعفِه، وإلَّا فلا وجْهَ لتعجُّبِهم مع معرفتِهم باشتغالنا بالعلمِ وتفرُّغِنا له ولله الحمدُ والمنةُ.

وقد كتبتُ مقالًا في آخرِ الموضوعِ وسيصلكُم في «مجلة الإسلامِ» فلابدَّ أنْ تطَّلعوا عليه وتخبروني بما سيقولُه عبدالقادر الجزائريُّ وغيرُه في شأنه.

هذا وقد بعثتُ لك يومَه بكتابِ "الفتح الكبير" وأمَّا الكرةُ الأرضيةُ فسأرسلها لكَ بعدُ إنْ شاء الله تعالىٰ وسببُ تأخُّرنا عنكَ هذه المدةَ هو عدمُ الدراهيمِ لأنَّ الليرة التي بعثتَها أخذَها الشكارةُ وقضىٰ بها قطرةً من بحرِ الدَّينِ الذي عليه ولم يتيسَّرْ له بعد قضاؤُها فلذلكَ تأخَّرْنا.

سلِّمْ منَّا علىٰ أهل الدَّارِ جميعًا وعلىٰ الإخوانِ كافةً، ومنا يسلِّمُ عليكم جميعًا الأخوانِ والشكارةُ والمنتصرُ الكتانيُّ، وهو ينامُ معنا بالبيتِ ويأكلُ معنا وأنا أُدرِّسُ له "الألفية" بشرحِ ابنِ عقيلٍ، والأخ سيدي أحمد يدرِّسُ له "نخبة

الفِكَر" ويسمعه "سُنن أبي داود" وسيسمِعُه بعدَها بقيةَ الكتبِ السِّتة.

وأحبُّكَ أنْ تخبرني عن الكَرْطُفَ هل اسمٌ آخرُ عندكم أو لا والسلامُ .

يوم الثلاثاء ٢٤ من شوال سنة ١٣٠٣، أخوك عبدالله، عفى الله عنه.

الرسالة العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وآله.

إلىٰ أخينا الشريفِ الجليل الأستاذِ الذكيِّ النَّابهِ سيِّدي عبدِالعزيز سلامٌ عليم ورحمةُ الله وبركاتُه أمَّا بعدُ:

وصلني كتابُك منذُ أيامٍ فقرأتُه بتلهفٍ شديدٍ لما كان بي من الاشتياقِ إلىٰ كتبِك وأخبارِك وسُررتُ كثيرًا بما حواه من تلك الأسئلةِ العظيمةِ .... وكم كان بودِّي أنْ أسرعَ لك بالجوابِ عنها تلبيةً لرغبتِك ولكنْ حالَ دونَ ذلك كثرةُ من عندي من الشَّواغِل فبينَ يديَّ الآنَ من الأسئلةِ الواردةِ عليَّ ما يزيدُ علىٰ أربعينَ سؤلًا غير الأسئلةِ التي رأيت جوابَها بمجلةِ الإسلامِ ، أضفْ إلىٰ ذلك ما أقومُ به في هذه الأيامِ من تدريسِ العلومِ الاثني عشرَ للطلبةِ الذين يريدونَ امتحانَ شهادةَ العالميةِ فتراني لذلكَ في تعبٍ شديدٍ ابتدئ الدَّرسَ السَّاعةَ السَّابعةَ صباحًا فلا انتهي إلا السَّاعةَ الواحدةَ، ثم ابتدئ ايضًا بعد صلاةِ العصرِ إلىٰ صلاةِ العشاءِ وما بين هذه الوقتين لا يسعُ أنْ أطالعَ وأجيبَ، فأرجوك أنْ تنتظرَ قليلًا ريثَما تنتهي أيامُ الامتحانِ وعن قريبٍ ستنتهي ثمَّ أُجيبكَ وِفقَ ما طلبتَ بل وفوقَه إنْ شاء الله تعالىٰ، وسلِّم علىٰ سيدي عبدِالحيِّ وأخبرْه أنِّي سأجيبُه عن سؤالِه أيضًا وما تأخَّرتُ عنه طولَ هذه المدة لتهاونٍ أو كسلٍ كلَّا ولكنْ لعذرٍ هامٍّ فلا يظنُّ الظنونَ ولا يقطع كتابَه عنا وسلِّم علىٰ مولانا الوالدِ كثيرًا وعلىٰ أهلِ الدَّار جميعًا كبيرًا وصغيرًا وعلىٰ الإخوانِ كافةً خصوصًا من يسأل عنا وعن سيدي العربي بو عياد في صَبيّته وهَنِّ خدود بنتَ

يحيى في مولودِها وأخبرنا بما جدَّ وحدثَ عندكم فإننا كما تعلمُ نحبُّ استطلاعَ الأخبارِ، وقد سرَّنا كثيرًا إنشاءُ العمارةِ لذلك الوليِّ الكبيرِ سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه فإنَّه يستحقُّ الذكرَ والتَّقديرَ والعجبُ العجابُ أنَّ الناس يعتقدون ابنَه سيدي الحاج عبدالقادر ويعظِّمُونه أكثرَ مما يعتقدون أباهُ ويعظِّمونه مع أنَّه لم يبلغْ عُشرَ رتبتِه لا في علمٍ ولا في ولايةٍ والأمرُ لله، هذا ويسلِّم عليكم جميعًا الأخوان والشكارةُ وسيدي المنتصرُ وقد عزَمَ على الالتحاقِ بدارِ العلومِ معَ ابنِ خالتِه الشريفِ العلمي هذا ما عندنا منَ الأخبارِ الخاصة أمَّا العامَّةُ فتجدُها في الجرائدِ والمجلاتِ ولا تغبْ عنَّا كتاباتُك والسَّلامُ

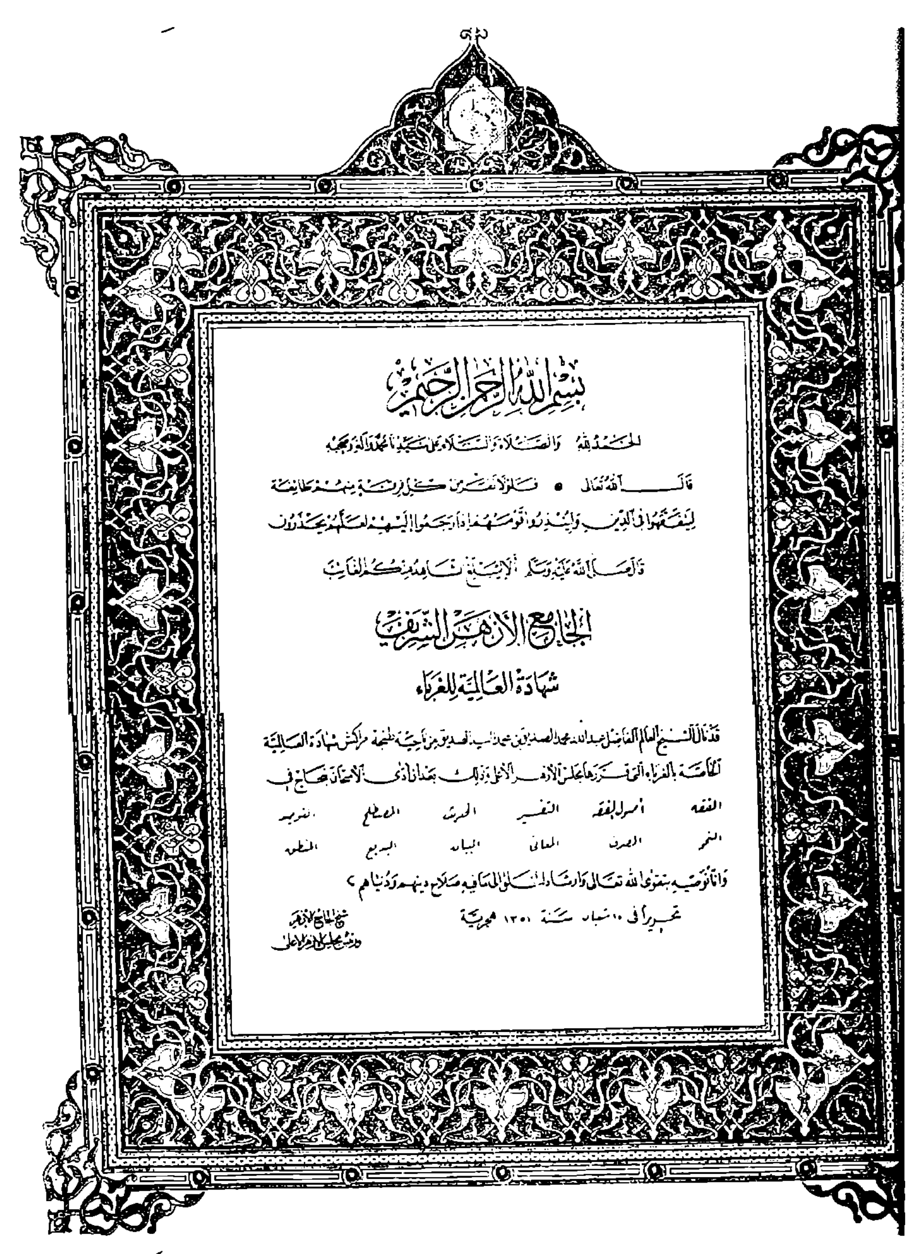
يومَ الجمعةِ ٢٠ رجب سنة ١٣٥٤ أخوك عبدالله عفى الله عنه.

صور

لبعض الأصول الخَطيَّة

لمسيرة سيِّدي عبدالله بن الصِّدِّيق العِلمِيَّة

صور لبعض الأصول الخطية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال الله تعالى • فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون

وقال صلى الله عليه وسلم ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب

الجامع الأزهر الشريف

شهادة العالمية للغرباء

قد نال الشيخ العالم الفاضل عبد الله محمد الصديق بن محمد بن الصديق من ناحية طنجة مراكش شهادة العالمية الخاصة بالغرباء التي قررها مجلس الأزهر الأعلى وذلك بعد أن أدى الامتحان بنجاح في

الفقه أصول الفقه التفسير الحديث المصطلح التوحيد

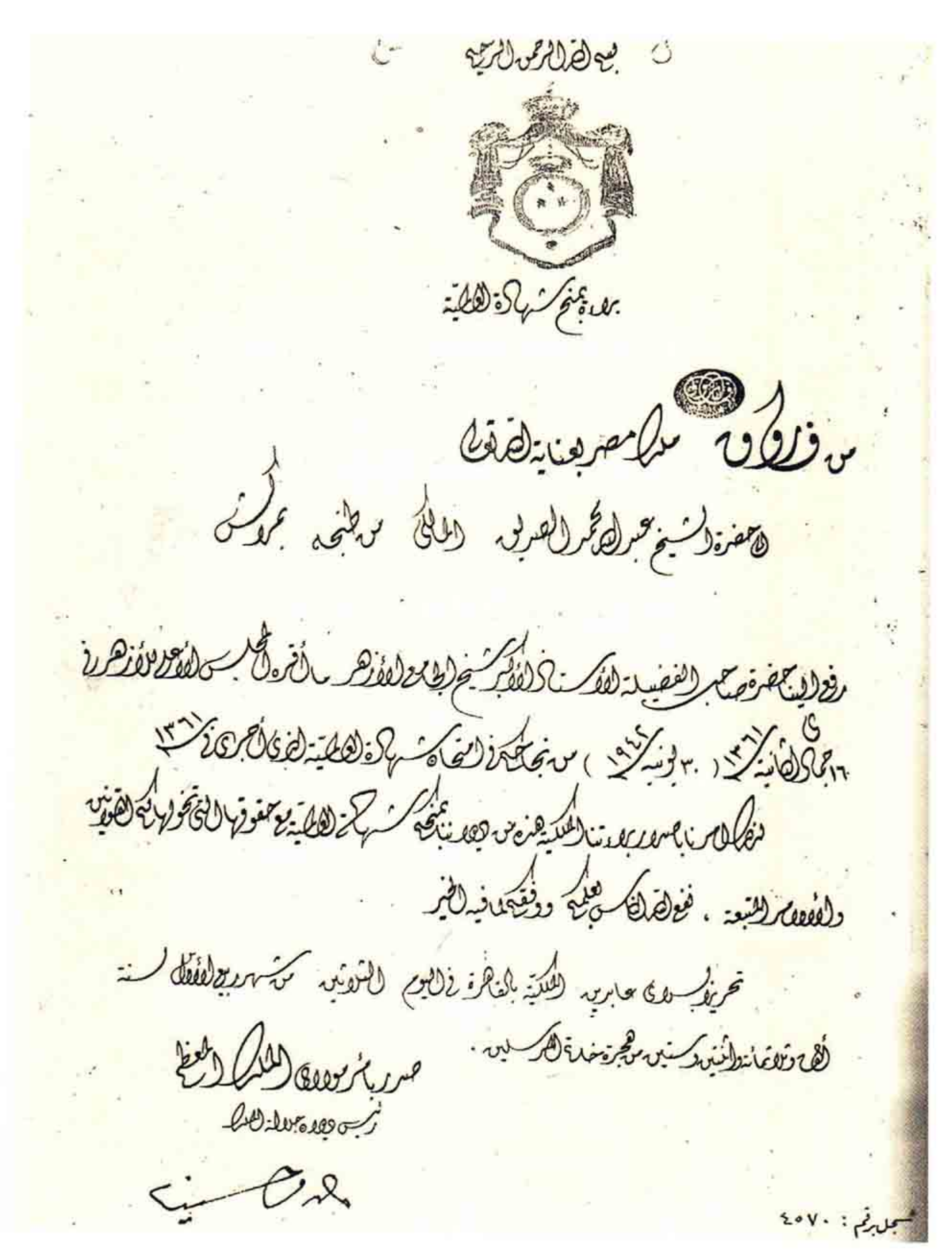
النحو الصرف المعاني البيان البديع المنطق

وأنا أوصيه بتقوى الله تعالى وإرشاد الناس إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم

تحريراً في ١٠ شعبان سنة ١٣٥١ هجرية

شيخ الجامع الأزهر
ورئيس مجلس الأزهر الأعلى

شهادة العالمية الأولى المعروفة بشهادة العالمية للغرباء باسم العلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماري



بسم الله الرحمن الرحيم

براءة بمنح شهادة العالمية

من فاروق ملك مصر بعناية الله تعالى

إلى حضرة الشيخ عبد الله محمد الصديق المالكي من طنجه بمراكش

رفع إلينا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ما أقره المجلس الأعلى للأزهر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٦١ (٣٠ يونيه سنة ١٩٤٢) من نجاحكم في امتحان شهادة العالمية الذي أجري في سنة ١٣٦١

لذلك أمرنا بإصدار براءتنا الملكية هذه من ديواننا بمنحكم شهادة العالمية مع حقوقها التي تخولها لكم القوانين والأوامر المتبعة . نفع الله الناس بعلمكم ووفقكم لما فيه الخير

تحريرا بسراي عابدين الملكية بالقاهرة في اليوم الثالث من شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة واثنين وستين من هجرة خاتم المرسلين .

صدر بأمر مولانا الملك المعظم

رئيس ديوان جلالة الملك

سجل برقم : ٤٥٧٠

شهادة العالمية الثانية، وهي براءة مَلَكيَّة بمنح شهاة العالميَّة الأزهرية للعلامة السيد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماري

- 383 -

انفسهم والبدعة الماضي في التمسك بها واعتقادها وجرى له في ذلك مع علماء العصر بحوث و
مناظرات كما وقع له [illegible] مع غيرهم مع [illegible]
[illegible] مع غيرهم في غير ذلك حوادث ومجريات لا محل لذكرها
هنا بل تذكر في الفهرست الجامع لجميع الأخبار والأحوال والحمد لله رب العالمين
فصل وأما السيد عبد الله فمولده في احد الجمادين سنة ثمان وعشرين ثم دخل الكتب
لحفظ القرآن وهو ابن خمس سنين على الفقيه ابن حامد العربي [illegible] ثم بعده على الفقيه
عبد الكريم البراق ثم بعده على الفقيه محمد الاندلسي وعليه جمع القرآن وحفظه واكتفى على
رسم القرآن وكان في صغره كثير البحث والسؤال للوالد عن المسائل العلمية في شتى الفنون
وكذلك كان يسألني ولما توجهت الى القاهرة كان يراسلني بالاسئلة جواب سؤاله
البعث عن مؤلفات كجزء الممسوخين ورسالة نبوة خالد بن سنان والخضر والنساء وتخريج
احاديث الشهاب وغيرها مع اجوبة مطولة في مسائل متعددة ثم لما فرغ من حفظ متن
الاجرومية ومنتقى الاخبار والشمائل وغيرها ثم توجه الى فاس في شوال سنة اربع
واربعين فقرأ بها الفقه على عبد السلام العلوي والاصول على الشيخ العراقي وغيره
وكذلك اخذ عن الحبيب المهاجي والعباس البناني والراضي الحنش وغيرهم وبرع في النحو
والصرف وعلوم العربية [illegible] [illegible]
الاجرومية في مجلد سماه تشييد المباني بما حوته المقدمة الاجرومية من الحقائق
والمعاني ثم توجه معي الى القاهرة في سنة تسع واربعين فلقي بها الفقيه المالكي
عبد النبي [illegible] فقرأ عليه شرح الدردير والفقه الشافعي عن عبد المجيد الشرقاوي اخذ
عنه شرح الخطيب على ابي شجاع وعن الشيخ حمزة الشافعي اخذ عنه شرح المنهج لشيخ
الاسلام بحاشية البجيرمي والفرائض عن عبد المجيد [illegible] والاصول عن محمد حسنين
ابي مخلوف العدوي وكذلك آداب البحث والمناظرة والمنطق عن محمود الامام
وعن الظواهري فقرأ على الاول تهذيب الخبيصي وعن الثاني السلم للاخضري واجازه
ابو الفضل احمد رافع الطهطاوي وعبد الحي الكتاني ومحمد راغب الطباخ وخليل
الخالدي و[illegible] ولما كنا بالشام استجزت له بدر الدين البيباني ومحمد سعيد الحبال
واجزت له اجازة مطولة في سنة تسع وخمسين بطلب منه من القاهرة وله ذكاء
وفطنة وادراك مع عجلة تلحقه في بعض الاحيان وكان ميالا بطبعه الى
المعقولات غير ملتفت الى الحديث وفنونه وكنت ادعوه الى الاشتغال به لكن

ترجمة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بقلم شقيقه السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق

صفحة (١) - الأولى

بعد الاخرى واقول لمراد النحو وغيره من الآلات التي تفتح لقارئها وانما وضعت
للتوصل بها الى المقصود الذي هو علم الكتاب والسنة ثم المشتغلون بها في الدنيا
لا يحصلون بل لا يوجد غالبا الا من يشتغل بهذه العلوم وامثال السنة النبوية ويعلمونها
اقل من القليل وكان في بدايته يعلم هذا ويحرص على الاشتغال بما هو فيه وربما عارض والده
في بعض الاحيان الا ان صار رجع الى القاهرة وكان في تلك المدة الطويلة وكانت
سبب اقباله على الحديث [غير مقروء] انه خصوصا لما صارت الاسئلة تتوارد عليه
من بعض اصدقائنا المصريين لظنهم انه من اهل الحديث كاخيه فالجأه ذلك
الى الاشتغال بالحديث وصار يكتب فيه المقالات المتعددة في مجلة الاسلام وغيرها
[غير مقروء] ويكتب اجوبة ومذاكرات في معرفة
رجال الحديث وصناعته مع ذكائه وسرعة ادراكه [غير مقروء]
بجواز التفضيل رد به على من يمنع ذلك من [غير مقروء] الوهابية [غير مقروء]
طبع وكذا [غير مقروء] بجواز التوسل بالانبياء والاولياء ردا به عليهم ايضا
وكلاهما مطبوعة [غير مقروء] الانبياء وتخريج احاديث المنهاج
للبيضاوي في الاصول وغير ذلك [غير مقروء] رسالة في ابطال حديث
الاوعال [غير مقروء] ابطال الاحاديث [غير مقروء] عليه
[غير مقروء] علماء الازهر [غير مقروء] كما اعلمه [غير مقروء]
[غير مقروء] على بعض [غير مقروء] ان يقول اما حديث الاوعال فلم اضعفه [غير مقروء]
[غير مقروء] وان كان [غير مقروء] بذلك ولكن
[غير مقروء] المسالة [غير مقروء] طبع رد الدارمي على بشر المريسي وفي هذا الرد
تجسيم صريح كاثبات المكان لله تعالى والحد والقعود والحركة والثقل والجهة
وغير ذلك من صفات المحدثات فقام ضده جماعة وكتبوا ينكرون الكتاب ويطالبون
[غير مقروء] منهم الشيخ الكوثري والشيخ الدجوي [غير مقروء] عبد الرحمن خليفة وغيرهم
وكتب الشيخ [غير مقروء] مشيخة الازهر [غير مقروء] الرد وكان
[غير مقروء] حديث الاوعال وكان غرض الشيخ [غير مقروء] المشيخة
الى [غير مقروء] المشيخة [غير مقروء] الى لجنة مكونة
من الشيخ [غير مقروء] والجبالي [غير مقروء] فاجابوا الجواب فيه تخاليط
واغاليط [غير مقروء] في هذا الحديث انه [غير مقروء] الترمذي وصحيح عند الحاكم

ترجمة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بقلم شقيقه السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق

صفحة (٢)

- 386 -

وضعيف عند آخرين فمن انتقد ضعفه فله وجه ومن انتقد صحته فله وجه وكلام
من هذا القبيل وغرضهم أن يبرزوا جانب الحق حتى لا تقع عليه مسؤولية مع علمهم
بجميع ما ذكر للأستاذ فلما وصل الجواب إلى الشيخ اللبان أراد أن يرد لكنه لم يبرز ولا يقدم
ولا ما يؤخر وكلف صاحبنا الحرخيري (?) ليكلم الكوثري فقال لم عندي من يقوم بهذا غير
الكوثري وأحاله عليّ فكتبت ردا عليهم بينت فيه خطأهم كلمة كلمة وضعفت الحديث
وهو الواقع من عشرة وجوه أذكر هنا ملخصها أولها أن الحديث تفرد به سماك بن حرب
وقد قال النسائي إذا انفرد بأصل لم يكن حجة لأنه كان يلقن فيتلقن وذكرت قول الشيخ
في قبوله للتلقين وأن التلقين من أشد ما يضعف به الراوي ثانيها أن سماكا مختلف فيه
فوثقه جماعة وضعفه آخرون وذكرت من وثقه وضعفه ثم قلت إن من ضعفه مقدم على
من وثقه لا لأن الجرح مقدم على التعديل بل لأن من ضعفوه بينوا سبب
ضعفه وذلك موجب تقديم كلامهم ونقلت من التدريب والنخبة ما يؤيد ذلك
وذكرت أن احتجاج مسلم بسماك لا يصير حديثه حجة على الإطلاق لأنه إنما احتج به
في أحاديث انتقاها من صحيح حديثه وذكرت جوابا عاما من الأجوبة التي أجيب
بها عن الشيخين ثالثها ولو سلمنا أن سماكا ثقة وألغينا الشرح (?) عن تضعيف من
ضعفه لوجب رد حديثه هذا لأنه اختلف عليه فيه كما قال الكلاوي (?) في التهذيب
وذكرت ذلك الاختلاف مبينا ما فيه رابعها أن شيخ سماك وهو عبد الله بن عميرة
فيه جهالة كما قال الذهبي وقال إبراهيم الحربي لا أعرفه وذكرت أن إيراد ابن حبان له
في الثقات لا يرفع عنه الجهالة لأن عادة ابن حبان في ذلك معروفة ونقلت
كلام ابن عبد الهادي والسخاوي في هذا المعنى خامسها أن سند الحديث منقطع
لأن عبد الله بن عميرة لم يسمع من الأحنف بن قيس ونقلت عبارة البخاري في ذلك
سادسها أن ابن عدي ذكر هذا الحديث مع أحاديث أخرى في ترجمة يحيى بن العلاء من
الكامل وقال كلها غير محفوظة سابعها أن الحديث يخالف القرآن والأحاديث
الصحيحة في صفات الملائكة لأن القرآن وصف الملائكة بأنهم ذوو أجنحة وفي بعض
الآيات الحملة ومطلقها محمول على مقيدها وكذلك الأحاديث الصحيحة جاءت على
غرار القرآن فبعضها وصف الملائكة بالأجنحة وبعضها الحملة ومطلقها محمول على
مقيدها وهذا الحديث أفاد أن حملة العرش منهم على صورة الأوعال ولو صح
يخص به عموم القرآن والسنة الصحيحة عند من قال من الجمهور بجواز تخصيص القرآن

ترجمة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بقلم شقيقه السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق

صفحة (٣)

- ٣٥٥ -

الاحاد ولكن في سنده ما تقدم ثم ان متن هذا الحديث يخالف القرآن ايضا من ناحية اخرى
لانه يفيد ان حملة العرش الآن ثمانية والقرآن يفيد انهم ثمانية يوم القيامة لا الآن
قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومفهوم الظرف حجة عند جمهور
الاصوليين وقد ورد في الحديث ما يؤيد ذلك وذكرت مرسل ابن اسحاق وابن زيد وغيرهما من
ان حملة العرش اليوم اربعة ويؤيدهم الله يوم القيامة باربعة فيصيرون ثمانية
ثم ان هذا الحديث منكر المعنى وبيان نكارته من وجهين احدهما ان الله ذم المشركين
في وصفهم الملائكة الذين هم عند الرحمن بانهم اناث وانه ستكتب شهادتهم
ويسألون ولم يكن لينعى عليهم ويصف الملائكة بصفة هي اشد من الصفة التي نعى عليهم
كما يفيده حديث الاوعال اذ لا شك ان الانثى اشرف من الوعل ثانيهما ان
الوعل هو التيس الجبلي والتيس ليس مما يستحسن التوصيف به عند العرب وغيرهم بل هو
مذمة وعار كما يعلم من كتب الامثال وقد استعمل الشارع لفظه في وصف التيس في
الذي سمى المحلل بالتيس المستعار وقال عن الذي يتخلف في نساء الغازين ان له
نبيبا كنبيب التيس فكيف تكون حملة العرش وهم اشرف الملائكة يحملون اعظم مخلوق
واشرفه في العالم العلوي على اشكال تيوس مع انه لو وصف احد من الناس بانه تيس
لكان ذلك في غاية الذم له فالحديث في غاية النكارة وقلت فلو سلمنا سلامته من
وجوه الضعف السابقة لوجب رده لنكارته بل لا يبعد ان يحكم عليه بالوضع
كما فعل المحدثون فيما هو اقل نكارة من هذا وذكرت بعض الاحاديث التي حكم الذهبي
بوضعها للنكارة مع صحة سندها هذا ملخص الوجوه التي ضعفت بها الحديث.
ومن جملة فعيدة الا انبه استاذين باني ذكرته مع علمي بانه لا يعنيكما لان الـ
المردود عليهم لا يعلمون ولانهم استعملوا المغالطة فقط لكنهم فان كنت ترى في
هذه الوجوه شيئا فاخبرني به مع الجواب عن حديث الرقوة والسم في جانبه الى الآن لم
يصلني نقد وارجو ان تكتبوا لي اجازة موسعة تذكرون فيها مشايخكم باسانيد
وقصدنا نجمع كذلك لان تتصل الى الاثبات المعروفة الخ في كتاب المؤرخ في خامس
وعشرين ربيع الثاني سنة تسع وخمسين وكان الشيخ الوالد قدس سره يذاكره في المسائل
النحوية واذا وقع ما يقتضي الكتابة في شيء منه امره بذلك ووجدت في مجلة جوابا
بخط المترجم نصه حضرة الشريف الجليل الاستاذ الفاضل سيدي عبد الحفيظ حفظك
الله والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبعد فانه لا [illegible] في كتابك انك [illegible]

الادريس

ترجمة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بقلم شقيقه السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق

صفحة (٤)

- 387 -

الأديب السيد محمد بن الأزرق يسأل عن قال هل هي متعدية وذكرت أنه كل من وجه [illegible]
السؤال توقف في ذلك بعد جوابه بأن تنصب الجمل وأن الفقيه السيد محمد بن [illegible]
رحمه الله أجاب بأنها لازمة وطلبت مني تفصيل القول في ذلك فاعلم أن للفعل [illegible]
علاقتين إحداهما أن تتصل به ها غير المصدر على وجه لا يكون خبرا كما قال ابن مالك

علامة الفعل المعدى أن تصل ها غير مصدر به نحو عمل

ثانيتهما أن يبنى منه اسم مفعول تام أي غير مفتقر إلى صلته بحرف جر ونحوه [illegible]
أن العلاقتين موجودتان في قال أنه يصح أن يقال [illegible] كلمة قلتها وهذا كلام [illegible]
ووجود إحدى العلاقتين في الفعل كاف في ثبوت تعديه كما يفيده اقتصار [illegible]
ولذلك عد أولا [illegible] عليها قوله فإن نصب به مفعول [illegible] بوجود [illegible]
أفعال أخرى متعدية كما قال المرادي والأشموني وإن لم يبينا وجه التعدي ولعله [illegible]
لوضوح تركاه وبهذا تعلم أن توقف من توقف في تعديها بعد اعتراف [illegible]
الجمل غلط نشأ من الغفلة عما قررناه والعجب منه قول سيدي محمد بن عبد [illegible]
أنها لازمة إذ لا دليل به [illegible] المشهور عند الجمهور أنها متعدية [illegible]
واحد وذكر الأعلم وابن خروف وصاحب البسيط أن سليما من العرب تعديها [illegible]
مفعولين تشبيها لها بظن في العمل وإن لم تتضمن معناها من إفادة الظن [illegible]
بقول الشاعر

قالت وكنت رجلا فطينا ... هذا ورب البيت إسرائينا

بنصبهما قالت مفعولين أحدهما هذا والثاني إسرائين وليس [illegible]
[illegible] هذا مبتدأ وإسرائين على حذف مضاف هو الخبر أي [illegible]
إسرائين فحذف المضاف وبقي المضاف إليه على جره لأنه غير منصرف للعلمية [illegible]
قال الخضري [illegible] بعيد قلت [illegible] بشرط بقاء المضاف
إليه على جره بعد حذف المضاف [illegible] إن كان المشار إليه بهذا [illegible]
واحد احتمل القول أو لا وإن كان الشاعر [illegible] التغيير وعلى المشهور مفعولها [illegible]
فسماه الأول المجرد [illegible] أحدها المجرد المؤدي معنى الجملة وذلك [illegible]
ومقطعة [illegible] على أنها تنصبه [illegible] المجرد المراد به اللفظ الذي [illegible]
اسما للجملة وذلك ككلمة وخطبة واختلفوا فيه فذكر الرضي أنها تنصب
ورده ابن [illegible] بأنه خلاف الإجماع قلت هذا [illegible]

ترجمة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بقلم شقيقه السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق

صفحة (٥)

- 388 -

الرضي ذهب إليه الزجاج والزمخشري وابن خروف وابن مالك وجعلوا منه قوله تعالى
﴿يقال له إبراهيم﴾ وتبعهم الأشموني قال ولو كان يقال مبنيا للفاعل لنصب إبراهيم
به. قلت وهو كلام لأن بناءه للمفعول ورفع إبراهيم به خرج عن صحة ما ذهب له وجعلها
زاد الرضي نوعا ثالثا ينصب بقال وهو ما لا يصح أن يعبر به عن الجملة ومن المفرد
نحو قلت لفظا فإن اللفظ يقع على الثاني الجملة وذلك إذا حكيت بقال
فإنها تكون في موضع مفعول لها المفرد المتقدم ذكره كما قال الخير واحد وحكى الصفار
عن بعض النحويين أنها تكون في موضع مفعول مطلق نوعي وهذا وإن لم يرده هو
ولا الخضري بالكل لأنه للأشموني نيابة الجملة عن المفعول المطلق والمراد بالجملة
ما يعم الصريحة والمفردة فإن المفرد الواقع بعد قال من غير الأنواع الثلاثة المتقدمة
يحكى كما قال الرضي والسيوطي في تعبير مع الجملة وذلك نحو قوله تعالى قال سلام قوم
منكرون أي سلام عليكم ونحو قول امرئ القيس

إذا ذقت فاها قلت طعم مدامة ... معتقة مما تجيء به التجر

وقد ذكر هاهنا كيفية حكاية الجملة الصريحة وأنه يجوز أن تحكى بلفظها وبمعناها
إلا إذا كان فيها لحن فاختلفوا هل يجوز أن تحكى به أو يجب أن تحكى بالمعنى ذهب
إلى الثاني ابن عصفور والصواب التفصيل بين أن تقصد حكاية اللحن فيجوز أو لا
فلا. هنا فالتعلق بقال من تفاصيل وتفصيل وقد تكلم عليها الصبان والخضري فلم
يحصلا فيها هذا التحصيل وإنما أكثرا فيه ما دتهما من تشقيق القليل ولا تجري كبير نفع
لدى الاعتماد عليه والتعويل فلا يعرض هذا في المسائل وتأمل أنت وهو خير فإنه [illegible]
السيد حسن جميل واجب بالمقصود فإن من التطويل فلا حول له على جميع نعمه الصغير منها
والجليل والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم [illegible] سواء السبيل
وحرر في سادس وعشري ربيع الثاني من سنة خمس وثلاثمائة وألف [illegible] لما رأى بعض
من [illegible] في بعض [illegible] جماعة كثيرون في تعبير [illegible] في ذلك [illegible]
الصواب جماعة كثيرة وبلغ ذلك لمولانا الشيخ الوالد [illegible] كتب إليه ينادي بالرد على
هذا الشاذ فكتب في ذلك رده [illegible] وكان ابتداء حضوره بالأزهر [illegible]
والمنطق والأصول والبيان وانتفع به جماعة منهم ودخل للامتحان وأخذ شهادة
العالمية من الأزهر في حين أنه أعلم وأذكى بكثير من الممتحنين وشهد له [illegible]
[illegible] شرع في قراءة جمع الجوامع بالجامع الأعظم ما طنجة

[illegible]

ترجمة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بقلم شقيقه السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق

صفحة (٦) - الأخيرة

«أسماء شيوخي» بخط سيدي عبد الله بن الصديق

بسم الله الرحمن الرحيم

أسماء شيوخي

أحمد بن محمد بن الصديق

أحمد بن محمد بن محمد الدليشاني الضرير

أحمد بن عبد العزيز محمد رافع الطهطاوي سمعت منه حديث الأولية

أبو شعيب بن عبد الرحمن الدكالي

أبو النصر القاوقجي سمعت منه حديث الأولية

الطاهر بن عاشور شيخ المالكية بتونس

أبو القاسم الدباغ

خليل الخالدي

لحسن الشعيبي

عبد الحي الكتاني سمعت منه حديث الأولية

عبد الباقي الأنصاري

عبد القادر شلبي

عبد المجيد بن إبراهيم بن محمد السندبوني اللبان سمعت منه حديث الأولية

عبد الغني محمود

عبد الحسين شرف الدين الموسوي. شيعي امامي

عبد الواسع اليمني

عمر حمدان

العباس بن أبي بكر

«أسماء شيوخي» صفحة (١) – الأولى

عبد الحفيظ الفاسي القاضي

عمر بن نصر الخزامي المكي

~~فتح الله البناني~~

محمد إمام السقا

محمد بدر الدين الدمشقي البيباني

محمد سعيد الفرا الدمشقي

~~محمد~~ بخيت المطيعي

محمد بن إدريس القادري

محمد الخضر التونسي شيخ الجامع الأزهر

محمد راغب الطباخ الحلبي

محمد بن الحاج

محمد كمال الدين القاوقجي

محمد زبارة اليمني الحسني

محمد الحلبي من كبار علماء الأزهر

محمد السمالوطي

محمد عبد اللطيف خضير الدمياطي

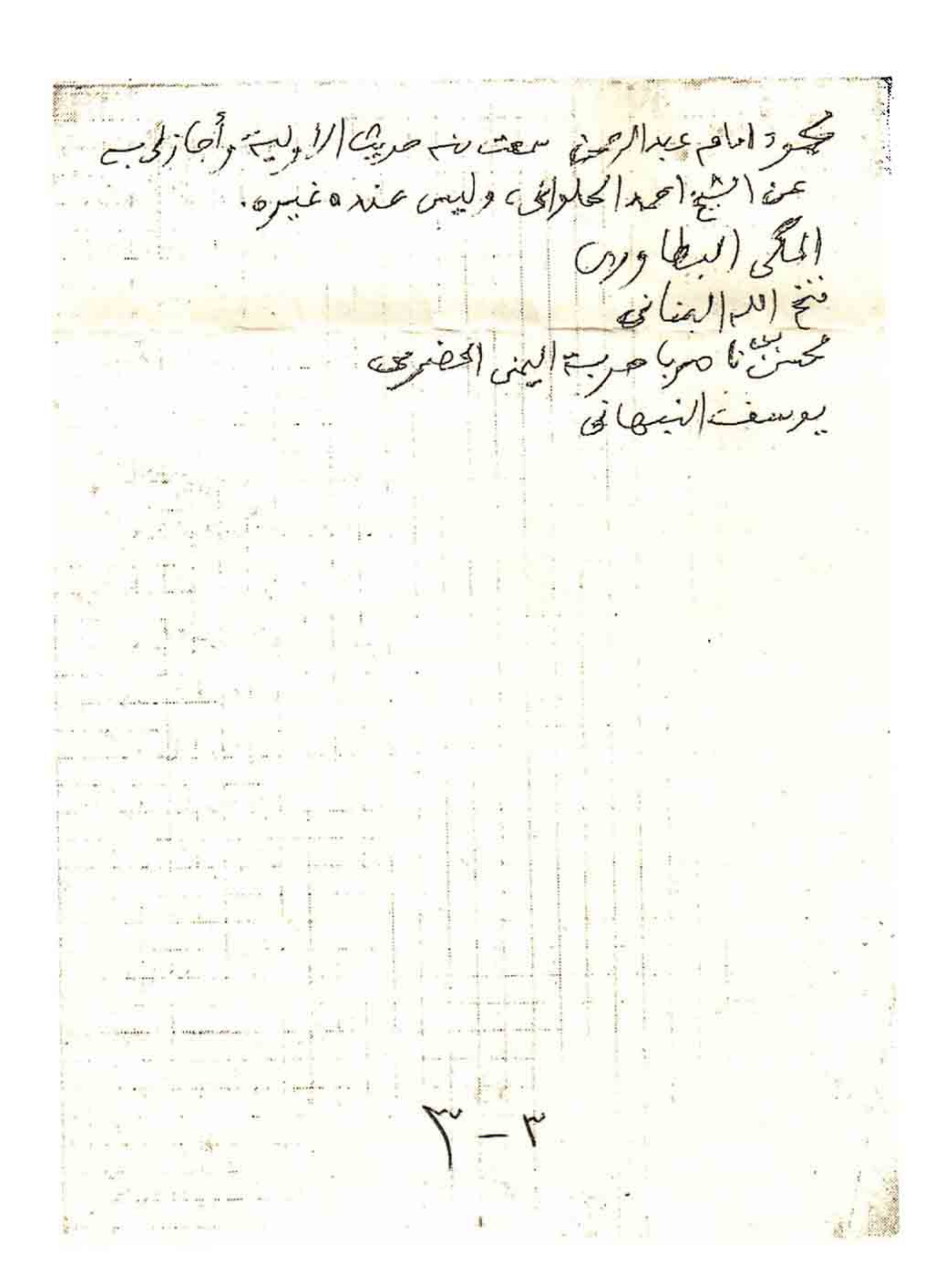
محمد المهدي بن محمد العربي العزوزي

محمد ويدار الكفراوي النكلاوي

محمد زاهد الكوثري

محمد محمود خفاجي شيخ علماء دمياط

«أسماء شيوخي» صفحة (٢)



محمود امام عبد الرحمن سمعت منه حديث الأولية وأجاز لي به
عن الشيخ احمد الحلواني وليس عنده غيره.
المكي البطاوري
فتح الله البناني
محسن بن ناصر باحربة اليمني الحضرمي
يوسف النبهاني

٣ - ٣

«أسماء شيوخي» صفحة (٣) - الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن رفع أقدار أهل الحديث بين سائر الأنام، وجعلهم خلفاء رسوله الكرام فكانوا
ملجأ للخاص والعام، ونفع بهم حملة شريعة الإسلام، وطوّق بمننهم رقبة كل عالم
وإمام، وحفظ بما خصهم به من الإسناد دينه الحنيف فكانوا حماته الكرام،
وحملته العدول النافين عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجهلة
اللئام. والصلاة والسلام على خاتمة الرسل الكرام ومسك ختام نعمة التمام،
سيدنا محمد المخبر بأن حفظة سنته العاملين بها لا ينقطعون إلى يوم القيام. ولا يزالون
ظاهرين على الحق وقائمين به حق قيام، وعلى آله السادة الأعلام، وصحابته الأماجد
الكرام. أما بعد فلما كان الإسناد من الدين بالمنزلة التي لا يجهلها العلماء، وتشرئب
بها أعناق الفضلاء، وتسمو إليه همم الكاملين من حملة العلم النبلاء، وتعظم فيها
رغبة المحققين الكملاء، ولا يغفل عنها إلا القاصرون الأغبياء، والجاهلون الأدنياء،
سمت همة الأخ العلامة، والحبر البحر الفهامة، المشارك في المنقول والمعقول
والمحقق لعلوم الفروع والأصول، المسند الأديب، المحدث الواعي، خادم الحديث
الشريف، والذاب عن حوزة دينه الحنيف، ذو التآليف العديدة النافعة، والتصانيف
المفيدة الجامعة، المدرس النفاعة، ومن هو لكل الفضائل واعية جامعة، شقيقنا
أبو المجد السيد عبد الله بن الشيخ الإمام، علم الأعلام، بحر العلوم والمعارف، ومعدن
الأسرار واللطائف، المجتهد المطلق، ومن أمر ولايته مقطوع به محقق، القطب
الكامل، والفرد الجامع الواصل، خاتمة أئمة الإسلام، مولانا الوالد المقدس أبي
عبد الله سيدي محمد الصديق الشريف الحسني رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين
فطلب منا أن نجيز له بمروياتنا وما تلقيناه عن شيوخنا فأجبناه إلى ذلك
تحقيقاً لرغبته بالانخراط في تلك المسالك. وإن كنا لسنا هنالك، ولا نعد
من جملة أولئك. فقلنا أجزنا للعلامة المذكور والحبر المشار إليه رابع هيئة مشهورة
إجازة عامة في كل ما أجازه لنا الشيوخ الذين تزايد عددهم على المائتين مما هو

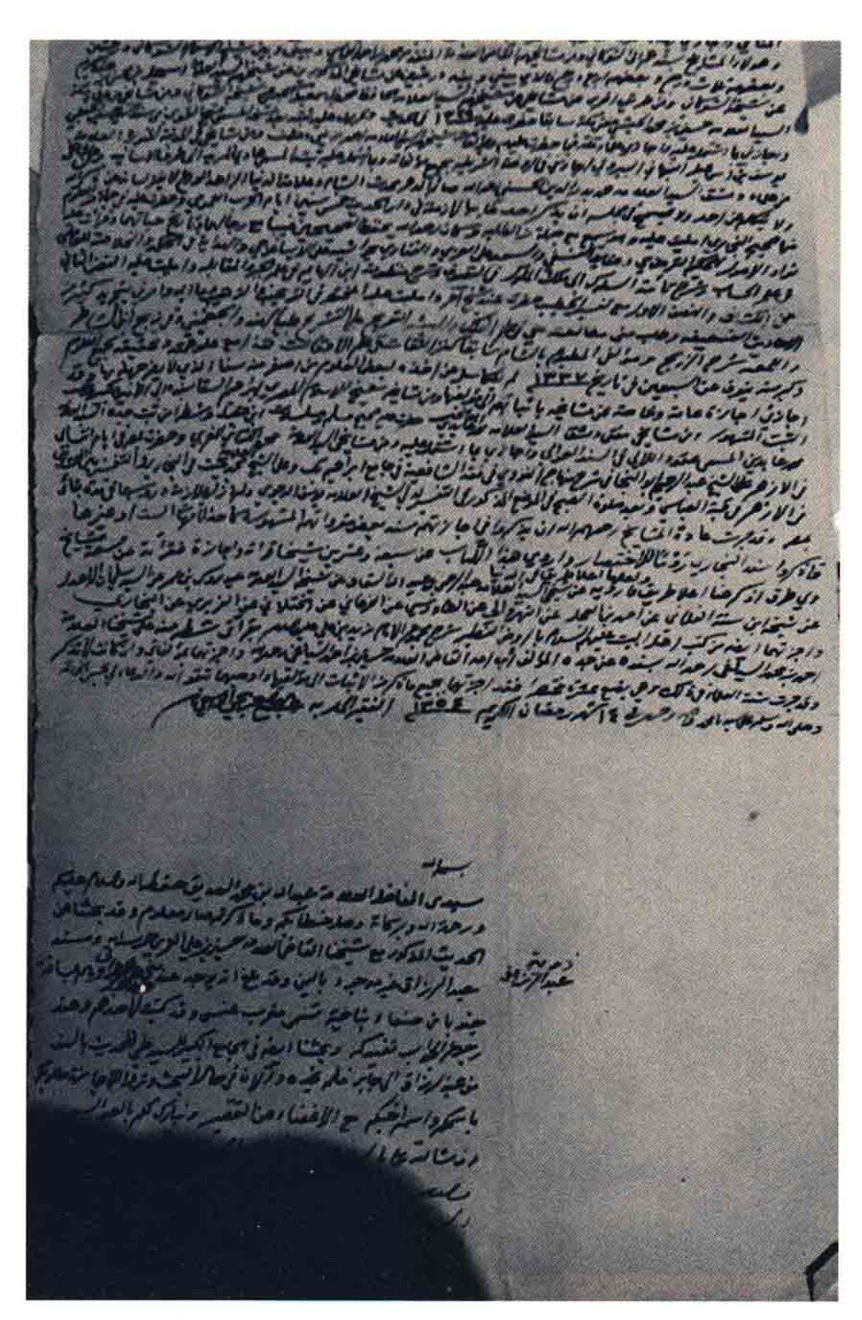
ذكرهم

إجازة السيِّد أحمد بن الصِّديق لسيِّدي عبدالله بن الصِّدِّيق (الصفحة الأولى)

ذكرهم وأسانيدهم ومشيختنا ومبادئ إسنادها جمعنا كالمعجم الصغير والمعجم الوجيز للمستجيز
والمشيخة في مجلد وحلية الوعاة بالمرويات والرواة في مجلدين ضخمين واختصار
العبيد المسمى [illegible] العجل للاتصال بالنقل والعقد الفاخر بما لنا من [illegible]
من الأكابر في أربعة أجزاء وغيرها مما أسندناه عنهم في كثير من مؤلفاتنا المطبوعة
وغيرها وأجزنا له أن يجيز نيابة عنا من أحب الرواية عنا فيما شاء كما أجازنا
ذلك بعض أشياخنا وشيوخهم رغبة في علو الإسناد ونشر علم الرواية والله
سبحانه وتعالى المسؤول أن ينفعنا وإياه بما علمنا ويعلمنا ما ينفعنا ويزيدنا علماً
والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار [illegible]
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه قاله العبد الفقير إلى الله تعالى خادم الحديث أحمد بن محمد
ابن الصديق في يوم السبت ثالث عشر جمادى [illegible] سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة
والف

إجازة السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق لسيِّدي عبدالله بن الصِّدِّيق (الصفحة الأخيرة)

إجازة العلامة عبد الواسع اليماني (الصفحة الأولى)



إجازة العلامة عبد الواسع اليماني (الصفحة الأخيرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل مقام المتوجهين إليه اللائذين بجنابه الأقدس هو المرفوع. والمعرضين عن ذكره المنتمين إلى هذه الأغيار هو الموضوع. وصلاة وسلاماً على من أوتي جوامع الكلم واللسان الفصيح. وجاءنا بالملة السمحة والدين الصحيح. وعلى آله وأصحابه الذين سمعوا مقالته فوعوها وأدوها إلينا كما سمعوها. فوصلتنا شريعته الغراء مسلسلة الإسناد بديعة النظام. خالصة من شوائب الانقطاع والأوهام. فنالوا بجلهم أحسن المنازل العوالي في دار القرار. ورتعوا في رياض الجنة مع الأنبياء الأخيار. وفازوا بالنعيم الدائم المقيم ورضوان الله العظيم

(وبعد) فإن الأستاذ الفاضل والأديب الكامل الشيخ عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري الحسني المغربي نزيل مصر أرسل لي خطاباً مؤرخاً في التاسع عشر من شهر شوال سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف وهو معرب عن فضله الجم وأدبه الغزير. وما جاء فيه. وإني لأرجو في فاتحة هذا التعرف المبارك منتهزاً الفرصة أن تتحفوني وأخي الأكبر السيد أحمد بن محمد الصديق بإجازة منكم لنا بما لكم من مرويات وتذكرون مشايخكم وما لكم من الأسانيد العالية سطر على وجه الاستيفاء لذلك إلخ ما جاء فيه. وهذا منه ومن أخيه حفظهما الله تعالى وأكثر بهما النفع مبني على حسن الظن بهذا العاجز وأني من أهل هذا الشأن وفرسان ذلك الميدان في حين أني لست أهلاً لذلك ولا ممن جابوا تلك المسالك ويصدق عليّ قول من قال

نزلوا بمكة في منازل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل

إجازة العلَّامة المؤرِّخ محمد راغب الطَّباخ (الصفحة الأولى)

٣

معتبرة من كتب الحديث والعلوم

وأوصي الأخ الفاضل المذكور أعظم الله لي وله الثواب والأجور بما أوصي به نفسي من تقوى الله تعالى في السر والعلانية والإخلاص له تعالى في القول والعمل وأن لا يألو جهداً في الاهتمام بأمر المسلمين والسعي في خدمة دينه وأمته وبلاده ونشر دعوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالحكمة والموعظة الحسنة. وليتقصد بذلك وجه الله تعالى وحفظ هذه الشريعة المطهرة من أدناس المبتدعين والملحدين فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (خير القوم المدافع عن قومه ما لم يأثم) وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير مما طلعت عليه الشمس وغربت)

وأوصيه أن لا ينساني من دعواته الصالحة في الأوقات الرابحة. وإني أسأل الله تعالى أن يوفقه لما يحبه ويرضاه ويجعله من المتبعين لسنته القائمين بشريعته. وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبي ونعم الوكيل

كتب في التاسع من شهر ذي القعدة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية

قاله بفمه وكتبه بقلمه
خادم السنة النبوية بمدينة حلب
محمد راغب الطباخ
عفي عنه

إجازة العلامة المؤرخ محمد راغب الطباخ (الصفحة الأخيرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل مجالس اهل السنة روضة من رياض اهل الجنة وجعل اسم الحديث
فى القديم والحديث انفاس حضرة ذى الرسالة والصلاة والسلام على صاحب الحضرة وسادة
ندماء المحبة من تلك الحضرة سيدنا محمد الذى ارتقى اوج المعالى واعتلى باخمص
الشرف العالى وعلى آله واصحابه ما اتصلت سلسلة الاسناد واعتنى بحفظها الجهابذ
النقاد وبعد فقد اجزت العالم الفاضل والالمعى الكامل سليل الافاضل السيد عبد الله
ابن محمد بن الصديق بن احمد بن عبد المؤمن الغمارى بكافة مروياتى ومسموعاتى من منقول
ومعقول ومنثور ومنظوم عن مشايخى فى الشام ومصر والروم وبكافة ما اجازنى بمروياته
من سائر المشايخ فى الشرق والغرب اجازة شاملة عامة راجيا ان لا ينسانى من دعواته
اوقات دروسه وعقب صلاته موصيا اياه بمزيد عنايته بهذه الكتب وهى شرح
البخارى للخطابى وشرحه لابن بطال الاندلسى فانهما اصل لكافة شروح البخارى والشرح
المسمى بالمعلم على صحيح مسلم للمازرى واكمال المعلم للقاضى عياض وشرح النووى على مسلم
وكذا شرح ابن الصلاح عليه وشرح سنن ابى داود للخطابى المسمى بالمعالم وشرح سنن
الترمذى المسمى بعارضة الاحوذى لابن العربى وشرح الترمذى للحافظ العراقى وشرحه
لابن سيد الناس وسنن النسائى لا سيما الكبرى وسنن ابن ماجه وسنن الدارمى وسنن
الدارقطنى ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمى والموطا وشروحه الثلاثة وهى التمهيد والاستذكار
كلاهما لابن عبد البر وشرح القاضى ابى الوليد الباجى المسمى بالمنتقى والسيرة الكلاعية
وسيرة ابن هشام وسيرة ابن سيد الناس وكتاب فتح البارى على البخارى لابن حجر العسقلانى فى
ومشارق الانوار للقاضى عياض وشرح الحافظ السخاوى على الفية الحديث المسمى بفتح المغيث
هذا ما احببنا ان نوصيكم به والله ولى انجادكم على ما يكون لكم ذكرا فى الدارين وكتبه بمحل حده
الفقير الى عفو الله ورحمته خليل بن بدر بن مصطفى بن خليل بن محمد بن خليل بن صنع الله
ابن خليل الخالدى المقدسى فى تاسع عشر شوال سنة سبع وخمسين وثلاثمائة والف
مصليا على النبى وآله وصحبه

إجازة العلامة خليل الخالدي لسيدي عبدالله بن الصِّدِّيق

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي أكنكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد تقبيل أياديكم والسؤال عن
أحوالكم التي نرجو أن تكون بخير وصلني كتابكم الأخير وتأخرت عن جوابه لأني
كنت أنتظر الانتهاء مع سلمان في مسألة الكتاب وقد انتهينا واستلمت
نسخة ٥٠٠ من الكتاب. سأبعث منها ١٠٠ نسخة ومعها نسخ من البحر الزخار
ومجموعة الرمي بالسهام التي ساوت هنا عشرة جنيهات فبفضلك عدم
بيعها. وكتاب إزالة الخطر أعجب به كل من رآه هنا فالشيخ أحمد مرسي
وهو يسلم عليكم كثيرا قال لي: إن أخاك مجتهد مطلع لأن له ثلاثة كتب
لم يسبقه إليها تدل على اجتهاده وهي تشنيف الآذان وإحياء المقبور
وإزالة الخطر، وهو لذلك يحرض أصحابه على اقتناء هذه الكتب
ويدعو إليها في مجالسه، بل قال لي منذ أيام: أنا أعتقد أن أخاك ولي مفتوح
وأنه في رعاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويصفكم عند أصحابه بالحفظ
الواسع والاطلاع التام. وكذلك صديق لنا اسمه محمد الله تبليغ وهو
رجل غني وصوفي صالح ومحب للسنة لا يقدم عليها مذهبا ولا إماما لما
رأى الكتاب أخذ منه عشرين نسخة ليوزعها على أصحابه وقال لي: إن
أخاك عالم من طراز آخر وهؤلاء العلماء الذين نراهم لا يصلحون أن يكونوا
تلامذة له، وكذلك صديق لنا آخر دمشقي وهو وهابي معتدل أخذ عشر
نسخ من الكتاب ليبعثها إلى دمشق وأثنى عليكم ثناء عاطرا. والمقصود أن
كل من رأى الكتاب أطراه وأبدى إعجابه بسعة علمكم وقوة حجتكم ودقة
استنباطكم. وبالأمس جاءني خطاب من شخص لا أعرفه ببلدة بيلا
يطلب كشفا بأسماء كتبكم لأنه رأى التشنيف وإحياء المقبور فأعجب بهما
أيما إعجاب. واقتراح شرح الرسالة أو ابن عاشر حسن جدا وأرجو أن
توجهه إلى شرح ابن عاشر أولا لأنه أصغر ويطلب كثيرا في مصر
والسودان، والأزهر مقفل بكلياته ومعاهده والشيخ قاعد في بيته
لأن الأزهريين جميعا طالبوا بمطالب لم تجبها الحكومة فتركوا الدراسة واستقالوا
من وظائفهم بالإجماع

يسلم عليكم سائر الأصدقاء وكثير منهم يدعون لكم في كل مناسبة حققه الله الآمال وفرج الكرب قريبا.
بمنه وفضله والسلام عليكم ورحمة الله ٧ ربيع الآخر ٣٧٠

رسالة بين سيدي عبد الله بن الصِّديق وشقيقه الحافظ السيِّد أحمد

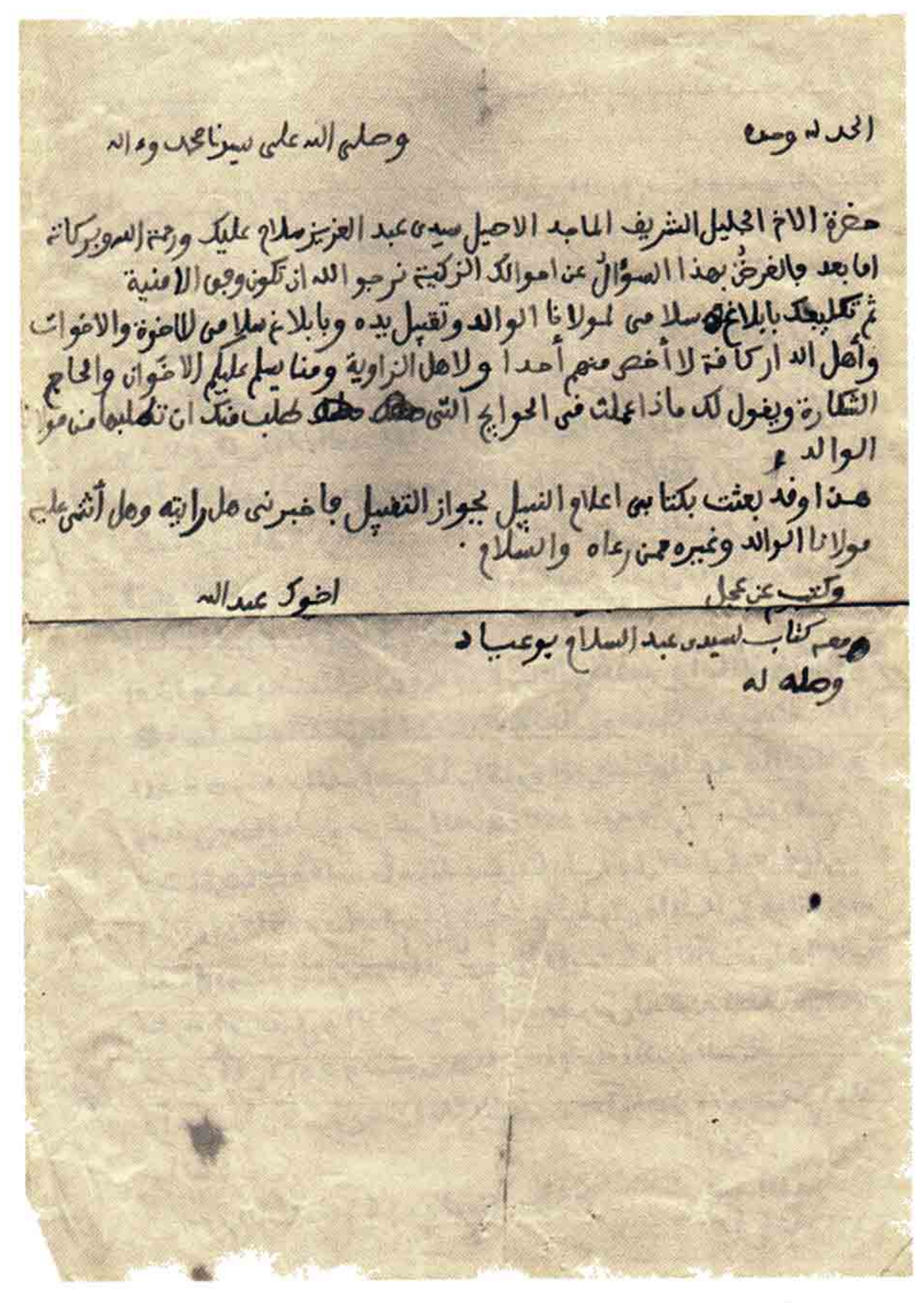
بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى عبد العزيز سلام عليكم ورحمة الله وبعد وصلنى كتابك الشريف وما به علم
وكنت أود كثيراً أن يمكنكم شراء كنز العمال من مكتبة العمرانى لأنى فى حاجة شديدة
إليه الآن لأن الأخ أخبرنى أنه أوقف مكتبته على أولاده وأولاد أولاده، وكنز العمال ثمنه
مرتفع هنا وقد اشتريت نسخة منه فى السنة الماضية بثمانية جنيهات وهى من
كتب الكوثرى فوجدت الرطوبة قد أضرت بها وأعدمت الانتفاع منها فبعتها.
وسائر مطبوعات الهند هنا غالية، وكتاب زكى مجاهد أرسلته بالبريد المسجل فلا أدرى كيف
ضاع، وأنا فى انتظار شرح ابن الحاجب. وقد سرنى كثيراً ما أخبرت به عن حسن معاملة
الأخ وأنها لم تتغير لأن الوزانى ذكر فى إحدى زياراته للريفى أن الفرنسيين غيروا
معاملة الأخ وضغطوا عليه، وزاد أن الملك أصدر العفو عنه وأن الفرنسيين أوقفوا
تنفيذه لأنهم يعارضون فى إطلاقه سراحه، وصدقه الريفى كلامه وقال إنه واثق من
أن الملك أصدر العفو عن الأخ ولكن الفرنسيين عارضوا فيه شأنهم فى معارضة كل ما
يتصل بالحريات الفردية والجماعية ويعارضون فى كل خير وإصلاح، فآلمنى هذا الخبر
حتى جاء كتابك فأزال ما عندى من الألم، أبلغ سلامى إلى أهل الدار جميعاً
وسائر الإخوان ومن طرفنا يسلم عليكم سائر الأصدقاء، وقد طبع ترتيب مسند الشافعى
لعابد السندى فى جزءين صغيرين، وألفنا لجنة من العلماء لطبع مؤلفات أعضائها
ومؤلفات أخرى وجعلنا الاشتراك فيها عشرة جنيهات وربما نبدأ العمل فى الشهر
القادم بحول الله، وبعض المنجمين هنا تنبأت بوقوع حرب وأحداث وبنت ذلك
على أن مفتتح السنتين الهجرية والميلادية يوافقه يوم الثلاثاء وهو يوم مكروه
فنسأل الله السلامة والعافية ونرجو أن يخلف الله ظنهم ويكذب نبأهم والسلام

٢٧ من ذى الحجة ١٣٧٠
٢٩ سبتمبر ١٩٥١

وسامى النشار فى الإسكندرية وحين أتى بلغ بالقاهرة أبلغه الرسالة عشية [illegible]

رسالة بين سيِّدي عبد الله بن الصِّدِّيق وشقيقه العلامة سيدي عبد العزيز



الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

حضرة الأخ الجليل الشريف الماجد الأصيل سيدي عبد العزيز سلام عليك ورحمة الله وبركاته
أما بعد فالغرض بهذا السؤال عن أحوالك الزكية نرجو الله أن تكون وفق الأمنية
ثم تكليفك بإبلاغ سلامي لمولانا الوالد وتقبيل يده وبإبلاغ سلامي للإخوة والأخوات
وأهل الدار كافة لا أخص منهم أحدا ولأهل الزاوية ومنا يسلم عليكم الإخوان والحاج
الشكارة ويقول لك ماذا عملت في الحوائج التي طلب منك أن تطلبها من مولانا
الوالد.
هذا وقد بعثت بكتابي إعلام النبيل بجواز التقبيل فأخبرني هل رأيته وهل أثنى عليه
مولانا الوالد وغيره ممن رآه والسلام.

وكتب عن عجل — أخوك عبد الله

ومعه كتاب لسيدي عبد السلام بوعياد
وصله له

رسالة أخرىٰ بين سيِّدي عبد الله وشقيقه العلامة سيدي عبد العزيز

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

الى حضرة الأخ الشريف الذكي الفطن النبيل سيدي عبد العزيز
سلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد وصلنا كتابك وفرحنا به
كثيرا حيث انه أتى بعد غيبة أوجبت الاشتياق اليه مع ما أفاده من
سلامتكم وعافيتكم لله الحمد وما ذكرت من اعجاب الناس بكتابتي في سماع
الحسن البصري من علي عليه السلام وتعجبهم من معرفتي بالرجال
والاطلاع الى ذلك الحد انما نشأ من اعتقادهم قلة علمي أو ضعفه
والا فلا وجه لتعجبهم مع معرفتهم باشتغالنا بالعلم وتفرغنا له
ولله الحمد والمنة وقد كتبت ● مقالا آخر في الموضوع وسيصلكم
في مجلة الاسلام فلا بد أن تطلعوا عليه وتخبرني بما سيقوله عبد
القادر الجزائري وغيره في شأنه
هذا وقد بعثت لك يومه بكتاب الفتح الكبير وأما الكرة الأرضية
● فسأرسلها لك بعد ان شاء الله تعالى وسبب تأخرنا عنك هذه
المدة هو عدم الدراهم لأن الليرة التي بعثتها أخذها الشكارة
وقضى بها قطرة من بحر الدين الذي عليه ولم يتيسر له بعد
قضاؤها فلذلك تأخرنا سلم منا على أهل الدار جميعا وعلى
الاخوان كافة ومنا يسلم عليكم جميعا الأخوان والشكارة والمنتصر
الكتاني وهو ينام معنا بالبيت ويأكل معنا وأنا أدرس له الألفية
بشرح ابن عقيل والأخ سيدي أحمد يدرس له نخبة الفكر ويسمعه
سنن أبي داود وسيسمعه بعدها بقية الكتب الستة
وأحب أن تخبرني عن الكرطف هل اسم آخر عندكم أولا لها
والسلام

أخوك
عبد الله
عفي عنه

يوم الثلاثاء ٢٤ من شوال ١٣٥٢

رسالة أخرىٰ بين سيِّدي عبد الله وشقيقه العلامة سيدي عبد العزيز

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

الى أخينا الشريف الجليل الفهامة الذكي النبيل سيدي عبد العزيز سلام عليك ورحمة
الله وبعد وصلني كتابك وفرحت به كثيرًا لما اشتمل عليه من أخباركم السارة
والأسئلة التي وجهتها إليّ لم يتيسر لي الى الآن أن أجيبك عنها لأشياء عرضت لي
منعتني من الجواب فارجوا أن تنتظر ريثما يروق بالي وعسى أن يكون ذلك قريبًا ان شاء
الله وأحسن تاريخه وصل كتاب من سيدي العربي بوعياد ومعه رده على الشيخ
الدجوي وهو رد حسن جدًا غير أنه شديد اللهجة وفيه عبارات قاسية فلذلك
اشتغلت بتلخيصه وتحريره وأبدلت ما فيه من القساوة والشدة بلهجة خفيفة
لا ينتألم منها المردود عليه وسأنشره في مجلة الاسلام بامضائه
هذا ونهنئكم بشهر رمضان المعظم جعله الله شهر خير وهناء وكل عام وأنتم
بخير ونرجوا أن تبلغ سلامنا لمولانا الوالد ولأهل الدار جميعًا كبيرًا وصغيرًا
وللاخوان كافة ومما يسلم عليكم الأخوان وسيدي المنتصر والحاج الشكارة
ويطلب منك أن تبعث له دراهم [illegible] رسالة حلق اللحية ان تيسر ذلك ليرسل اليك
بها نسخا من المثنوي وفتح الملك العلي والسلام

يوم السبت ١٣ رمضان

عبد الله
عفي عنه

رسالة أخرىٰ بين سيِّدي عبد الله وشقيقه العلامة سيدي عبد العزيز

الحمد لله وحده

إلى أخينا الشريف الجليل الماجد الذكي الأصيل سيدي عبد العزيز سلام عليك ورحمة الله

وبعد فساعته وصلني كتابك مخبرا فيه بوصول الفتح الكبير وبما جرى بينك وبين سيدي عروة وسيدي عبد الحي من الكلام في مجاعة المدينة وخبر المجاعة صحيح لا كذب فيه وقد أنعمت الحكومة المصرية بألفي جنيه وعشرين ألف أردب من القمح لإعانة فقراء المدينة وجمع أهل مصر من مسلمين وأقباط 7000 جنيه كلها لأجل الإعانة غير أنهم لم يرسلوا شيئا من ذلك حتى تتفاهم الحكومة المصرية مع ابن السعود كيف يكون توزيع تلك الدراهيم وذلك القمح على أهل المدينة لأن أهل مصر يريدون أن يتولوا توزيع ذلك بأنفسهم وابن السعود يريد أن يدفعوه إليه وهو يتولى توزيعه وليس في وقوع المجاعة بالمدينة ما يخالف الحديث ولست أدري كيف يحتجون عليك ويقولون إنك مغلوب ولو عرفت دليلهم لنقضته وعلى كل أنت غالبهم وهم مغلوبون هذا وقد وصلني منك قبل كتابان طلبت مني في أولهما أن أشرح لك بيتي ابن العربي اللذين رأيتهما في مجلة الإسلام وسأشرحهما لك بعد إن شاء الله تعالى وذكرت في ثانيهما ما رأيته في اللطائف المصورة من ذلك التفسير الغريب وسأذهب إلى إدارة اللطائف وأرى ذلك العدد وأتفاهم مع صاحب المجلة ثم آتيك بالخبر سلم على مولانا الوالد وقبل يديه نيابة عني واطلب منه الدعاء وسلم على أهل الدار أم كلثوم وكنزة بنت بن عجيبة وخديجة بنت بن يحيى وفاطمة وحبيبة وآسية ومسعودة وأختها والعلالية وأمها والحاجة فروفه وددة فاطمة وعلى باقيهم ممن لم أتذكر اسمه وسلم على الإخوان جميعا خصوصا الزرهوني وسيدي العربي بوعياد ومن يسلم عليكم جميعا الإخوان وسيدي المنتصر الكتاني والحاج الشكارة وقد بعث مائة نسخة من حلق اللحية يريد أن تقف على بيعها هناك وتعجل بإرسال ثمنها لأنه في حاجة وثمن كل نسخة فرنك

وكانت هنا منذ أيام فتنة قائمة بالأزهر ترجع إلى عدم قبول طلبة الأزهر الشيخ الأحمدي شيخا عليهم فذهبوا إلى الوزارات يطلبون ذلك وأضربوا عن القراءة مدة ثلاثة أشهر وكانت الوزارة أول الأمر مع الطلبة لكن لما عرضت طلبهم على الملك من إزالة الشيخ الأحمدي رفض الملك الطلب وقال إنه لا يزيله فلما رأت الوزارة ذلك استعملت الشدة مع الطلبة فأمرت بدخول العسكر إلى الجامع الأزهر فدخلوا إليه وضربوا الطلبة ثم أخذوهم إلى السجن والآن أطلقوا سراحهم ورجعوا إلى الدروس مع طلبهم من الوزارة أن تنظر في مصلحتهم ولا زال الأمر مترددا بينهم لم يتم حتى الآن هذا ما به إعلامك والسلام

ومنه طلب مني صاحب مجلة الإسلام أن أكتب في المهدي لأن كثيرا من الناس وألح على فيه هو والشيخ محمود خليفة ووعدتهما بأني سأفعل

يوم الثلاثاء 21 من ذي الحجة ١٣٥٢

أخوك
عبد الله
عفي عنه

رسالة أخرىٰ بين سيِّدي عبد الله وشقيقه العلامة سيدي عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفتاح العليم. فتح لقُصّاده فضله أبوابه. وحمى من التجأ الى حماه وأمّ رحا[به]
الوهاب الكريم. وهب من وفّقه علما نافعا يعرف به سداد القول وصوابه. وأعطى خواص ا[لعلماء]
الهاما يفهمون به ما كتابه. والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الى الثقلين. وحجته على
العالمين. أوتي جوامع الكلم. وتفجرت من لسانه ينابيع الحكم. ألزم الناس اتباعه. وأوجب
الجنة لمن أطاعه. ورضي الله عن آله الأطهار. وصحابته الأبرار. وشمل بواسع رحمته
نقلة حديثه وخدام سنته. أما بعد. فهذا شرح على كتاب «الكنز الثمين في أحاديث
النبي الأمين»، يحل ألفاظ أحاديثه، ويوضح مشكلها، ويفتح مغلقها، ويجمع بين متعارضها.
مع استنباط معانيها من أحكام فقهية، وآداب مرضية، وفوائد لطيفة، ومسائل نفيسة.
بأسلوب سهل مبسوط، ليس فيه تطويل ممل، ولا اختصار مخل. بل وسط بين الطرفين،
جعله الله خالصا لوجهه الكريم، ورزقنا التوفيق والقبول، انه أكرم مسؤول.
١ - (انما الأعمال بالنيات) انما أداة حصر، تفيد انحصار المبتدأ في الخبر. وفي الكلام مضاف محذوف
اقتضاه أسلوب الحصر، والتقدير: انما صحة الأعمال بالنيات. ولفظ الأعمال عام يشمل الوسائل
والمقاصد، والعبادات والمعاملات. فلا يصح وضوء ولا غسل ولا تيمم ولا صلاة ولا زكاة ولا حج
ولا صيام الا بالنية، وهي العزم المصمم على فعل الشيء. وكذلك ألفاظ الكناية، لا يقع بها الطلاق
الا بالنية. ومحلها القلب، فلا داعي للنطق بها، ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلفظ بها
في طهارته أو صلاته أو في شيء من عباداته. وهذا الحديث عظيم، يعد من جوامع الكلم، ويدخل في
كثير من الأبواب الفقهية(١). وهو مع عظم قدره، وضخامة معناه، حديث غريب، لم يروه عن
النبي صلى الله عليه وسلم الا عمر رضي الله عنه. ولم يصح من رواية غيره. وادعى بعض العلماء أنه
حديث متواتر، وليس كذلك. بل هو حديث آحاد، أما معناه فمتواتر. (وانما لكل امرئ ما نوى)
هذه الجملة دليل القاعدة الفقهية المعروفة: الأمور بمقاصدها. ويؤخذ منها أن الانسان لو نوى
بعمله التوصل الى عبادة، كان له ما نواه وقصده. فلو نوى بأكله تقوية نفسه للعبادة والقيام
بما يطلب منه، كان له ثواب ما نواه. ولو جامع زوجه ناويا اعفافها واعفاف نفسه، كان له ثواب
في جماعه. ولو باشر تجارة أو زراعة أو صناعة ما، قاصدا الانفاق على نفسه أو أهله، كان
مثابا في ذلك. ولو صنع سلاحا قاصدا به الاستعداد لقتال الكفار، كان عمله طاعة. ولو خرج من
بيته ناويا أن يساعد مسكينا اذا وجده في طريقه، أو يغيث ملهوفا أو يرشد ضالا أو يهدي أعمى،
أثيب في ذلك كله. فتكون أعماله كلها طاعة، بخلاف ما لم ينو شيئا من الخير، فان أعماله تكون
خالية من الثواب. وقد قال العلماء: لو ترك الانسان الخمر اعتيادا، فانه لا يثاب على تركها
(الا اذا نوى) أنه يتركها امتثالا لأمر الله تعالى (فمن كانت هجرته الى الله ورسوله)
نية وقصدا (فهجرته الى الله ورسوله) مثوبة وأجرا (ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها)
بتجارة ونحوها (أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه) من الدنيا أو الزوجة ولا ثواب
له فيها لأنها لمجرد حظ نفسه. يروي الطبراني عن ابن مسعود قال: [illegible]

الفتح المبين شرح الكنز الثمين (الصفحة الأولى)

أحد بما يثلم عرضه (ومن أرتع فيه) أي استوفى الحلال كله وتوسع فيه بحيث [illegible]
كالمرتع) كالشخص المرتع غنمه (إلى جنب الحمى) بكسر الحاء وهو المكان المحظور الذي منع صاحبه
(يوشك) يقرب (أن يرتع فيه) بأن ترعى غنمه وأهله (ألا وإن لكل ملك) من ملوك الدنيا (حمى)
مكانا يحميه ويمنع منه أفراد الرعية (وإن حمى الله في الأرض محارمه) معاصيه التي حظرها ونهى
عباده عن قربانها. شبه المحرمات بالأرض التي يحميها الملك، وشبه المسترسل في الحلال
بالمرتع حول الحمى القريب من الوقوع فيه، وهو تشبيه بليغ، يفيد الحض على ترك
بعض الحلال، اتقاء للوقوع في الحرام. وهذا المعنى يفيده أيضا الحديث رقم ٤٤٣٣

٧٣ (أجلوا) بتشديد اللام أي عظموا (الله) باستعظام ارتكاب معاصيه (يغفر لكم) ما
اقترفتموه من الصغائر. أخذ بعض العلماء من هذا الحديث كالتقي السبكي أن الذنوب كلها
كبائر ليس فيها صغائر، لأن مقتضى إجلال الله ألا تكون معصيته صغيرة. لكن ثبتت
التفرقة بين الذنوب في مثل قوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم.
الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) قال الجمهور: ويتحقق إجلال الله مع ارتكاب
الكبيرة، بالندم عليها وسرعة الرجوع عنها، وصدق اللجوء إليه في غفرانها.

٧٤ (أجيبوا هذه الدعوة إذا دعيتم لها) يعني وليمة العرس كما يأتي في الحديث رقم ٢١٦:
إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها، وفي الحديث رقم ٢١٧: إذا دعا أحدكم إلى وليمة عرس
فليجب. وهذه الأحاديث تفيد وجوب إجابة دعوة الوليمة، وحكمة ذلك مشاركة
أهل العرس في فرحهم، وتكثير شهود الزواج،

٧٥ (أجيبوا الداعي) إلى وليمة أو غيرها، لأن إجابة الدعوة حق للمسلم على أخيه، كما في الحديث
رقم ١٦٦١ ~~[illegible]~~ وفي الحديث رقم ٢٢٢: إذا دعيتم إلى كراع فأجيبوا، وهو يفيد تأكيد
وجوب إجابة الدعوة ولو كان الطعام قليلا، بل ولو لم يأكل، ففي الحديث رقم ٢٢١: إذا دعي أحدكم
إلى طعام فليجب، فإن شاء طعم وإن شاء لم يطعم (ولا تردوا الهدية) لأن ردها يكسر خاطر
مهديها، وربما يحدث عنده حقدا على من ردها عليه (ولا تضربوا المسلمين) أي لا يجوز لكم
المفروضة ضرب المسلمين إلا في حد شرعي، وانظر الحديث رقم ٢٤٥٨

٧٦ (أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها) أي في وقتها المقدر لها شرعا، لأنها تشتمل على عدة
عبادات: تلاوة القرآن وركوع وسجود وتكبير وتسبيح وتهليل وتحميد وشهادة وصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ودعاء (ثم بر الوالدين) وهذا موافق للقرآن (وقضى ربك
ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) لأنهما ربياه ولداً وتوليا شئونه، حتى ميز
يمينه من شماله، وعرف قبيله من دبيره (ثم الجهاد في سبيل الله) لأنه يرد عادية
الكفار ويؤمن دار الإسلام، ويبلغ دعوته لبعض العقول التي لا تفقه الحجة،
ولا تعرف البرهان.

الفتح المبين شرح الكنز الثمين (الصفحة الأخيرة)

٢/

وهو ضعيف جدًا؟ ثم رواه موقوفًا على معاذ، والموقوف أشبه، وإن كان لا يصح مرفوعًا ولا موقوفًا.

(٦) تفرد به ابن ماجه عن الستة، وإسناده ضعيف. علي بن يزيد هو الألهاني، ضعيف.

(٨) أول الحسد في الحديث بالغبطة لوجهين، الأول: لحديث «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء» الحديث، صححه الترمذي من حديث أبي كبشة، وهو صريح في الغبطة. الثاني: أن الحسد تمني زوال النعمة عن المحسود، وهذا لا يجوز أبدًا بحال.

(٩) المراد بالعلماء في هذا الحديث ونحوه، المجتهدون. لأن بهم تقوم الحجة بعد الأنبياء، ولهذا كانوا ورثتهم. ولأن الأنبياء ورثوا العلم الذي هو الوحي، وهو الحجة. فالتقليد ليس بعلم، والمقلدون ليسوا بعلماء.

(١١) قوله «وما والاه»، إما من الموالاة بمعنى المحبة، أي إلا ذكر الله، وما أحب الله من الأعمال غير الذكر. أو من الموالاة بمعنى المجانسة، أي إلا ذكر الله وما والاه أي جانسه من كل كلام طيب، كمخاطبة الناس بالحسنى، المأمور بها في قوله تعالى «وقولوا للناس حسنًا»، أو من الموالاة بمعنى المتابعة، أي إلا ذكر الله وما والاه أي تابع في كونه يستجلب رضا الله، وهو سائر الطاعات.

(١٥) قوله «إذا قعد على كرسيه لفصل عباده»، هذه اللفظة ليست في جميع طرق الحديث، وإسناد هذا الطريق فيه رجال تكلم فيهم، وإن وثقوا. ولهذا قال الحافظ الهيثمي: رجاله موثقون. فإطلاق المؤلف على هذا الطريق: إنه جيد، فيه تساهل. ثم إن صحت هذه اللفظة، فنجريها على ظاهرها مع اعتقاد تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات.

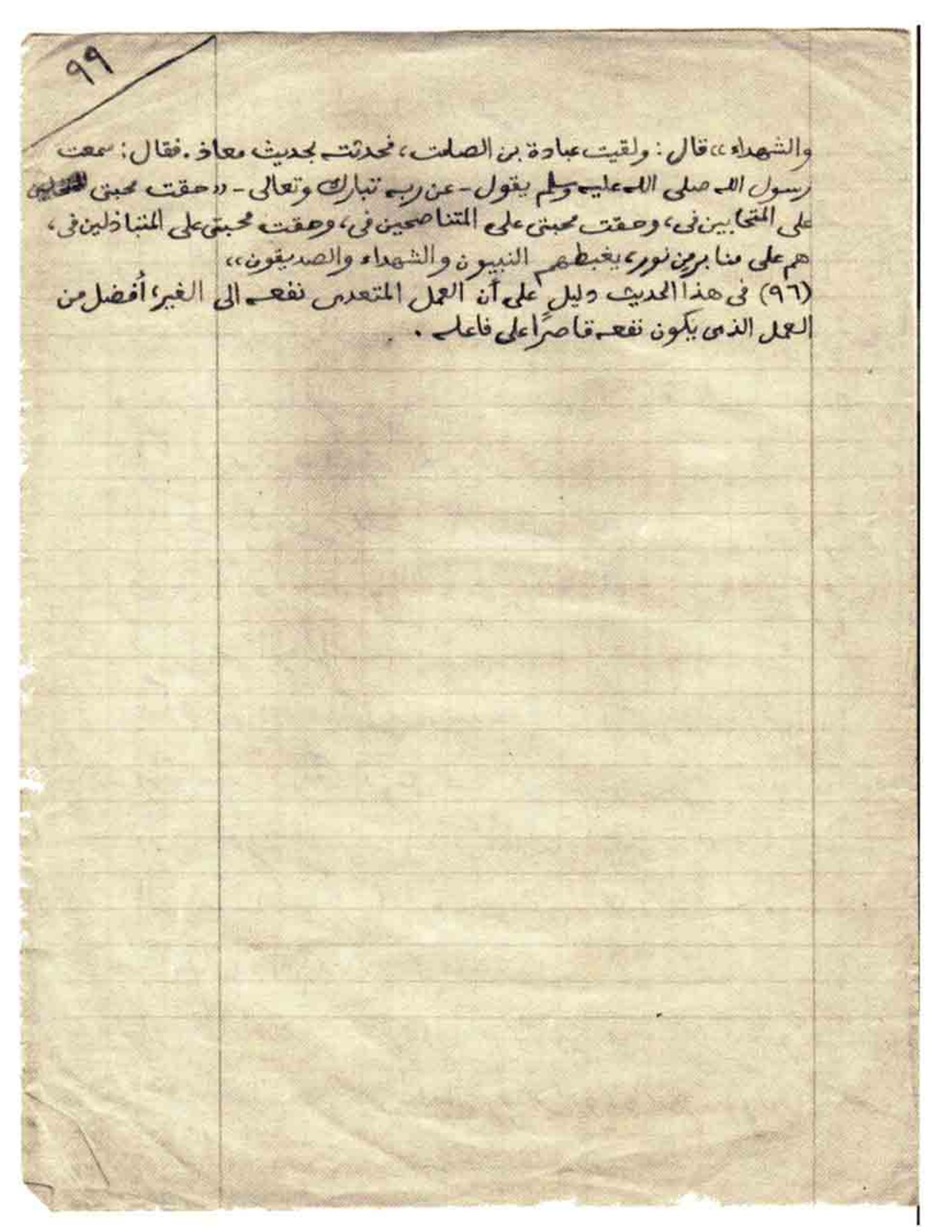
(١٨) المراد بالفقيه العالم بالكتاب والسنة، وهو المجتهد كما سبق. وروح بن جناح متكلم فيه، واستنكر الساجي وابن حبان حديثه هذا.

تعليقات السيِّد عبدالله على كتاب "المتجر الرابح" للحافظ الدمياطي (صفحة ٢)

٩٨

وجود نفسه، والصالح ربما لا يعرف أن الذي كلمه ملك، وإن عرفه فلا يجزم به، بل يجوز
عنده أن يكون جنيا صالحًا أو شيطانا أراد إغواءه وتضليله. ثانيها: أن يكون ما يلقيه الملك
الى الإنسان، تشريعًا خاصا يعمل به في نفسه، أو عامًا يأمره بتبليغه إلى غيره. أما ما يكلم به
الملك الرجل الصالح أو المرأة الصالحة فلا يتجاوز البشارة فقط،
(٨٤) «زارني» أي زار أخاه حبًا في، لا لغرض آخر.
(٨٦) قوله في حديث، قلت: بقيته «ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟» قلنا: بلى يارسول
الله. قال «كل ودود ولود إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها، قالت: هذه
يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى» وفي إسناده ابراهيم بن زياد القرشي، [illegible]
قال المنذري: لم أقف فيه على جرح ولا تعديل. قلت: قال البخاري فيه: لا يصح حديثه،
وقال العقيلي: يحدث عن الزهري، وعن هشام بن عروة، فيجعل حديث الزهري على
هشام، وحديث هشام على الزهري، ويأتي أيضا عنهما بما لا يحفظ. اهـ
وللحديث طريقان عن كعب بن عجرة عند الطبراني باسناد فيه متروك. وعن ابن
عباس عند الطبراني أيضا باسناد فيه كذاب.
(٨٧) قوله: أسندوه اليه، أي رجعوا اليه فيه، وصدروا عنه أي اذا قال شيئا وقفوا
عند رأيه، ولم يتجاوزوه. ذلك لأن معاذًا جبل علم رضي الله عنه، بنص قوله عليه
الصلاة والسلام «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل». قوله: قد سبقني بالتهجير،
أي التبكير الى الصلاة «وللمتجالسين في»، أي يتجالسون في محبتي بذكري «وللمتزاورين في»
أي يزور بعضهم بعضا لأجلي، لا لغرض آخر، زاد الطبراني «والمتصادقين في» اي
تكون بينهم صداقة لأجلي، «والمتباذلين في»، أي يبذل كل واحد منهم لصاحبه نفسه
وماله في مهماته في جميع حالاته في الله. وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط
الشيخين، وفيه ثبوت لقاء أبي ادريس لمعاذ، خلافا لمن نفاه،
(٨٨) في صحيح ابن حبان عن أبي مسلم الخولاني قال: قلت لمعاذ: والله اني لأحبك لغير
دنيا أرجو أن أصيبها منك، ولا قرابة بيني وبينك، قال: فلأي شيء؟ قلت: لله. قال:
فجذب حبوتي، ثم قال: أبشر إن كنت صادقا، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول «المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله، يغبطهم بمكانهم النبيون

تعليقات السيد عبدالله على كتاب "المتجر الرابح" للحافظ الدمياطي (صفحة ٩٨)



٩٩

والشهداء»، قال: ولقيت عبادة بن الصامت، فحدثت بحديث معاذ. فقال: سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - عن ربه تبارك وتعالى - «حقت محبتي للمتحابين
على المتحابين فيّ، وحقت محبتي على المتناصحين فيّ، وحقت محبتي على المتباذلين فيّ،
هم على منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء والصديقون»
(٩٦) في هذا الحديث دليلٌ على أن العمل المتعدي نفعه إلى الغير، أفضل من
العمل الذي يكون نفعه قاصرًا على فاعله.

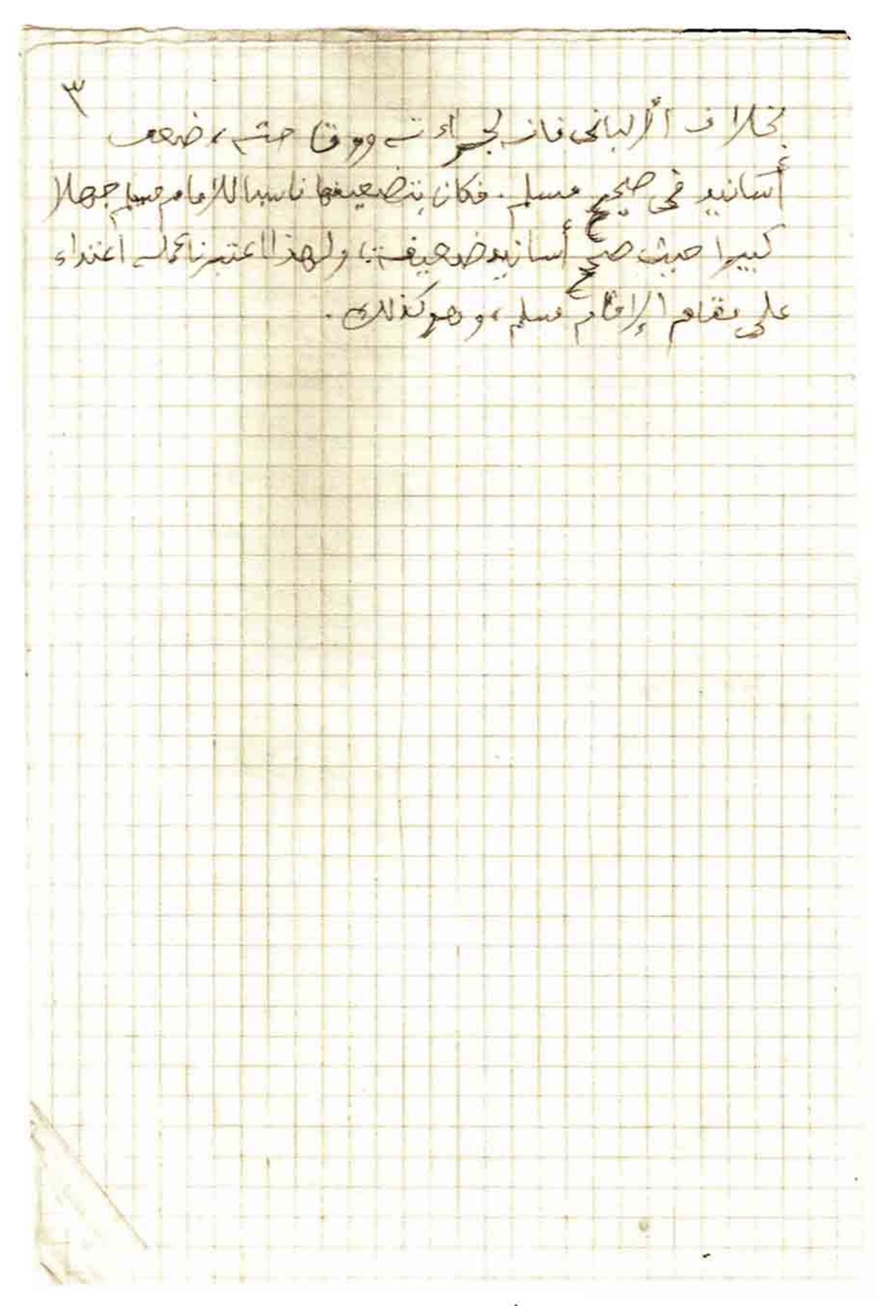
تعليقات السيد عبدالله على كتاب "المتجر الرابح" للحافظ الدمياطي

(صفحة ٩٩) – الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وآله الأكرمين. وبعد: فإنه لما كتب تلميذنا الفاضل الأستاذ
محمود سعيد كتابه "تنبيه المسلم إلى تعدي الألباني على صحيح مسلم"
وبين صحة الأسانيد التي ضعفها الألباني بجهله وتطاوله
على الإمام مسلم رحمه الله ورضي عنه
قامت قائمة بعض تلامذته المغرورين به، وزعموا أننا
ضعفنا أحاديث في الصحيحين، فسكوتنا عنا تحيز ومحاباة
في زعمهم الباطل.
فكتبت هذه الكلمة، بينت فيها وهمهم فيما زعموا.
وإن سبب ذلك الوهم جهلهم مثل شيخهم الألباني بالفرق
بين شذوذ الحديث الذي أثبتناه، وبين تضعيف السند
الذي سلكه الألباني. وهو الذي نعيبه عليه.
وبيان ذلك
أن علماء الحديث صرحوا بأنه لا تلازم بين صحة السند وصحة المتن،
فقد يكون السند صحيحا لثقة رجاله وعدالتهم، ويكون المتن
شاذا.
والحديث الشاذ نوعان:
١- أن يروي الراوي الثقة حديثا يخالف فيه من هو أولى منه

التعليق على معنى الحديث الشاذ (الصفحة الاولى)



٣

بخلاف الألباني فإنه تجرأ ووقع حتى ضعف
أسانيد في صحيح مسلم. فكان بتضعيفها ناسبا للإمام مسلم جهلا
كبيرا حيث صحح أسانيد ضعيفة، ولهذا اعتبرنا عمله اعتداء
على مقام الإمام مسلم، وهو كذلك.

التعليق على معنى الحديث الشاذ (الصفحة الأخيرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

أروي مسند الإمام أحمد، عن الشيخ محمد إمام السقا
خطيب الجامع الأزهر عن أبيه الشيخ ابراهيم السقا
شيخ الشافعية بمصر عن الشيخ ثعيلب عن الشيخ احمد الجوهري
عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري عن شمس الدين البابلي عن
أبي النجا سالم بن محمد السنهوري عن نجم الدين الغيطي عن
شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ح ويرويه البابلي عن
شهاب الدين الرملي عن زكريا الأنصاري عن الحافظ ابن
حجر العسقلاني عن الفخر علي بن احمد البخاري عن أبي علي
حنبل بن عبد الله بن الفرج عن أبي القاسم عبد الله بن محمد
ابن عبد الواحد بن الحصين عن أبي علي الحسن بن علي
التميمي الواعظ عن أبي بكر احمد بن جعفر القطيعي عن
عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه.
وقد أجزت للأخ محمود سعيد ممدوح أن يرويه عني إجازة
خاصة، يرويه متى شاء وأين شاء، وأسأل الله أن ينيله
التوفيق والاستقامة

وكتب أبو الفضل
عبد الله بن محمد بن الصديق
عفي عنه

في غرة شعبان ١٣٩٩

إسناد السيد عبد الله بن الصدّيق إلى مسند أحمد من طريق المصريين
وإجازته به لتلميذه محمود سعيد ممدوح.

إسناد السيد عبد الله بن الصِّدِّيق إلى مسند أحمد من طريق المصريين، وإجازته به لتلميذه الشيخ محمود سعيد بن محمد ممدوح

سبيلُ التَّوْفِيقِ
في تَرْجَمَةِ عبدالله بن الصِّدِّيق

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ سيِّد المرسلين، ورضي الله عن آله الطاهرين، وصحابته من الأنصار والمهاجرين.

وبعد: فهذا تاريخ حياتي كتبته إجابة لطلب بعض تلامذتي وإقتداء بمن فعل ذلك من العلماء الأعلام، وقد كنت كتبت ترجمة لي في آخر كتاب "بِدَع التفاسير"[(١)] لكنها مختصرة، فأردت بسْطها وذكر ما حصل في دراستي العلمية بتفصيل، وأسأل الله الهداية والتوفيق.

---

(١) وقد ترجم لي جماعةٌ من الأفاضل:

١- منهم مُسنِد العصر العلامة محمد ياسين الفادانيُّ المكيُّ في ثبته الكبير المسمَّىٰ: "بُغية المريد من علوم الأسانيد"، ونقل إجازتي له في آخِر "ثبت الأمير" الذي طبعه.

ومنهم العلامة الفقية الشيخ إسماعيل عثمان زين اليماني المكي في ثبته، ونقل كذلك إجازتي له.

٢- ومنهم أخي العلامة المحدِّث السيد عبدالعزيز بن الصِّدِّيق في: "تعريف المؤتسي بترجمة نفسي" وفي: "السفينة".

٣- ومنهم أخي الكبير الحافظ السيِّد أحمد الصِّدِّيق في: "سُبحة العقيق في ذكر مناقب الشيخ سيدي محمد بن الصِّدِّيق".

٤- ومنهم صديقنا الشيخ زكي مجاهد رحمه الله في الجزء الرابع من: "الأعلام الشرقية".

٥- ومنهم الأستاذ عبدالحكيم هندي المصري في ذيله علىٰ كتاب: "الجوهر فيمن له خمسون كتابا أو أكثر" للعظم.

٦- ومنهم ولدنا الفاضل الأستاذ محمود سعيد في: "ارتشاف الرحيق من أسانيد عبدالله بن الصِّدِّيق"، وفي: "تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع".

مقدمة

يستدل كثيرٌ من العلماء بقول الله تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحىٰ:١١] علىٰ استحباب تحدُّث الشخص بما أنعم الله عليه من علمٍ وصلاحٍ وفضلٍ، وللحافظ السيوطيِّ كتاب "التحدُّث بالنِّعمة"، وللعارف الشعرانيِّ كتاب "المِنن الكُبرىٰ".

وروىٰ ابن جريرٍ في "تفسيره": حدَّثني يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا سعيد بن إياس الجريريُّ، عن أبي نضرة قال: «كان المسلمون يرون أنَّ مِن شكر النِّعم التحدُّث بها».

وعندي في ذلك نظر لوجوه:

الأول: أنَّ السِّياق يقتضي تخصيصها بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنها في (سورة الضحىٰ) وهي مخصوصةٌ به، ومراعاة السِّياق واجبةٌ، وقد غَفَلَ عنها مُعظم المفسِّرين.

الثاني: أنَّ تحدُّث النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بنعمة الله من التبليغ الواجب عليه لتعرِف الأُمَّة فضائله وخصائصه، وذلك من تمام الإيمان به.

الثالث: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم معصومٌ، فإذا تحدَّث بنعمة الله عليه لا يكون في حديثه كذبٌ ولا مبالغةٌ ولا رياءٌ ولا افتخارٌ، وغيره ليس مثله.

الرابع: أنَّ الخطاب الخاص بنا معشر الأمَّة قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢] هذه الآية تنهانا أن نُزكِّي أنفسنا بأن

نتحدَّث بما أوتينا من علمٍ وصلاحٍ وعبادةٍ.

قال ابن كثيرٍ: «وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ أي لا تمدحوها وتشكروها وتمنُّوا بأعمالكم ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

وروىٰ مسلمٌ في "صحيحه"، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سمَّيت ابنتي برة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله سلم نهىٰ عن هذا الاسم، وسُمِّيتُ برة، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تُزَكُّوا أنْفُسَكُم إنَّ الله أعلمُ بأهلِ البِرِّ منكم**» فقالوا: بمَ نسمِّيها؟ قال: «**سموها زينب**».

قال القرطبي: «وتغير برة لما فيه من تزكيه النفس، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾، ويجري مجرىٰ هذا في المنع ما كثر في الديار المصرية من نعتهم أنفسهم النعوت التي تقتضي التزكية نحو: زكي الدين، ومحي الدين، لكن لما كثرت قبائح المسلمين بها ظهر تخلف هذه النعوت عن أصلها فصارت لا تُفيد شيئًا من معناها الأصلي، بل ربما يسبق منها في بعض المواضع وفي بعض الأشخاص نقيض مدلولها لغة، حتىٰ صار الحال فيها كالحال في تسمية العرب «المُهلِكَة»: مَفَازَة».

قلت: النعوت التي أشار إليها عادة أعجمية، فإنَّ العجم هم الذين يستعملون الألقاب المقتضية للتزكية ومنهم سرت في مصر والشام، والعرب لم يكن عندهم إلا الكُنىٰ، غير أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لقَّب حمزة:

أسد الله، ولقَّب خالد بن الوليد: سيف الله.

وقال القرطبيُّ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ﴾: «هذه الآية وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ يقتضي الغض عن المزكِّي لنفسه بلسانه، والإعلام بأن الزاكي المُزكَّىٰ من حسُنَت أفعاله وزكَّاه الله عزَّ وجلَّ، فلا عِبرة بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له»، وذكر حديث مسلمٍ الذي مرَّ، وقال: «فقد دلَّ الكتاب والسُّنَّة علىٰ المنع من تزكية الإنسان نفسه».اهـ

لكنه خالف هذا في (سورة الضحىٰ) فاستحب التحدُّث بالنِّعمة وغفل عن سياق الآية، كما غفل غيره ونسي ما قاله هنا، وجلَّ من لا يغفل ولا ينسي.

وحديث النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ المنبر: «**مَنْ لم يَشكُرِ القَليل لم يَشكُرِ الكَثيرَ، ومن لم يَشكُر الناسَ لم يَشكُر الله، والتحدُّث بِنعْمَةِ الله شُكْرٌ وتركُهَا كُفرٌ، والجماعة رَحْمةٌ والفُرْقُة عَذَابٌ**». رواه أحمد، وإسناده ضعيفٌ.

وهو الحديث الثامن عشر في "الأربعين الغمارية"، وذكرت له هناك طُرُقًا تُقوِّيه، لكن ليس فيها عبارة التحدُّث بالنِّعمة، وقلت تعليقًا عليه: «يؤخذ منه الحضُّ علىٰ أمور: الأول: التحدُّث بالنِّعم وإذاعتها، وأنَّ ذلك من الشكر المطلوب، وذلك مقيَّد بما إذا لم يكن في التحدُّث مفاخرة أو مكاثرة أو رياء، وإلا فهو مذمومٌ».اهـ

وما قيَّدت به التحدُّث بالنِّعمة قرَّره العلماء أيضًا، ولم أشر إلىٰ أنَّ التحدُّث بالنِّعمة مأخوذٌ من الآية، بل اقتصرت علىٰ الحديث مع ضعفه؛ لأن الآية خاصَّةٌ بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما قلنا.

لكن يَرِد هنا إشكال وهو: كيف يجوز التحدث بالنِّعم وقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ يمنع منه؟ ونقول في الجواب عن ذلك:

النِّعَم نوعان: نِعَم مادية: كالمال والأكل واللبس، ونِعَم معنوية: كالعلم والصلاح والهداية، فالنعم المادية شكرها إظهار أثرها.

روىٰ ابن حِبَّان، والحاكم، عن أبي الأحوص، عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنا قَشِف الهيئة فقال: «**هل لَكَ مِنَ مَال؟**» قلت: نعم، قال: «**مِن أيِّ المال؟**» قلت: من كل المال، قد أتاني الله من الإبل والخيل والرقيق والنعم، قال: «**فإذا آتاكَ اللهُ مالًا فليُرَ عليكَ**».

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كُلُوا واشربوا وتَصَدَّقوا في غيرِ سَرَفٍ ولا مَخِيلَةٍ، فإنَّ الله يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**». رواه أبن أبي الدنيا في كتاب "الشكر"، ورجال إسناده ثقاتٌ.

وروىٰ أبو يعلىٰ، والبيهقيُّ، عن عطية العوفي، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُ الجمالَ، ويُحِبُ أنْ يَرَى نِعْمَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَيُبْغِضُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ**». والأحاديث في هذا المعني كثيرة.

وشكر النعم المعنوية: العمل، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ [سبأ: ١٣]، قال أبو عبدالرحمن السلمي: «الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خيرٍ تعمله لله عزَّ وجلَّ شكر». وقال محمد بن كعب القرظيُّ: «الشكر: تقوىٰ الله والعمل الصالح».

وفي "صحيح مسلم"، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم كان يقوم من الليل حتَّىٰ تَفَطَّرَ قَدَماهُ، فَقُلتُ له: أتصنع هذا وقد غَفَرَ اللهُ لَكَ ما تَقَدَّم من ذَنْبِك وما تَأَخَّر؟! فقال: «**أفلا أكونُ عبدًا شَكورًا**».

قال القرطبيُّ في "تفسيره": «إن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار علىٰ عمل اللسان، فالشكر بالأفعال: عمل الأركان، والشكر بالأقوال: عمل اللسان».اهـ

قلت: معنىٰ الشكر باللسان: أن يُظهر الشخص حمد الله علىٰ نعمه بأن يقول: الحمد لله علىٰ توفيقه، وعلىٰ هدايته، وعلىٰ إلهامه، ونحو ذلك. وليس بلازم أن يعدد أنواع النعم بأن يقول صليت كذا ركعة، أو أني أقوم الليل أو أفعل كذا من أنواع الخير.

نعم يجوز للشخص أن يتحدث عن نفسه في حالتين:

الأولى: أن يقصد تحريض بعض أصحابه ومحبيه علىٰ فعل طاعة، كأن يتصدق أمامهم ليحثهم بذلك علىٰ للصدقة.

والأخرى: أن يقصد التعريف بنفسه ليعرف غيره حاله ويعملوا بنقله وفتواه إذا ثبت عندهم صدقه في نقله وتحريه في فتواه، وقد يحتاج إليه في شهادة ونحوها وهذا لا خلاف في جوازه.

بل اِستدُل بقول يوسف عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] على طلب الولاية.

قال الحافظ السيوطي في "الإكليل": «استُدِل به علىٰ جواز طلب الولاية، كالقضاء ونحوه لمن وثق من نفسه بالقيام بحقوقه، بصفة مدح للمصلحة،

خصوصًا لمن لا يُعلم مقامه».اهـ

وقال ابن جزي في "تفسيره": «ويستدل بذلك أنه يجوز للرجل أن يُعرِّف بنفسه، ويمدح نفسه بالحق إذا جُهِل أمره، وإذا كان في ذلك فائدة».اهـ

وحديث النهي عن طلب الإمارة، محمول على ما إذا كان الطالب ليس أهلًا لها، بدليل أن أبا ذر رضي الله عنه طلب من النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يولِّيَه الزكاة، فقال له: «**إنَّك رَجُلٌ ضَعِيفٌ وإنِّي أحبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لِنَفْسِي**». فَصَرَفَه عن الولاية لضعفه عن القيام بحقوقها.

وبعد انتهاء هذه المقدمة، نشْرع في المقصود بحَوْل الله وقُوَّتِه فنقول:

فصل: نَسَبي

أنا الفقير إلى الله تعالى: عبدالله ابن الشيخ الإمام العالم العلَّامة الهمام شيخ المسلمين والإسلام قدوة العلماء الأعلام أبي عبدالله شمس الدين سيدي محمد ابن الولي الكبير والعارف الشهير صاحب الأحوال والكرامات سيدي محمد الصِّدِّيق ابن الإمام العلامة النحوي شيخ الإقراء والمقرئين القطب الفرد الجامع سيدي أحمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن محمد -مرتين- ابن الولي الشهير سيدي عبدالمؤمن بن محمد بن الولي الكبير صاحب الكرامات الظاهرة سيدي عبدالمؤمن بن علي بن الحسن بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن عيسي بن سعيد بن مسعود بن الفضيل بن علي بن عمر بن العربي علال -وهو علي باللغة المغربية- بن موسى بن أحمد بن داود بن تاج المغرب مولانا إدريس بن فاتح المغرب وناشر الإسلام برُبُوعِه مولانا إدريس الأكبر بن الإمام عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن سيِّدنا الحسن بن سيِّدنا عليٍّ وسيِّدتنا فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

هذا هو نسبنا المعروف الشائع بين أفراد عائلتنا بغُمارة وغيرها، وهو ثابت محقَّق بطريق الشهادة والشهرة والتواتر بين الناس.

ولكن العلامة أبا العلاء إدريس بن محمد الفضيلي العلوي -والد شيخنا مولاي عبدالله الفضيلي- ذكر في كتابه "الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية" (ج ٢ ص ١٨٣ طبع فاس سنة ١٣١٤هـ) في الكلام على أبناء الفرع الثالث من فروع مولانا عبدالله الكامل، وهو السيد سليمان، ما نصه: «وفرقة بغُمارة وهم أولاد عبدالمؤمن، ورجع بعضهم

لتلمسان وجميعهم أولاد السيد عمر الشريف بن أحمد بن محمد العابد بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبدالله الكامل».اهـ

فجَعَلَنا من أولاد سليمان أخي إدريس الأكبر، والثابت لدينا ما تقدَّم، وهو المسجَّل في ظهائر ملوك دولة الشرفاء السعديِّين ودولة الشرفاء العلويِّين الحاضرين إلى عهد السلطان عبدالعزيز المؤرخ ظهيره بذلك سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف هجرية [١٣١٢هـ]، فلعل ذهنه انتقل من السيد عمر بن العربي الموجود في سلسلة نسبنا، فظنه السيد عمر الشريف.

وعلى كلِّ حال فإن هذا الخلاف لا يضر في صحَّة النسب ولا يؤثِّر فيه شيئًا؛ لأن سليمان أخو إدريس وفروعهما منتشرة في المغرب، فإذا نسب فرع من فروع أحدهما إلى الآخر على سبيل الوهم أو الغلط لم يكن ذلك داعيًا إلى الشك في النسب من أصله، كما هو المعروف.

ونظير هذا ذكره المحدِّثون في مبحث المضطرب، حيث قالوا: إن الاضطراب قد يجتمع مع الصحة، وذلك بأن يحصل الاختلاف في اسم رجل وأبيه ونسبه -ويكون ثقة- فيُحكم للحديث بالصحة مع تسميته مضطربًا، وكذلك إذا اختُلِف في الحديث هل هو من رواية فلان أو فلان؟، ويكون كل منهما ثقة، فيكون الحديث صحيحًا مع تسميته مضطربًا.

قال الزركشي: «قد يدخل القلب والاضطراب والشذوذ في قسم الصحيح والحسن».اهـ

وإنما نبَّهتُ على هذا مع وضوحه، لأن بعض الناس لما اطَّلَع على كتاب "التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق"، ورأى الخلاف

١

المشار إليه آنفًا قال: «إن أخاك شكَّك في صحَّة نسبكم بذكر الخلاف فيه»، فلم أَرُدُّ عليه لأنه عامِّيٌّ لا يعرف قواعد العلم، رحمه الله.

فصل: نسبي من جهة الأم

والدتي هي التقية الصالحة الطاهرة النقية فاطمة الزهراء، كانت منقطعة النظير في البذل والكرم، فريدة في البشاشة وحسن الخلق واحتمال الأذىٰ من النساء الجاهلات، تغُضُّ عن كثير مما يقع منهنَّ، سواء أكان عن قصدٍ أم عن غير قصدٍ، شديدة العطف علىٰ الفقراء والمساكين، تبالغ في إكرامهم وتبذل لهم ما يحتاجون إليه من ثياب أو مال أو غير ذلك.

كان النساء يقصدنها في كثير من حاجاتهنَّ فتقضي لهنَّ ما تستطيع قضاءه وتعدهنَّ بالباقي أو تعتذر بإسلوبٍ لا يجرح إحساسهنَّ فيخرجن مسرورات داعيات لها، وكانت لها أراء صائبة وفراسة حادَّة، إذا تكلَّمت فكأنها تستشف حجب الغيب وتنظر ما وراءه، وكم حصل ما توقَّعته أو تفرَّست فيه بعد وفاتها.

وكان مولانا الشيخ الإمام الوالد رضي الله عنه إذا ذكر ذلك يترضَّى عنها ويقول: «كانت عاقلة حكيمة». وأخبرني أنها أدركت الولاية في آخر حياتها.

تُوفِّيَت شهيدة النِّفاس ليلة القدر سنة ١٣٤١هـ وهي دون الأربعين، وفي سنة ١٣٥٤هـ أردنا نقلها إلىٰ مكان أخر بجانب قبر مولانا الإمام الوالد، فوجدناها سليمة كأنها دفنت في تلك الساعة، وكان الحاضرون لنقلها أكثر من عشرين نفرًا شاهدوا ذلك، رضي الله عنها وأرضاها وألحَقَنا بها علىٰ الإيمان.

ووالدها هو الناسك، الخاشع، الذاكر، التالي لكتاب الله، سيدي

عبدالحفيظ بن عجيبة خال مولانا الإمام الوالد، كان مديد القامة، مليح الوجه، ظاهر البركة، منوَّر الشيبة، معتَقَدًا عند الخاصة والعامة، إذا مشىٰ في الطريق تسارع الناس إلىٰ تقبيل يده والتماس بركة دعائه، وكثيرًا ما كان يرفع صوته بالهيْلَلَة في الطريق بصوت جهوري جميل، يَذْكُر الناس له كرامات، عاش أكثر من ثمانين سنة، ولم تَفُتْه صلاة الصبح في المسجد الذي كان يَؤم فيه بِضعًا وثلاثين سنة، لا يُثنيه عن الحضور إلىٰ المسجد ما يلقاه أيام الشتاء من كثرة المطر، ووحل الطريق، وظلمة الليل، وشدة البرد، حتىٰ ذهب إلىٰ مولاه راضيًا مرضيًّا سنة ١٣٥٣هـ.

ووالده هو الإمام العلامة، الفقيه، الصوفي، المشارك في المعقول والمنقول، سيدي أحمد بن عجيبة، كان فصيح العبارة قوي الذاكرة، كثير الحفظ، بارعًا في العلوم العقلية، توفي سنة١٢٧٥هـ وله ضريح بطنجة يزار.

ووالده هو الإمام العلامة، الفقيه، الصوفي، المفسِّر، الولي الكبير، سيدي أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني صاحب "إيقاظ الهمم في شرح الحكم"، و"البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" وغير ذلك من المؤلفات، وله فهرس ترجم فيه لنفسه، وله كرامات كثيرة توفي سنة ١٢٢٤هـ رضي الله عنه ونفعني ببركته.

الولادة والنشأة

كانت ولادتي آخر يوم من جمادىٰ الآخرة، أو غرة رجب سنة ١٣٢٨هـ بثغر طنجة وعقَّ عني مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه بكبشين، عملًا بالسُّنَّة.

ففي "المسند" و"سنن الترمذي"، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم: «**عَنِ الغُلامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ وعن الجارِيَةِ شَاةٌ**».

وفي "المسنَد" و"سنن الترمذي" أيضًا، عن أُمِّ كُرْز الكَعْبيَّة: أنها سألت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن العقيقة، فقال: «**نعم، عَنِ الغلام شَاتانِ، وعن الأُنثى واحِدَةٌ، لا يَضُرُّكُم ذُكْرَانًا كُنَّ أو إنَاثًا**». صحَّحه الترمذيُّ وابن حِبَّان، وفي الباب غير هذا من الحديث.

وفي سنة تسع وعشرين رحل مولانا الإمام الوالد بالعائلة ومعه جماعة الإخوان والأتباع إلىٰ الحجاز لأداء فريضة الحج، وكلَّف أحد الإخوان أن يفعل بي شعائر الحج، وذلك للسُّنَّة الثابتة فيه.

ففي "صحيح مسلم"، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَقِيَ رَكْبًا بالرَّوْحاءِ فقال: «**مَنِ القومُ؟**» قالوا: المسلمون، قالوا: مَن أنتَ؟ قال: «**رسولُ الله**» فرفعتِ امرأةٌ صَبِيًّا فقالت: أَلهذا حَجٌّ؟ قال: «**نَعَمْ، ولك أجرٌ**».

وحين كان لي خمس سنين تقريبًا دخلت الجامع وهو الكتَّاب أو المكتب، فقرأت علىٰ الفقيه عبدالكريم البَرَّاق -بفتح الموحدة وتشديد الراء- الأنجري جزء (عم يتساءلون) وما فوقه، حتىٰ وصلتُ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥] ثم حَصَلت أشياء اقتضت انفصاله عن الجامع.

وجاء بعده الفقيه السيد محمد الأندلسي المصوَّري -بفتح الواو المشددة- نسبة إلى قبيلة بني مصوَّر، وهي قريبة من طنجة، فقرأت عليه بقية الختمة ونسميها: السُلْكة -بضم السين وسكون اللام- وأربع ختمات أخرى، حفظت فيها القرآن جيدًا بقراءة «ورش» وهي القراءة المتبعة عندنا بالمغرب، ثم قرأت ختمة سادسة تأكيد الحفظ.

وكانت لي عناية كبيرة بمعرفة ألِفات القرآن الثابتة والمحذوفة، ومُدوداتِه الطويلة والمتوسطة، وتاءاته المسرَّحة والمربوطة، وإمالاته -ونسميها تعويضات- ومنفرداته التي لم يأت من نوعها في الختمة إلا كلمة واحدة، وغير ذلك مما يتعلق برسم القرآن حتى بُرِّزتُ فيه على كثير من كبار الفقهاء الذين يعملون في المكاتب، بَلْه مَن دونهم من التلاميذ ممن هم في سني أو أكبر مني بيسير.

ولشغفي بهذا الفن حفظت معظم منظومة الخرَّاز المسماة "مورد الظمآن" والتي شرحها العلامة الفقية أبو محمد عبدالواحد بن عاشر بشرح سماه "فتح المنان" رأيته في مكتبة مولانا الشيخ الإمام الوالد رحمه الله ورضى عنه.

ولم يكن لي اعتناء بالتجويد، ولم نكن نسمع به لأنه انقرض منذ أكثر من مائة سنه، لا يعرفه كبار العلماء بالمغرب فضلًا عمن دونهم، مع أنَّ ابن الجزريِّ الحافظ وإمام القرَّاء يحكي الإجماع على تحريم قراءة القران بدون تجويد.

ولذلك لما عزمنا على السفر إلى القاهرة، أمرني مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه أن أتعلَّم التجويد لأنه موجود في مصر، وهو لا يزال شائعًا معمولًا به بين القراء حفَّاظ القرآن يُمتحن القارئ في تلاوته، فإذا أحسن القراءة بالتجويد

وأتقن مخارج الحروف، وراعىٰ المد والغنة والإخفاء والإقلاب والإبدال أُجيز، وإلَّا فلا، ولا تجد في مصر إمامًا في مسجد، ولا خطيب جمعة، ولا قارئًا في الإذاعة إلا وهو يجود.

وحصل مرة قبل أن أعرف التجويد أن قدَّموني لصلاة المغرب بالمسجد الحسيني لعدم حضور الإمام، فلما انتهينا من الصلاة استنكر كثير من المصلين صلاتي لأني لم أجود في التلاوة، ومرة أخرىٰ صليت المغرب بقرية أويش الحجر وقرأت (سورة النصر)، وبعد الصلاة نبَّهني بعض المصلين إلىٰ أني لم أمد ﴿جَآءَ﴾ المد الواجب -وهو ست حركات- وكنت مددت حركتين فقط، وكلمة ﴿جَآءَ﴾ فيها مد لازم بإجماع القراء.

وفي المغرب اليوم بدأ الطلبة يعتنون بتجويد التلاوة في نطاق ضيق نرجو أن ينتشر حتىٰ يعم أنحاء البلاد، ويصير القراء كلهم مجوِّدين كما في مصر، وما ذلك علىٰ الله بعزيز.

ثم شرعْتُ في حفظ بعض المتون، فحفظت متن "الأربعين النووية" و"الأجرومية"، وجملة كبيرة من "الألفية"، وقطعة من "بلوغ المرام"، ومن "مختصر الشيخ خليل"، ولم أستمر لأنه لم تكن لي رغبه في الحفظ.

وزاولت لعب كرة القدم مدة ثلاث سنوات، وكنت أصطاد السمك في بعض الأحيان، لكن غرامي بالكرة أكثر.

ولم أقرأ في هذه المدة شيئًا من العلم، إلا أني قرأت "الأجرومية" بشرح الأزهري علىٰ أخي أبي الفيض بزاويتنا الصديقية، وحللت قبل ذلك عباراتها تحليلًا موجزًا علىٰ خالنا السيد أحمد بن عبدالحفيظ بن عجيبة.

فصل: الرحلة إلى فاس

ثُمَّ أمرني مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه بالسفر إلى فاس لطلب العلم بجامعة القرويين حيث تعلَّم آباؤنا وأجدادنا، وفيه يتعلَّم أهل المغرب كافَّةً، وكانت الدراسة فيها على الطريقة القديمة، يجلس الأستاذ والطلبة حوله يتلقون عنه، وشرعت في حضور الدروس فصعب علي النحو جدًّا، فاقترح الشريف سيدي العباس بن حربيط أن يكلِّم الأستاذ محمد الكردودي العدل يحل معي أبيات "الألفية" حلًّا موجزًا يُسَهِّل لي فهمها.

فكتبت إليَّ مولانا الإمام أستشيره فكتب إلى يقول: «لا تستعن بأحدٍ، واحضر الدروس سواء فهمت أم لم تفهم وعن قريبٍ ستفهم، والعلم لنا مضمون، وإنما نسلك سنَّة الله في الأخذ والتلقِّي».

كان هذا جوابه لي فنفَّذْتُ كلامه، وفي مدَّةٍ وجيزةٍ لم تبلغ ستة أشهر فتح الله عليَّ بالفهم والحمد لله.

وكان غرضي أن أدرس بالتدرُّج، أدرس النحو أولًا، فإذا فهمتُ درستُ الفقه وهكذا، فقال لي مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه: «العمر قصيرٌ لا يتسع لقراءة كل علمٍ على حِدَته، فاحضر الدروس في علومٍ مختلفةٍ ومتي حصلت مَلَكَة الفهم في علمٍ سهل عليك بقيَّته».

وبعد ستة أشهر رجعت إلى طنجة فمكثت بها سنة أو أكثر عملت أثناءها رحلة إلى قبيلة أنجرة لزيارة جدنا بمدشر الزميج سيدي أحمد بن عجيبة وزيارة الإخوان الصِّدِّيقيين هناك، عدتُ بعدها إلى فاس حيث اجتهدتُ في التحصيل، فقرأت "الألفية" بـ"شرح المكُّودي" على شيخنا العلامة الشريف

سيدي الحبيب المهاجي، وبـ"شرح المكُّودي" أيضًا مع "حاشية ابن الحاج" على شيخنا الشيخ محمد بن الحاج بن المُحَشِّي، وهو الشيخ حمدون بن الحاج، له حاشية على "شرح المكودي" وله ولوع بالاعتراض عليه، حتى إن مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه ذكر لي أنه رأى الشيخ المكودي في المنام يشتكي إليه من اعتراضات المُحَشِّي، ويطلب منه أن ينتصر له.

وحضَرْتُ "الألفية" أيضًا بـ"شرح ابن عقيل" و"حاشية السجاعي" على الشيخ محَمد -بفتح الميم الأولى- ابن الحاج، ابن عم المذكور قبله.

وحضَرْتُ في أول "مختصر الشيخ خليل" على شيخنا سيدي الحبيب المهاجي بـ"شرح الخَرَشي".

وحضرت "كتاب الجنايات" وما إليها على شيخنا العلامة المحقِّق مولاي أحمد القادري.

وحضرت "باب البيع" وما يتبعه على شيخنا العلامة الشيخ محمد الصنهاجي.

حضرت أبوابًا أخرى من "المختصر بشرح الخرشي" -وهو المقرَّرُ- على شيخنا الشيخ محمد بن الحاج السابق ذكره، والعلامة مولاي أحمد ابن الجيلاني شيخ الجماعة.

وقطعة من "المختصر" بـ"شرح الزرقاني" على العلامة مولاي عبدالله الفضيلي شيخ الجماعة بعد وفاة الشيخ السابق.

وحضرت من "باب الإجارة" إلى آخر "المختصر" بـ"شرح الدردير"، على العلامة مولاي عبدالرحمن ابن القرشي.

وحضرت "فرائض المختصر" بـ"شرح الخرشي" و"حاشية سيدي أحمد بن الخياط" على العلامة الفقية أبي الشتاه الصنهاجي.

وحضرت في "صحيح البخاري" بـ"شرح القسطلَّاني" على الشيخ محمد بن الحاج بجامع مولاي إدريس.

فلما وصل إلى «كتاب الجهاد» بعث إليه الحاكم الفرنسي لمدينة فاس ألا يقرأ هذا الكتاب ويقرأ ما بعده، فانقطع عن الدرس أيامًا، حتى ذهب بعض الأعيان إلى الحاكم وأفهموه أنه لا يجوز بتر الكتاب بتخطي بعض أبوابه، فسمح بقراءته على ألا يتوسع في الشرح.

وكان باب الجهاد لا يُقرأ في كتب الفقه بالمغرب لأن فرنسا منعته، إلا في طنجة، فإن مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه كان يقرأه في "المختصر" وفي "صحيح البخاري"، ويبالغ في شرح أحكامه، ويتعرَّض لذم المستعمر ويحض على مقاومته، ولم تستطع فرنسا أن تمنعه من ذلك.

وحضرْتُ "تفسير الجلالين" بـ"حاشية الصاوي" على شيخنا العلامة سيدي الحسين العراقي بجامع سيدي عبدالرحمن المليلي، والتفسير لا يقرأه أحد في القرويين ولا الحديث إلا في رمضان، وكان العلامة المحدث سيدي عبدالحي الكتاني يقرأ في جامع القرويين "حاشية الشنواني على ابن أبي جمرة" بعد العصر، حضرْتُها عليه.

وحضرت "جمع الجوامع بشرح المَحلِّي" من أوله إلى «كتاب السنة» على سيدي الحسين العراقي. وحضرت «مبحث الأداء والقضاء» منه على العلامة المحقق الشيخ الراضي السناني.

وحضرت «المقدمات» منه على العلامة مولاي عبدالله الفضيلي.

وحضرت قطعة كبيرة منه على شيخنا العلامة المحقق الشيخ العباس بناني، كما حضرت عليه "المقولات العشر"، وحضرت عليه أيضًا "توحيد ابن عاشر".

وكان بعض الإخوان الصدِّيقيِّين ينهوني عن حضور دروسه لأنه يشرب الدخان ويتهمونه بترك الصلاة، فكتبت إلى مولانا الوالد أخبره بذلك، فأجابني بقوله: «أحضر دروسه ولا شأن لك بحاله».

وكان هذا الشيخ يحبني ويقدرني وكنت أتردد عليه في بيته، زرته مرة وطلبت منه كتابة فتوى تتعلق بزاويتنا في فاس، فوافق أن يكتبها ثم سألني: «هل يراها والدك؟» قلت: «نعم» قال: «يجب أن نحتاط فيها؛ لأن والدك في العلم مخيف».

وبلغ من تقديره لي أني لما كنت بمصر وأردت أن أدخل امتحان شهادة العالمية الأزهرية طلب مني شيخ الأزهر، وهو الشيخ المراغي، أن أُقدِّم شهادة من معهد مغربي رسمي بعدَّة السنوات التي قضيتها في التعلم بها لتُضَم إلى سِنيّ الأزهر، فكتبتُ أطلب شهادة من القرويين، فتوقف شيخ الجماعة في إجابة طلبي فقال له الشيخ عباس: «ليس عندك أعلم منه ولا مثله».

وحضرت "رسالة الوضع" على مولاي عبدالله الفضيلي.

وحضرت "شرح القويسني على السلم" على الشيخ سيدي الحبيب المهاجي.

وشرعت في قراءة "القلصادي في الحساب" ولم أُتمه لأني لم ينشرح قلبي له.

ولم أقرأ "تحفة ابن عاصم" لأنها في علم القضاء، وكان مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه يكره القضاء ويحذرني من توليه، وولي بعض تلاميذه القضاء فعنَّفه تعنيفًا بالغًا حتىٰ قال له: «لأن تبيع الفحم خير لك ولدينك من وظيفة القضاء»، وكان يكره وظيفة العدالة وينهىٰ عنها.

ورجع إلىٰ فاس بعد غيبة طويلة العلامة المحدث الولي الصالح سيدي محمد بن جعفر الكتاني، فاستقبله أهل فاس استقبالًا شعبيًّا حافِلًا وأقبلوا علىٰ زيارته وتهنئته بسلامة الوصول وكان يومًا مشهودًا، فزرتُه، وكنت أزوره في بيته فيُجلسني معه علىٰ سريره، وإذا حضرت في وقت أكل يجلسني إلىٰ جنبه ويواكلني وقد يناولني لقمة بيده الكريمة، وكان بينه وبين الإمام الوالد مودَّة كبيرة، حتىٰ أنه لما تُوفِّي في رمضان سنة ١٣٤٥ -وكنت في طنجة- رأيت مولانا الإمام رضي الله عنه بكىٰ عليه بكاءًا شديدًا وحَزِن لفقده حزنًا كبيرًا، بقي عليه أثره مدة طويلة.

وأنا أعتبر من أعظم حسناتي تَشَرُّفي بهذين الإمامين العظيمين اللذين لم يكن في عصرنا ولا قبله بكثير نظير لهما في علمهما وورعهما وولايتهما وهديهما رضي الله عنهما ونفعني برضاهما.

ثم سافرت إلىٰ فاس أيضًا فكنت أزور العلامة سيدي الزمزمي بن سيدي محمد بن جعفر، وكان يُطْلِعُني علىٰ مؤلَّفات والده ومنها كتاب "العلم النبوي" وهو في جزءين بخطه الدقيق الواضح، وكلفني مولانا الإمام الوالد بنسخ بعض مؤلفاته، فقمت بنسخها عند نَسَّاخ جيد الخط منها: "الإعلام بما في المجانات"، "الساعات"، "المحلاة من الأحكام"، ومنها كتاب في تحريم

الدخان، ومنها كتاب في البسملة، ومنها كتاب "سلوك السبيل الواضح إلى أن القبض في الصلوات كلها على مذهب مالك مشهور وراجح".

ثم رجعت إلى طنجة وذهبت إلى قبيلة بني منصور من قبائل غُمارة، وكان معي أخي الزمزمي فزرنا ضوارح أجدادنا سيدي الحاج أحمد وسيدي الحاج الصديق وسيدي عبدالمؤمن وسيدي محمد المؤذن، كما زرنا ضريح سيدي أحمد الفلالي وضريح سيدي محمد البوزيدي.

ورجعت إلى طنجة فشرعت في شرح "الأجرومية" وهو شرح كبير يقع في (٢١٣ صفحة) وكنت أُطلع مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه على ما أكتبه منه، فيُصلح لي ما أخطئ فيه، ورأى لهجتي في رد رأي بعض النحويين فيها شدة فقال: «لا ترد على العلماء بهذا الأسلوب ولكن قل: هذا سهو أو سبق قلم أو اشتباه، أو نحو هذا من العبارات الخفيفة».

وهذا أول كتاب ألفته في حياتي، وكان مولانا الإمام الوالد يُدرِّبني على البحث ومعرفة المَظان فيأمرني بكتابة أبحاث تستدعي المراجعة.

أمرني مرة أن أكتب بحثًا في لفظ «أول»، ما أصله؟ وهل هو معرفة أم لا؟، ومرة أخرى أمرني أن أكتب بحثًا في «أي» متى تعرب؟ ومتي تُبْنَى؟

وهكذا كان يتعاهدني الفينة بعد الفينة بمثل هذه المسائل، وحضرت عليه في "شرح ابن أبي جمرة" لـ"مختصره" من "صحيح البخاري".

وكان يُنَوِّه بعلمه ودقة استنباطه، فقد استنبط من حديث بدء الوحي نحو سبعين وجهًا من الآداب والأخلاق، ولا ينقل فيه عن شخص معين، وكل ما يقوله من بنات فكره، ويقول لي: «إن الحافظ ينقل عنه في "فتح الباري" ويُحلِّيه

بـ«العارف» اعترافًا بفضله، مع أنه منحرف عن الصوفية».

وحضرت عليه في "شرح الرسالة" لأبي الحسن، وحلَّ مشكلات عرضت لي في "مغني اللبيب" وشروح "التخليص"، وكنت أسأله عن أشياء في الفقه والحديث فيُجيبني، وتارة يُحيلني على كتاب لأعرف منه الجواب ببحثي فيه.

وكان يُثني علي مع أصدقائه الذين يجالسونه ويصفني بحُسن الفهم وجودة المعرفة، أخبرني بذلك غير واحد، منهم الفقية الأمين المهدي، وزارني مرة الفقية الأديب الأستاذ العياشي سكرج وبيده كتاب فقلت له: «ما هذا؟» قال: «هذا كتاب شرحت فيه أبيات ابن مالك في فعل الأمر المعتل الذي يأتي على حرف وأولها:

إِنِّي أَقُولُ لِمَنْ تُرْجَىٰ وِقَايَتُه   قِ الْمُسْتَجِيرَ قِيَاهُ قُوهُ قِي قِين

وقد كنت قرأتها في "حاشية الخضري على ابن عقيل"»، قلت له: «وما علاقتي بهذا؟» قال: «أتيت به إلى السيد والدك لينظر فيه فأحالني عليك وأثنى على معرفتك وإتقانك لهذا العلم». فأخذته منه وقرأته وكتبت عليه ما ظهر لي.

وكان رضي الله عنه يحدثني عن الكتب العلمية في مختلف العلوم ويعطيني فكرة عن كل كتاب وقيمته، وكنت أكلمه في السفر إلى مصر فيقول لي: «ستذهب إلى مصر إن شاء الله، ولكن أحبك أن تذهب عالمًا يحتاج إليك علماء الأزهر». وكنت أظن أنه يقول هذا لي على سبيل التبصير والتشجيع وظهر فيما بعد أنه كان يقول الحقيقة فقد احتاج إليَّ علماء في الأزهر كما سيأتي بيان ذلك بحول الله.

وكان إذا جاءه استفتاء من أي جهة من المغرب يُملي علي الفتوى وأنا

أكتبها ثم يمضيها، وتارة يأمرني أن أمضيها باسمي.

وكنت أزوره كل صباح في المكتبة أو في البيت الذي يجلس فيه فإن تأخرت يومًا يبعث إلي ويسألني: «لم تأخرت عني؟»، وكنت أناقشه كثيرًا وأُلح في مناقشتة فيتسع صدره ولا يضيق بي.

وبالجملة استفدت كثيرًا من إفاداته وإرشاداته وتوجيهاته رضي الله عنه وجزاه عني أفضل ما جزىٰ والدًا عن ولده.

ولازمت مطالعة "مقامات الحريري" حتىٰ كدت أحفظها، وفهمت ما فيها من أنواع البلاغة وأفادتني كثيرا في هذا المجال.

فصل: السفر إلى مصر

وفي أواخر شهر شعبان سنة ١٢٤٩هـ ركبنا باخرة يابانية متوجِّهة من إنجلترا إلىٰ الإسكندرية أنا والأخ الأكبر والزمزمي ورفيق معنا اسمه الحاج أحمد عبدالسلام القرشي -بالقاف المعقودة- وشهرته الشكارة.

وقبل الذهاب إلىٰ الميناء طلعت الدور الفوقي -أي العلوي- حيث يجلس مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه فلقنني وِرْد الطريقة الشاذلية وأوصاني بالاستقامة ولزوم الجادَّة، فقبَّلت يده ورجليه وانصرفت، وكان قبل ذلك قد حدَّثني عن الأزهر وعن مصر بوجهٍ عام وأمرني بتعلُّم التجويد وعلم التوقيت.

أقلعت بنا الباخرة متجهة إلىٰ المشرق وليس فيها مسلمون غيرنا، وكان البحر هادئًا والجو صافيًا مع أنه كان فصل الشتاء، وكان الزمزمي لم يتقدَّم له قراءة شيء من العلم إطلاقًا فشرعت أُدَرِّس له "الأجرومية"، نطلع بعد صلاة

العصر إلى ظَهر الباخرة ونأخذ درسًا فيها.

واستمر الحال على ذلك ثمانية أيام لم يحصل فيها ما يُكَدِّر البال حتى كان اليوم الثامن وأخبر ربان الباخرة أننا سنصل الإسكندرية عند الفجر، طلعنا لنأخذ درسنا المعتاد وكان موضوعه ظرف الزمان فقلت موضحًا لأخي كيف يُنصب الظرف: «نصل إلى الإسكندرية غدًا»، فقال الأخ الأكبر: «قل: إن شاء الله»، فقلت: «لم أقولها وقد تحدد موعد الوصول؟ وهذه الإسكندرية بدت مبانيها تظهر من بعد».

وانتهى اليوم وصلَّينا العشاء ونمنا في وقتنا المعتاد، وفي الساعة الثانية عشرة ليلًا أو بعدها بقليل هاج البحر هيجانًا عظيما قال الربان: «لم يُر مثله منذ خمس وثلاثين سنة».

وكانت الموجة لعِظَمِها تُغطِّي المركب تَغْطِيَةً تامة والمركب تتأرجح بنا كالقشرة، ونحن لا نملك أنفسنا من شدة دوار البحر ودوخته، والأواني التي معنا قلبها البحر رأسا على عقب وانكسر بعضها، واعترانا خوف شديد.

وزاد في خوفنا أن الربان أخبرنا أن باخرة أمامنا وجهتها كوجهتنا بعثت إشارة إلى الإسكندرية تطلب النجدة لكنها غرقت قبل وصولها، فأَيْقَنَّا أَنَّا لاحقون بها ويَئسنا من الحياة، وكلما غطتنا موجة ظننا أنها مُغْرِقَتنا واستمر الحال كذلك نحو سبع ساعات رأينا الموت فيها عيانًا.

ثم لطف الله بنا وخَفَّ هَيَجَان البحر بعض الشيء ولم نصل الإسكندرية إلا في الظهر بعد مشقة كبيرة، فحمدنا الله وعلمنا أن هذه عقوبة على ترك المشيئة.

والله تعالى حين قال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ

﴿ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] لم يكن في حاجة إلى تعليق بالمشيئة لأنه غالب على أمره لا تعترضه عوائق ولا شواغل، وإنما علق بالمشيئة تعليما لعباده لئلَّا يغفلوا عنها.

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قال سُليمانُ بنُ داودَ عليهما السلام: لأَطُوفَنَّ اللَّيلةَ على مائةِ امرأةٍ تَلِدُ كُلُّ امرأةٍ مِنهنَّ غُلامًا يُقاتِلُ في سبيلِ الله، فقال له المَلَك: «قُلْ إنْ شَاءَ اللهُ». فلم يَقُلْ، فطَافَ بِهِنَّ فلم يَلِدِ مِنهنَّ إلَّا امرأةٌ واحدةٌ؛ نِصْفُ إنسانٍ**».

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نَفْسِي بِيَدِه لو قال: إنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَحْنَثْ، ولقَاتَلُوا في سَبيلِ الله فُرْسَانًا أَجْمَعِين**». ولم يستثن سليمان عليه السلام لقوة رجائه في الله أن يُجيب طلبه.

وفي "سيرة ابن اسحق" عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ اليهود أشاروا على قريش أن يسألوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أصحاب الكهف، والروح، وذي القرنين. فسألوه: فقال: «**أُجِيبُكُم غدًا**». ولم يستثن، فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يومًا، ثم نزل عليه جبريل بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ – ٢٤].

والاستثناء يجري على لسان المصريين كثيرًا تسأل أحدهم: «ستفعل كذا؟» فيقول: «بمشيئة الله»، أو «بإذن الواحد الأحد»، أو «بإذن الله»، وإذا اتفق اثنان أو أكثر على عمل شيء توَّجوا اتفاقهم بالاستثناء، وأهل المغرب لا يستعملون الاستثناء إلَّا في القليل النادر.

ونزلنا في الإسكندرية في بيت الحاج محمد أجزناي الطنجي الذي كان

مفتشًا بشركة ترام الإسكندرية لأنها شركة فرنسية وزرنا معهد الإسكندرية الديني التابع للأزهر وكان رئيسه الشيخ عبدالمجيد اللبان واستجزته فأجازني، ثم زرنا ضريح أبي العباس المرسي وبعض معالم الإسكندرية.

وبعد أسبوع ذهبنا إلى القاهرة واستأجرنا بيتا بالكحكيين قرب ضريح الشيخ الدردير وانتظمنا في الدراسة بالأزهر، وأردت أن أدرس "المختصر" فوجدتهم يدرسونه بشرح الدردير فقط ويسمونه "الشرح الكبير" فحضرته على شيخ أزهري اسمه الشيخ عمران ولم يكن في التحقيق بذلك.

وحضرت "السلم في المنطق" بـ"شرح الملَّوي" و"حاشية الصبان" على الشيخ عبدالقادر الزنتاني الطرابلسي

وحضرت "جمع الجوامع" بـ"شرح المحَلِّي" من «باب القياس» إلى أخره على العلامة محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي، ولما وصل إلى «القوادح» شرع يقرأ معنا "الرسالة السمرقندية" في آداب البحث والمناظرة حتى ختمها.

وحضرت في "منهاج الأصول" للبيضاوي بـ"شرح الإسنوي" على الشيخ حامد جاد.

وحضرت في "تهذيب السعد" بـ"شرح الخبيصي" في المنطق على العلامة المحقق العديم النظير الشيخ محمود إمام عبدالرحمن المنصوري الحنفي، لم أر له نظير في التحقيق والبحث وشدة الاطلاع.

مكث في شرح قول السعد: «العلم إن كان إذعانًا للنسبة فتصديق وإلا فتصور» أربعة أشهر وكان يكتب ما يقرره على المتن والشرح ويناقش الرازي والدواني والزاهدي وأضرابهم من علماء المنطق، وعنده مكتبة قيمة لا توجد

عند أزهري.

أجازني بحديث الأولية كما سمعه من الشيخ أحمد الحلواني صاحب "مواكب ربيع" وليس يروي غيره كما أخبرني عن نفسه.

واتجهت رغبتي في قراءة فقه الشافعية تنفيذًا لأمر مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه فحضرت في "المنهج" للشيخ زكريا الأنصاري على الشيخ محمد عزت وهو يفهمه فهما متقنًا، و"المنهج" عند الشافعية مثل "المختصر" عند المالكية.

وقرأت "شرح الخطيب" على "أبي شجاع" على الفقيه الشيخ عبدالمجيد الشرقاوي حفيد الشيخ عبدالله الشرقاوي، وهو يتقن الفقه إتقانًا تامًا.

ووجدت الشافعية يذكرون في مصنفاتهم الدليل لفروع فقههم فلا يخلو فرع لهم من دليل بخلاف المالكية، فأنهم لا يذكرون في كتبهم دليلًا.

ولما كنت أحضر "شرح الخرشي" على الشيخ محمد الصنهاجي بجامع القرويين مر على حضورنا أربعة أشهر، وإذا بالشيخ الخرشي يذكر حديثًا، فتعجبنا كلنا -الشيخ والطلبة- لذكره هذا الحديث.

وهذا إهمال غير لائق، بل الواجب ذكر الدليل كما يفعل الشافعية والحنفية ليعرف الطالب الحكم بدليله.

وبعد سنتين من وصولنا للقاهرة شجعني الطلبة الذين تعرَّفوا بي على التقدم لامتحان شهادة العالمية الخاصة بالغرباء عن مصر، والامتحان يكون في اثني عشر علمًا، وهي: الأصول، والمعاني، والبيان، والبديع، والنحو، والصرف، والتوحيد، والمنطق، والحديث، والمصطلح، والفقه، والتفسير.

فتقدمت للامتحان ونلت الشهادة، وعلم مولانا الوالد رضي الله عنه بنجاحي ففرح وكتب يهنيني ويأمرني أن أكتب له بما جرىٰ في الامتحان من سؤالات وجوابها، فكتبت له جوابًا مطولًا بتفصيل ذلك حسب أمره.

وصادف في ذلك العام أن مرَّ العلامة المحدث سيدي عبدالحي الكتاني بالقاهرة في طريقه إلىٰ الحجاز، وذهبت لزيارته فهنأني وأظهر سروره بنجاحي لأنه رآه في "جريدة الأهرام".

وفي هذه المدة تعرف بي الأستاذ حسن قاسم، وأخبرني أنه من ذرية الشيخ عبدالقادر الكوهن، وكان محررًا في "مجلة الإسلام"، فكتبت بعض المقالات حررت فيها الكلام علىٰ الأحاديث التي تعرضت لها من حيث الإسناد والصحة، فأُعجِب العلماء كُتَّاب المجلة بما كتبته إذ لم يكن لهم عهد به، وعملوا حفلة شاي استدعوني وكان فيهم الشيخ محمود خليفة وأخوه الشيخ عبدالرحمن والشيخ سيد حسن الشقرا وغيرهم من كُتَّاب المجلة، وأبدوا إعجابهم ببحوثي وبما فيها من تحقيق.

وكانت "مجلة الإسلام" شائعة الذيوع في البلاد الإسلامية، ومنها المغرب فاشتهرت مقالاتي في أنحاء البلاد عندنا وأُعجب الناس بها، وكتب إليَّ مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه يبدي سروره بذلك ويحضني علىٰ المزيد من تلك المقالات.

وخصَّصَت إدارة "مجلة الإسلام" صندوقًا للخطابات التي ترد باسمي يسألني أصحابها في الحديث وغيره، وهي كثيرة تأتي من أنحاء القُطْر المصري، ومن سوريا، والأحساء، والجزائر، وتونس، والمغرب، وأندونيسيا وغيرها.

وكتب إليَّ الأستاذ محمود شويل إمام المسجد النبوي بالمدينة المنورة كتابًا طويلًا يُعتَبر رسالة، تكلم فيها عن مسائل سألني عنها ومما قال:

«كنا نظن أنه لم يبق في مصر والشرق محدِّثون إلا الشيخ رشيد رضا والشيخ أحمد شاكر، فلما قرأنا بحوثك وتحقيقاتك في الحديث اعتبرناك ثالثهما». وهو مع كونه وهابيًا ينصفني ولا يتعصب عليَّ، وكتبت مقالًا في نقد أذكار الوضوء، بينت فيه أن الحديث الوارد في ذلك موضوع فنشأ عن هذا المقال بحثان:

أحدهما: أن الشيخ البشير الرابحي بالجزائر كتب يعقب عليَّ في نفي سماع الحسن البصري من علي عليه السلام ويسألني رأيي، فأجبته في عدة مقالات بعنوان: «حول سماع الحسن البصري من علي».

كما ناقشني في هذا الموضوع أيضًا على صفحات المجلة الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف، الذي صار بعدُ من تلامذتي.

واطَّلع على تلك المقالات مولانا الوالد رضي الله عنه، فكتب إليَّ يبدي سروره بها ويقول: «استمر عليها، وإن كنَّا نرى أن الحسن سمع من علي». وهذا منه اعتراف بحرية الرأي وبحرية البحث ما دام في حدود القواعد المقررة.

والآخر: أن الشيخ عبدالغني عوض -من علماء الأزهر- كتب إليَّ ليبدي حيرته بين ما قررته من وضع الحديث وبين ما قرره فقهاء الشافعية من استحباب تلك الأذكار، فأجبته بمقال بينت له فيه أنه لا حيرة في الموضوع لأن الفقهاء معذورون لم يعلموا بوضع الحديث، وأن الإمام النووي الذي كان

حافظًا صرح بالوضع أيضًا، وهو شافعي، فلم يبقىٰ إشكال.

فأنصف واتبع الدليل، وصار بعد يوجه إليَّ أسئلة فيما يعنُّ له من المسائل، ويطلب نشر الجواب بـ"مجلة الإسلام".

وهذا أول عالِم أزهري احتاج إلىٰ علمي، وتحقق به قول مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه: «أحب أن تذهب إلىٰ مصر عالمًا، يحتاج إليك علماء الأزهر»؛ وقد تقدَّم.

وفي مساء يوم الأربعاء، لعله سادس شوال سنة ١٣٥٤ جاءت برقية تخبر بوفاة مولانا الإمام الوالد رحمه الله ورضي عنه، فرجعنا إلىٰ المغرب واستقبلَنا الإخوان بميناء طنجة استقبالًا حافلًا حزينًا، كثر فيه البكاء والعويل، وكان يومًا مشهودًا ومكثْتُ مدة ثمانية أشهر تمَّ فيها الاتفاق علىٰ أن يتولَّىٰ الأخ الأكبر شئون العائلة والزاوية والإخوان.

ثم عدت إلىٰ مصر وواليت الكتابة في "مجلة الإسلام" بصفة مستمرة، وأنشأ أئمة المساجد وخطباؤها بالقاهرة مجلة سموها: "مجلة الإرشاد"، وطلبوا مني أن أكتب فيها، فكتبت لهم باب الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

وكتبت في "مجلة هدىٰ الإسلام"، وفي "مجلة الرابطة الإسلامية"، وفي "مجلة الشرق العربي"، وفي "مجلة نشر الفضائل والآداب الإسلامية"، وفي "مجلةِ الوسيلة"، وفي "مجلة المسلم" وهي مجلة العشيرة المحمدية.

وما من مجلة دينية إلا كتبت فيها مقالًا أو مقالين أو أكثر، وكانت صلتي حسنة بالجماعات الإسلامية:

فجماعة الإخوان المسلمين لي صداقة متينة مع رئيسها الأستاذ حسن البنا،

ووالده الأستاذ أحمد عبدالرحمن صاحب ترتيب "المسند"، وكان بيننا تواصل وتزاور.

وجمعية الهداية الإسلامية التي يرأسها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين، كنت أزورها وألقيت فيها عدة محاضرات.

والعشيرة المحمدية كنت عضوًا فيها ومفتيا في مجلتها، وأخبرني رئيسها الأستاذ الشيخ محمد زكي إبراهيم أنه من ذرية الشيخ محمد بن ناصر، والعشيرة جماعة صوفية مباركة.

وكنت وكيل جماعة أنصار الحج، ورئيسها الدكتور الحاج محمد وصفي.

وكنت رئيسًا لجماعة أنصار السلف الصالح.

وأسلم مسيحي اسمه عوض، فأنشأ جمعية لبيان فضائل الإسلام، سماها: جمعية نشر الفضائل والآداب الإسلامية، واتصل بي فحاضرت في دارها وكتبت في مجلتها.

وعلاقتي كبيرة بجماعة الرابطة الإسلامية، وكنت أكتب في مجلتها التفسير.

وأمتد نشاطي إلى الجمعيات النسائية، فقد اتصلت بي الدكتورة زينب جبارة رئيس جماعة السيدات المسلمات، وهي سيدة فاضلة أصلها من الساقية الحمراء كما أخبرتني، وطلبت مني أن ألقي دروسًا للسيدات في التوعية الدينية، وكانت الدروس في الجمعية أسبوعية يتناوبها جماعة من العلماء كنت أحدهم.

ثم أنشأت زينب الغزالي جمعية نسائية أيضًا، واتصلت بي، فكنت ألقي درسًا أسبوعيًا في جمعيتها.

واستعانت بي سيدة اسمها أم محمد في إنشاء جمعية نسائية، وتم إنشاؤها في

حي روض الفرج، وألقيت فيها محاضرات أيضًا.

وإلى جانب هذا كنت مواظبًا على التدريس للطلبة بالرواق العباسي بالأزهر حسبة لله، إذ لم أكن موظفًا عند الحكومة، وحضر عليَّ الطلبة من المغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا، والحجاز، وسوريا، وفلسطين، والحبشة، والصومال، وأندونيسيا، وتركيا، وألبانيا، ورومانيا، ويوغوسلافيا، ومن مصر أيضًا.

وكنت أدرِّس للطلبة علوم الامتحان للحصول على شهادة العالمية، وكان الطالب إذا نجح وذهب إلى بلاده يوصي أصحابه الوافدين إلى الأزهر بالاتصال بي والحضور عليّ، ومن فضل الله عليَّ أن كل من درَّست له علوم الامتحان، نجح فيها لم يسقط واحد منهم سواء أكان من الغرباء أو من المصريين.

بعض ما درَّسته للطلبة

درَّستُ "جمع الجوامع" بـ"شرح المحلي" مِن أوَّله إلى آخره دراسة بحثٍ وتحقيقٍ، وممن حضره عليَّ أخَوَاي السيد عبدالحي والسيد عبدالعزيز ولم يحضراه على غيري، وحضره عليَّ أيضًا الشيخ صالح الجعفري رحمه الله وهو صالحٌ كاسمه.

ودرست "السلم" بـ"شرح الملوي" حضره عليَّ الأخَوَان أيضًا، لكن لم ينتفع به السيد عبدالعزيز لأنه لم يعتن به، كأنه كان يعتقد تحريمه تبعًا للسيوطي.

ودرست "سلم الوصول إلى علم الأصول" لابن أبي حجاب وهو مختصر من "جمع الجوامع".

ودرست "الجوهر المكنون" في البلاغة للأخضري.

ودرست "شرح المكُّودي للألفية" ولم يقرأه بالأزهر أحد غيري.

ودرست لأخي الزمزمي المقدمات لـ"جمع الجوامع" بـ"شرح المحلي".

ولم يقرأ الزمزمي مدَّة مقامه بمصر غير المقدِّمات، ونصف "الألفية" بـ"شرح ابن عقيل" على العلامة الشيخ عبدالسلام غنيم رحمه الله، وقطعة من "دليل الطالب" في فقه الحنابلة لا تبلغ الربع على فقيه حنبليٍّ.

وفي أول سنة وصلنا إلى القاهرة حصل عندي ضيق وقنوط كتبت إلى مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه أذكر له ذلك فقال لي: «كيف تقنط في مصر أم الدنيا؟! بل اصبر وسوف تكون عالمًا كبيرًا ومحقِّقًا شهيرًا».

وعكفت على مطالعة شرح المحلي لـ"جمع الجوامع" لأني لم أكن درسته كله بجامع القرويين، وأتممت مطالعته في مدة ثلاثة أشهر وفهمته جميعه والحمد لله، إلا مسألة واحدة فهمتها بعد ذلك، وحصل لي بمطالعته مع تدرسيه للطلبة أنس بعبارة المحلي وصارت سهلة عندي لا يصعب عليَّ شيءٌ منها.

والذي أقرِّره بعد ممارسة عباراته أنه كان يقصد تصعيب العبارة، وتعقيد الضمائر، منتهجًا نهج السعد التفتازاني في كتبه وكان معجبًا بأسلوبه، وليس هذا خاصًّا بشرحه لـ"جمع الجوامع" بل يشمل بقية كتبه، كـ"تفسير القرآن الكريم" و"شرح الورقات" و"شرح المنهاج" في فقه الشافعية، فمن تتبَّعها وجدها على نمطٍ واحدٍ في اختصار العبارة وتصعيبها وتعقيد الضمائر، وهو محقِّقٌ بلا شك، لكن ليس بالمنزلة التي اشتهرت عنه، رحمه الله تعالى.

وفي شهر رمضان سنه ١٣٥٤ بدأت مناقشة بيني وبين كاتب اسمه سيد علي الطوبجي وهو كاتب متوسط، إلا أنه جرئ سليط اللسان، وكانت فيه

دعوىٰ عريضة، كتب ينتقد ما يُذكر في المولد النبوي من أحاديث ضعيفة وموضوعة ومنها حديث: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورُ نبيِّك**» ذكر أنه موضوع فرد عليه أستاذ بمدرسة ثانوية صحَّح الحديث من حيث المعنىٰ وأما من حيث لفظه وإسناده، فأحال تحقيق ذلك عليَّ.

فغضب ذلك الكاتب، وكتب في مجلة "هدىٰ الإسلام" ينتقدني وسمَّاني «محدث مجلة الإسلام» من غير أن يسبق مني إليه شيء، فكتبت مقالًا هادئًا رجعت فيه السؤال عليه، وقلت له: «بما أنك صاحب البحث فأنت أحق بالجواب عنه»، وذكرت له أهم المراجع التي يرجع إليها في جوابه وأمهلته شهرًا كاملًا، فما كتب شيئًا، لكنه استمر في انتقاده لي ووصم أهل الحديث بأنهم لا يفهمون، فتصديت للرد عليه وكتبت عشر مقالات في "مجلة الإسلام" بعنوان «حول أوَّلية النور المحمدي»، بينت سقطاته، حتىٰ سكت عجزًا.

وبعد مدة من انتهاء هذه المناقشة بانتصاري، كنت مارًّا ببعض شوارع القاهرة، وإذا بشخص يُقبِّل عليَّ ويسلِّم بحرارة ويقول لي قبل أن أساله: «أنا سيد الطوبجي، ويردف قائلًا: نحن مثل المحامين يتخاصمون في المحكمة وإذا خرجوا منها عادوا إلىٰ صحبتهم» فرحبت به، ووافقته علىٰ كلامه.

وأقرر الآن أن حديث: «**أولُ ما خَلَقَ اللهُ نورُ نبيِّك يا جابرُ**» عزاه السيوطي في "الخصائص الكبرىٰ" إلىٰ "مصنف عبدالرزاق"، وليس هو فيه، ولا في "تفسيره"، ولا في "جامعه".

وجوَّزت أن يكون في "دلائل النبوة" للبيهقيِّ، فلم أجده فيها ورأيت السيوطيَّ قال في الفتاوىٰ القرآنية من "الحاوي" عن الحديث المذكور: «ليس

له إسناد يُعتمد عليه» قال هذا في (سورة المدثر).

ثم وجدت الحديث بطوله في ثلاث صفحات، ذكره ابن العربي الحاتمي في كتاب "تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان" فإذا هو حديث موضوع لا يشك في وضعه من له خبرة بعلم الحديث الشريف.

وكذلك ما في معناه مثل: «**كنتُ نورًا بين يَدَي ربِّي قَبْلَ أنْ يَخْلُق آدم بأربعةِ عَشرَ ألفِ عامٍ**»، ومثل: «**لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ لما خَلَقْتُ الأفْلَاكَ**».

ووجدت بعض المعاصرين من أهل شنقيط ذكر لحديث أولية النور المحمدي إسنادًا موصولًا من عبدالرزاق إلى جابر، وهو إسناد موضوع لحديث موضوع فلا قيمة له، وصانع الإسناد آثم مثل واضع الحديث.

وقد كتبت جزءًا في بيان وضع هذا الحديث، أُثبته هنا تتميمًا للفائدة.

مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

وبعد: فهذا جزءٌ سمَّيته: "مُرشِدُ الحائِر لبيان وَضْعِ حديث جابر" أردت به تنزيه النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عما نُسِب إليه مما لم يصح عنه ويعد من قبيل الغلو المذموم، ومع ذلك صار عند العامَّة وكثير من الخاصة معدودًا من الفضائل النبوية التي يكون إنكارها طعنًا في الجناب النبوي عندهم، ولا يدركون ما في رأيهم وقولهم من الإثم العظيم الثابت في قول النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ كَذَبَ عليَّ فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**».

والذي يصفه بما لم يثبت عنه كاذب عليه واقعٌ في المحذور إلَّا أن يتوب، ولا يكون مدحه عليه الصلاة والسلام شفيعًا له في الكذب عليه.

وإن كانت الفضائل يُتسامح فيها فإن فضائل النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إنما تكون بالثابت المعروف حذرًا من الكذب المتوعَّد عليه بالنار، نسأل الله العافية.

وقد وردت أحاديث في هذا الموضوع باطلة، وجاءت آراء شاذة عن التحقيق عاطلة، أبينها في هذا الجزء بحول الله.

روىٰ عبدالرزاق -فيما قيل- عن جابر رضي الله عنه قال: قلت: «يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شئ خلقه الله تعالىٰ قبل الأشياء». قال: «**يا جابرُ، إنَّ الله خَلَقَ قبلَ الأشياءِ نُورُ نَبيِّكَ مِن نُورِهِ، فجَعَلَ ذلكَ النُّور يَدُورُ بالقُدْرَةِ حيثُ شاءَ اللهُ، ولم يكن في ذلك الوقتِ لَوْحٌ ولا قَلَمٌ، ولا جَنَّةٌ ولا نارٌ،**

ولا مُلْكٌ، ولا سماءٌ ولا أرضٌ، ولا شمسٌ ولا قمرٌ، ولا جِنِّيٌ وَلا إنْسِيٌّ.

فلمّا أرادَ اللهُ أن يَخْلُقَ الخَلْقَ قَسَّمَ ذلك النور أربعة أجزاء فخَلَقَ مِن الجزءِ الأول القَلَم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش.

ثُمَّ قسَّم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخَلَقَ مِن الجزء الأول حَمَلَةَ العَرْشِ، ومِن الثاني الكرسيَّ، ومن الثالث باقي الملائكة.

ثُمَّ قسَّم الرابع أربعة أجزاء فخَلَقَ مِن الأول السماواتِ، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنَّة والنَّار.

ثُمَّ قسَّم الرابع أربعة أجزاء فخَلَقَ مِن الأول نور أبصار المؤمنين، ومِن الثاني نورَ قُلُوبهم وهي المعرفة بالله، ومِن الثالث نورَ أُنسهم وهو التوحيد لا إله إلَّا الله محمدٌ رسول الله...» الحديث.

وله بقيةٌ طويلةٌ وقد ذكره بتمامه ابن العربي الحاتمي في كتاب "تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان"، والديار بكري في كتاب "الخميس في تاريخ أنفس نفيس".

وعَزْوُه إلى رواية عبدالرزاق خطأ؛ لأنه لا يوجد في "مصنَّفه" ولا "جامعه" ولا "تفسيره"، وقال الحافظ السيوطيُّ في "الحاوي": «ليس له إسنادٌ يُعتمَد عليه».

وهو حديثٌ موضوعٌ جزمًا، وفيه نَفَسٌ صوفيٌّ واصطلاحاتٌ صوفية، وبعض الشناقطة المعاصرين ركَّب له إسنادًا فذكر أن عبدالرزاق رواه من طريق ابن المنكدر عن جابر وهذا كذبٌ يأثم عليه.

وبالجملة فالحديث مُنكَرٌ موضوعٌ لا أصل له في شيءٍ من كتب السُّنَّة.

ومثله في النكارة ما روي عن عليٍّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدِّه عليهم السلام أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كُنْتُ نُورًا بين يَدَيْ رَبِّي قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدمَ بأربَعَةَ عَشرَ أَلْفَ عَامٍ**» وهو كذبٌ أيضًا.

ومن الكذب السخيف ما يقال أن إحدىٰ أمهات المؤمنين أرادت أن تلف إزارًا علىٰ جسد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسقط الإزار، أي لأنه نور. وهذا لا أصل له، فقد كان النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يستعمل الإزار ولم يسقط عنه.

وكونه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نورًا أمر معنوي، مثل تسمية القرآن نورًا ونحو ذلك؛ لأنه نوَّر العقول والقلوب.

ومن الكذب المكشوف قولهم: «لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك».

وكذلك ما روي عن عليٍّ عليه السلام، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**هَبطَ عليَّ جبريل فقال: إنَّ اللهَ يُقرِئُكَ السَّلَامَ ويَقولُ: إنِّي حَرَّمْتُ النَّارَ على صُلْبٍ أَنْزَلَكَ وبَطْنٍ حَمَلَكَ وحِجْرٍ كَفَلَكَ**». وهو حديثٌ موضوعٌ.

وروي في بعض كتب المولد النبوي عن أبي هريرة قال: سأل النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جبريل عليه السلام فقال: «**يا جبريلُ كم عَمَّرْتَ مِن السِّنِين؟**» فقال: يا رسول الله، لستُ أعلمُ، غير أنَّ في الحِجَابِ الرابع نَجْمًا يَطْلُعُ في كلِّ سبعين ألف سنةٍ مرةٍ، رأيتُهُ اثنتين وسبعين ألف مرةٍ، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وعِزَّةُ ربِّي أنا ذلك الكَوْكَب**».

وهذا كذبٌ قبيحٌ، قبَّح الله مَن وَضَعَهُ وافتراه.

وذكر بعض غلاة المتصوفة أن جبريل عليه السلام كان يتلَقَّىٰ الوحي من

وراء حجاب، وكشف له الحجاب مرة فوجد النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يوحي إليه فقال جبريل: «مِنْكَ وإلَيْكَ».

قلت: لعن الله من افترىٰ هذا الهراء المخالف للقرآن فإن الله تعالىٰ يقول لنبيه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]. ويقول: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥].

أخرج أحمد، والحاكم، والبيهقي في "الدلائل"، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنِّي عند الله في أمِّ الكِتابِ لَخاتَمُ النبيِّينَ، وإنَّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ في طِينَتِهِ، وسأنبِّئكم بتأْويلِ ذلك، دعوةِ أبي إبراهيمَ، وبِشَارةِ عيسى قومَهُ، ورُؤْيَا أُمِّي التي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنها نُورٌ أضَاءَتْ له قُصُورُ الشَّامِ، وكذلك تَرَىَ أمّهاتُ الأنبياء**».

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": «رواه أحمد بأسانيد، والبزار والطبراني بنحوه، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه بن حبان».اهـ

قلت: رواه الحاكم من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن سويد بن سعيد، عن العرباض بن سارية، وقال: «صحيح الإسناد».

وتعقَّبه الذهبيُّ بأن أبا بكرٍ ضعيف، وغلط الدكتور قلعجي محقق كتاب "دلائل النبوة" فذكر أن الذهبي وافقه علىٰ تصحيحه.

ورویٰ أحمد من طريق بديل، عن عبدالله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: قلت: «يارسول الله، متىٰ كنت نبيًّا؟» قال: «**وآدَمُ عليه السلام بَيْنَ الرُوحِ والجَسَدِ**».

وهكذا رواه البغوي وابن السكن في "الصحابة". قال الحافظ: «وهذا سند قوي». **قلت:** وذكره البخاري في "التاريخ" معلقًا.

روىٰ الحاكم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم: «متىٰ وجبت لك النبوة؟» قال: «**بين خَلْقِ آدمَ ونَفْخِ الرُوحِ فِيهِ**».

وروىٰ أحمد، من طريق عبدالله بن شقيق، عن رجل قال: قلت: «يا رسول الله متىٰ جعلت نبيًّا؟» قال: «**وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ**». قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». **قلت:** هو أحد طرق حديث ميسرة الفجر.

وقال ابن سعد في "الطبقات": أخبرنا عفان بن مسلم، وعمرو بن عاصم الكلابي قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن خالد الحذاء، عن عبدالله بن شقيق، عن عبدالله بن أبي الجدعاء قال: قلت: «يارسول الله متىٰ كنت نبيًا؟» قال: «**إذْ آدَمُ بَيْنَ الرُوحِ والجَسَدِ**». رجاله رجال الصحيح.

وروىٰ البزَّار، والطبرانيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «قيل: يا رسول الله متىٰ كنت نبيا؟» قال: «**وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجَسَدِ**».

قال البيهقيُّ: «قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم: « **إنِّي عند الله في أُمِّ الكتابِ لَخاتَمُ النبيِّينَ، وإنَّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ في طِينَتِهِ**». يريد أنه كان كذلك في قضاء الله وتقديره قبل أن يكون أبو البشر وأول الأنبياء صلوات الله عليهم».اهـ

وقال أبو الحسين بن بشران: حدَّثنا أبوجعفر محمد بن عمرو: حدَّثنا أحمد بن إسحاق بن صالح: ثنا محمد بن صالح: ثنا محمد بن سنان العوفي: ثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، وعن عبدالله بن شقيق، عن ميسرة قال: قلت: «يا رسول الله، متىٰ كنت نبيًّا؟» قال: «**لمَّا خَلَقَ اللهُ الأرضَ واسْتَوَى إلى السَّماءِ**

فسَوَّاهُنَّ سبع سمواتٍ وخَلَقَ العَرْشَ كَتَبَ عَلَى سَاقِ العَرْشِ: محمدٌ رسولُ الله خاتمُ الأنبياء، وخَلَقَ اللهُ الجَنَّة التي أسكنها آدمَ وحَوَّاءَ فكتبَ اسمي على الأبوابِ والأوراقِ والقِبابِ والخِيامِ، وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ، فلمَّا أحياهُ اللهُ تعالى نَظَرَ إلى العرشِ فرأى اسمي فأخبرَ أنَّه سيِّدُ ولْدِكَ، فلمَّا غَرَّهُمَا الشيطان تابا واسْتَشْفَعَا باسمي إليه». إسناده جيد قوي.

وهو يفيد أن معنىٰ كونه نبيًّا: إظهار ذلك في العالم العلوي قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام.

وقد كنت أظن تبعًا للتقيِّ السبكيِّ أن روحه أو حقيقته أفيض عليها النبوة في ذلك الوقت، ثم ظهر لي أن ذلك خطأ لأن النبوة لا تقوم بالروح فقط ولا بالحقيقة وحدها، وإنما تقوم النبوة بالشخص المركَّب من الجسم والروح، هذا هو المعروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

وقد بيَّن الحديث أيضًا سرَّ إعلان نبوته في ذلك العهد وأنه يرجع إلىٰ أمرين اختصَّ بهما صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:

أحدهما: أنه سيِّد ولد آدم.

والآخر: أنه خاتم الانبياء، وأيد ذلك بما ذكره من بشارة إبراهيم وعيسىٰ به، عليهم الصلاة والسلام.

والأنبياء جميعًا نبوتهم ثابتة في تقدير الله وقضائه، لكن لم يرد في خبر أن الله تعالىٰ أظهر نبوة أحد منهم بالتعين قبل خلق آدم، فلم يكن ذلك إلا لنبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهذا سر قوله: «**كُنْتُ نبيًّا وآدَمُ بَيْنَ الرُوحِ والجَسَدِ**»، أي: أن حملة العرش والملائكة عرفوا اسمه ونبوته قبل خلق آدم عليه السلام، وهم لم

يعرفوا آدم إلا بعد خلقه.

وحديث: «**كُنْتُ نَبِيًّا وآدَمُ بَيْنَ الماءِ والطِّينِ**». لا أصل له، وكذلك حديث: «**كُنْتُ نَبِيًّا ولا آدَمَ ولا ماءَ ولا طِين**». لا أصل له أيضًا.

وما يوجد في كتب المولد النبوي من أحاديث لا خطام له ولا زمام هي من الغلو الذي نهىٰ الله ورسوله عنه، فتحرم قراءة تلك الكتب ولا يقبل الاعتذار عنها بأنها في الفضائل، لأن الفضائل يتساهل فيها برواية الضعيف، أما الحديث المكذوب فلا يقبل في الفضائل إجماعًا، بل تحرم قراءته وروايته.

والنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَنْ حَدَّثَ عنِّي بحَدِيثٍ يُرَىَ أنَّه كَذِبٌ فهو أحَدُ الكاذِبِين**». يُرىٰ -بضم الياء-: معناه يظن.

ويقول: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

وفضل النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثابت في القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة، وهو في غنىٰ عما يقال فيه من الكذب والغلو، وقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عبدالله وَرَسُولُهُ**».

تَمَّ تحرير هذه العُجالة يوم الأحد ٢٥من ذي القعدة سنة ١٤٠٨

والحمد لله أوَّلًا وآخرًا، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وسلَّم.

وحصل مرة أخرىٰ أن الشيخ محمد حامد الفقي طبع "رد الدارمي علىٰ بشر المريسي"، وهو غالٍ في الإثبات حتىٰ أنه أثبت المكان لله تعالىٰ والحركة والنزول، وكان الشيخ عبدالمجيد اللبان عميد كلية أصول الدين، فكتب مذكرة إلىٰ مشيخة الأزهر يطلب فيها منع تداول الكتاب لخطره علىٰ عقائد العامة، وذكر من الأدلة علىٰ خطورته حديث الأوعال.

فحول الشيخ المراغي وهو شيخ الأزهر تلك المذكرة علىٰ لجنة من العلماء لبحثها، وهم أربعة منهم الشيخ الجبالي والشيخ محمود أبو دقيقة والشيخ عيسىٰ منون ونسيت الرابع، فانتهت اللجنة في بحثها إلىٰ أن الحديث رواه أبو داود في "سننه" وصححه ابن القيم، وعلىٰ هذا فلا خطر من الكتاب علىٰ العقيدة، ولا يجوز منعه.

فسقط في يد الشيخ اللبان ولم يدر ما يفعل، وصادف أن زاره أحمد خيري فوجده مغمومًا فسأله عما غمه، فأخبره بالقصة وأردف قائلًا: لو كان الشيخ الكوثري معافىٰ لرد علىٰ اللجنة لكنه مريض، ولو كلفت الشيخ حبيب الله الشنقيطي بالرد لفضحني عند الناس بكلامه وهو كثير الكلام والفخر بعلمه.

قلت: الشيخ اللبان واهم في هذا فإن الشيخ الشنقيطي لا يستطيع أن يرد علىٰ اللجنة لأنه لم يكن يعرف الحديث، وإن اشتهر بذلك في الأزهر، والذي يستطيع أن يردِ هو الكوثري.

قال أحمد خيري للشيخ اللبان: أعرف عالمًا شابًا يقدر أن يرد كلام اللجنة وينقذك من هذه الورطة. قال: أدركني به.

فجاءني أحمد خيري وقال لي: إن الشيخ اللبان يريدك في مسألة مهمة سرية

فتعال معي لزيارته. فزرناه، ووجدته متجهمًا عابسًا، وناولني مذكرة اللجنة وهي في ثمان صفحات فقرأتها وقلت له: الرد عليها سهل، فانفرجت أسارير وجهه، وأعاد السؤال مستثبتا، فأكدت له سهولة الرد، فسأل: كم يأخذ من الوقت؟ قلت: أربعة أيام. فسلمني المذكرة مسرورًا لأرد عليها.

ولفظ حديث الأوعال عند أبي داود، والترمذيِّ، عن العباس بن عبدالمطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فمرَّت بهم سحابة فنظر إليها فقال: «**ما تسمُّون هذه؟**» قالوا: السَّحابَ قال: «**والمُزْنَ؟**» قالوا: والمزن، قال: «**والعَنَانَ؟**» قالوا: والعنان، قال: «**هل تدرون ما بُعد ما بين السماء الأرض؟**» قالوا: لا ندري، قال: «**إنَّ بُعدَ ما بينهما إما واحدٌ أو ثِنْتانِ أو ثلاثٌ وسبعونَ سنةً، ثُمَّ السماء فوقها كذلك**»، حتىٰ عدَّ سبع سموات، «**ثم فوق السابعةِ بحرٌ بين أسفلهِ وأعلاه مثلُ ما بين سماءٍ إلى سماء، ثُمَّ فوق ذلك ثمانية أَوْعَالٍ بين أظلافِهِم ورُكَبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثُمَّ على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك**». قال الترمذيُّ: «حسنٌ غريبٌ».

فرددت علىٰ مذكرة اللجنة ردًّا واسعًا في خمس وعشرين صفحة، وبينت بطلان حديث الأوعال بأن إسناده ضعيف ومعناه منكر من وجوه:

١ - أن القرآن يفيد أن حملة العرش يوم القيامة ثمانية لا اليوم.

٢ - أن القرآن نعىٰ علىٰ الكفار تسميتهم الملائكة إناثًا، والحديث يفيد أنهم أوعال، والإناث أشرف من الوعل.

٣ - أن الوعل هو التيس الجبلي، والوصف به يدل علىٰ الذم، فقد سمىٰ

النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المحلل «تيسًا مستعارًا»، ووصف الذين يتخلفون في نساء المجاهدين بالفاحشة بأنهم «ينبون نبيب التيس».

٤- أن القرآن والسنة يصفان الملائكة بأنهم ذوو أجنحة، وهذا الحديث جعلهم أوعالًا.

هذا ما حضرني من ذلك الرد فسلمته إلىٰ الشيخ اللبان فطبعه وقدمه إلىٰ اللجنة، فرجعت عن قرارها الأول وقررت أن الكتاب يصح منعه.

وهذا لايعني أننا ننكر استواء الله علىٰ عرشه استواء يليق به مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث وقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] ولا ريب أن الفوقية وما يقابلها من الجهات من خواص المحدثات.

وقد حصل بسبب طبع رد الدارمي مساجلة كبيرة دامت شهورًا، كنت أنا، والشيخ الكوثري، والشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبي، والشيخ عبدالرحمن خليفة رحمهم الله نتقدم طائفة المنزهين فكتبنا عدة مقالات في "مجلة الإسلام" بينَّا فيها ما يشتمل عليه ذلك الكتاب من تشبيه صريح.

وكان في طائفة المشبِّهين محمد حامد الفقي الذي طبع الكتاب، وعبدالله القصيمي النجدي وجماعة الوهابيين كانوا يكتبون في "مجلة أنصار السنة" يؤيدون التشبيه، وكان حامد الفقي يمضي مقالاته بقوله: كتبه عبد ربه المستوي بذاته علىٰ عرشه محمد حامد الفقي.

فصل: ما حصلتُ عليه من الشهادات

حين حضرنا إلى مصر سنة ١٣٤٩ تعرف بي بعض الطلبة منهم الشيخ علي عثمان اليمني رحمه الله وطلبوا مني أن أقرأ لهم "الألفية"، فشرعت في قراءتها "بشرح المكودي"، وأنا أول واحد درس المكودي بالأزهر، فلما حضروا دروسي أعجبوا بها فقالوا لي: تقدم لنيل شهادة العالمية لأنك أحق بها من كثير ممن أخذها.

فتقدمت للامتحان وكان في اثني عشر علمًا هي: النحو، الصرف، المعاني، البيان، البديع، المنطق، الأصول، التوحيد، الفقه، التفسير، الحديث، المصطلح.

فنجحت في الامتحان وأخذت الشهادة وهي ممضاة باسم الشيخ محمد الأحمدي الظواهري إذ ذاك، وأخبرت مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه بذلك ففرح كثيرًا وهنأني وأمرني أن اكتب له بما دار في الامتحان من أسئلة وأجوبة فكتبت ما طلب.

وصادف في تلك الأيام أن حضر إلى مصر عبدالحي الكتاني في طريقه للحجاز وزرته في فندق كلوب العصري بسيدنا الحسين فهنَّأني أيضًا وفرح بنجاحي، وكان رأى خبر نجاحي في "الأهرام".

ولم يكن عندي عزم أن أتقدم بامتحان آخر غير أن بعد نحو تسع سنوات كتبت ردًّا على الشيخ محمود شلتوت الذي أنكر نزول عيسى عليه السلام.

وكان ردي أولًا بضع مقالات نشرتها في "مجلة الإسلام" وكانت أشهر مجلة إسلامية في ذلك الوقت، ثم جمعت تلك المقالات وزدت عليها في كتاب سميته: "إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان"، وأتبعته بكتاب آخر

سميته: "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام".

عند ذلك قال لي أحد علماء الأزهر: ردك على شلتوت لا ينفع ولا عبرة به عندنا. قلت: لم؟ قال: لأنه ليس عندك شهادة العالمية الأزهرية. فقلت له: إذن آخذها إن شاء الله.

وذهبت إلى الشيخ المراغي في بيته بحلوان وكان شيخًا للأزهر وذكرت له طلبي فقال لي: إن مدة دراستك لا تكفي لامتحان الشهادة العالمية فأت بشهادة رسمية من المغرب لتكمل بها المدة المطلوبة.

فبعثت إلى أخي الأكبر رحمه الله فبعث لي شهادة رسمية بإمضاء قاضي طنجة، فيها أنني حضرت في العلوم الدينية خمس سنوات وأن لي مؤلفات، فسلمتها للشيخ المراغي فوافق على دخولي الامتحان.

وكان الامتحان في العلوم السابقة، مضافًا إليها: علم الوضع، وعلم العروض والقوافي، وعلم الأخلاق، أي التصوف.

فبلغت جملة العلوم خمسة عشر علمًا، وكان رئيس اللجنة التي اختبرتني الشيخ محمد زغلول شيخ معهد الزقازيق، وكان من جملة أعضاء اللجنة الشيخ عبدالمتعال الصعيدي، وعندما دخلت على اللجنة وسلمت عليهم قال لي الشيخ الصعيدي: كيف حالك يا فلان؟ فقال رئيس اللجنة: إذن بينكما معرفة؟ فأجابه: لا أعرفه، لأنه سني وأنا ملحد.

فتشاءمت من هذه العبارة لأنه كان قبل ذلك بأيام كتب مقالًا أجاز فيه التصوير ورددنا عليه، فظننت أنه سيكون ضدي في الامتحان، ولكنه والحق يقال كان كريمًا معي في المعاملة وكان رئيس اللجنة شديدًا علي حتى أن الذين

دخلوا عليه في الامتحان سقطوا لشدته، وكان الشيخ عبدالمتعال يكتفي من جوابي بكلمة يعرف منها أنني أفهم الموضوع.

فكان يقول لرئيس اللجنة: ننتقل إلى بحث آخر لأن الشيخ فاهم. ولكن الرئيس يقول: لابد أن يكمل الدرس إلى آخره.

وأجبت والحمد لله في جميع الأسئلة حتى أنه لما تم الامتحان وأردت القيام لأنصرف قال لي رئيس اللجنة: مبروك يا علامة، وظننت أنه قال لي هذه العبارة مُتهكِّمًا، ولكنه قابل صديقه الشيخ عبدالسلام غنيم وأخبره بنجاحي بتفوُّق.

ونشر خبر نجاحي "بجريدة الأهرام" وصادف أنني كنت في زيارة الشيخ شلتوت في بيته ومعه جماعة من العلماء لأنه كان وكيلًا لكلية الشريعة، ودخل أحد الزائرين فهنأني، فقال له الشيخ شلتوت: علام تهنئه؟ فقال: لأنه نال الشهادة العالمية الأزهرية واسمه في "جريدة الأهرام".

فقال له الشيخ شلتوت: نحن نهنيء الشهادة الأزهرية بأخذ الشيخ عبدالله لها الذي جاء من بلاده عالمًا. فكان هذا انصافًا من الشيخ رحمه الله تعالى غير متوقع لردي عليه في عدة مقالات وكتب.

فصل ما أعرفه من العلوم

عرفت بفضل الله عدَّة علوم، منها ما تلقَّيته عن شيوخي بالقرويين والأزهر، وهي:

علم العربية، والفقه المالكي، والشافعي، والأصول، والمنطق، والتفسير، والحديث والمصطلح، والتوحيد والمقولات، وعلم الوضع، وآداب البحث والمناظرة، والفرائض.

ومنها ما لم أتلقَّه من أحدٍ وهي: علوم البلاغة، والتجويد، والترقيم.

ومعرفتي لهذه العلوم ليست بدرجةٍ متساويةٍ، بل منها ما أنا قوي فيه، كالنحو والأصول، والمنطق، والحديث، والتفسير. ومنها ما أنا فيه متوسِّط كالفقه، والمقولات، والوضع، وآداب المناظرة. ومنها ما أنا فيه دون المتوسط وهو علم الفرائض.

ما هو الترقيم؟

هو فنٌّ مستحدثٌ مبنيٌّ على باب الفصل والوصل من علم المعاني، يعرف منه الجمل المفصولة والموصولة ومتى يحسن أحدهما، ومعرفة الجملة المعترضة أثناء الكلام وغير ذلك بأرقام تقوم مقام الحروف، مثل:(،؛ : ؟!). ومن العلوم التي عرفتها بدون أستاذ: علم الإملاء.

وكانت عنايتي بالنحو شديدة فقد أقبلت عليه إقبالًا عظيما فاقتنيت من كتبه شيئًا كثيرًا، فمن شروح الألفية: "شرح المرادي" و"ابن هشام" و"المكودي" و"التصريح على التوضيح"، و"حاشية ابن الحاج على المكودي"، و"حاشية المهدي الوزاني على المكودي" أيضًا، و"حاشية الشيخ الطيب بن

كيران على التوضيح"، و"حاشية الشيخ مسعود الطرنباطي على الألفية"، و"حاشية الشيخ ياسين على الألفية"، و"شرح ابن ذكري على الفريدة" وهي "ألفية السيوطي في النحو" و"شرح التسهيل لابن عقيل"، وكان عندي من شروح الأجرومية: "شرح الراعي"، و"علي بركة التطواني" و"شرح ابن عجيبة" و"شرح أحمد بابا السوداني" بـ"حاشية المهدي الوزاني" عليه.

و"حاشية ابن الحاج" و"الفيشي" على "الأزهري على الأجرومية"، و"شرح القطر" و"شرح شذور الذهب"، و"همع الهوامع" و"شرح جمع الجوامع" للسيوطي و"المغني" بـ"شرح الدماميني" و"حاشية الشيخ الأمير"، و"الأشباه والنظائر النحوية" للسيوطي، و"الاقتراح في أصول النحو" له وغير ذلك.

وأتقنت علم النحو إتقانًا جيدًا حتى كان أخي الأكبر رحمه الله تعالى يرجع إلي في كثير من مسائله، وعنيت بـ"مقامات الحريري" فقرأتها مرات حتى كدت أحفظها، وبإتقاني لها مع إتقان علم النحو عرفت علم البلاغة الذي لم أقرأه على أحد، إلا مسائل من شروح "التلخيص" حللتها مع والدي، رحمه الله ورضي عنه.

أما الحديث فسبب اشتغالي به أني حين ذهبت إلى فاس للمرة الثانية شرعت أقرأ "صحيح البخاري" بـ"شرح القسطلاني" كما سبق واشتغلت بـ"الموطأ" فاتخذته هجيرًا، أي: أطالع فيه يوميًا، ومن ثم حصل لي تعلق بعلم الحديث، مع أن أخي الأكبر كان يحضني على الاشتغال به.

ولما ذهبنا إلى مصر وجدتهم يقرأون في القسم العالي بالأزهر "المنهاج

للبيضاوي" بـ"شرح الإسنوي" وحضرت فيه على الشيخ حامد جاد، وكانت تأتي في الدرس أحاديث يأتي بها المصنف أو الشارح فأبين لهم رتبتها، ولما تكرر ذلك في الدروس ظهر لي أن أخرج أحاديثه، فاشتغلت به.

وكنت أذهب إلى دار الكتب المصرية لمراجعة المخطوطات في علم الحديث من أجل هذا التخريج، ومن أجل مقالات كنت أكتبها في "مجلة الإسلام" بعنوان: «ظهور المهدي حق».

ثم شرعت في الرد على الشيخ شلتوت الذي أنكر نزول عيسى عليه السلام فاستدعى ذلك مني أن أراجع كتبًا كثيرة في علم الحديث.

فكنت كل يوم أذهب إلى دار الكتب المصرية بباب الخلق فراجعت فيها كتبا كثيرة، منها "ترتيب صحيح ابن حِبَّان"، و"دلائل النبوة" للبيهقي، و"الوهم والإيهام" لابن القطان، وغير ذلك، وأجزاء حديثيه عديدة، هذا سوى المطبوعات مثل: "كنز العمال" و"مجمع الزوائد" و"نصب الراية" و"التلخيص الكبير".

ويمكنني أن أقول أني قرأت بفضل الله تعالى من الأحاديث النبوية ما ينيف عن خمسين ألف حديث، وحصلت عندي ملكة أعرف بها إذا سمعت حديثًا أين يوجد وما هي رتبته، ولا أكاد أخطئ في ذلك والحمد لله، ولا أعرف الآن من شارك في عدة علوم مثل مشاركتي فيها ولله الحمد والمنة، مع تحقيق بحوث في كثير منها بطريقة لم أسبق إليها بفضل الله.

ولهذا أرجو من الله تعالى أن أكون مجدد هذا القرن، فالواقع أنني لا أرى من يماثلني أو يشاركني في هذا، فإذا وجدت عالمًا بالحديث تجده لا يحسن غيره

وإذا وجدت فقيهًا وجدته لا يحسن غير الفقه، وإذا وجدت نحويًا أو مشتغلًا بالبلاغة وجدته بعيدًا عن علم الأصول وما يتبعه، وإذا وجدت أصوليًّا عالمًا بالعربية وجدته لا يعرف الحديث، نعم قد يوجد من يشارك في بعض العلوم كالقدماء من علماء الأزهر وعلماء القرويين.

ولا أقول هذا افتخارًا ولكن أقوله لإظهار الحقيقة ولبيان كرامة مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه حيث وعدني بهذا فتحقق لي كما وعد، وكان من بعض بشارته لي قوله: ولا بد أن تكون عالمًا كبيرًا ومحققًا شهيرًا.

فالحمد لله على ما أنعم بالعلم والمعرفة، وعلى ما ألهمنا من البحوث التي حقَّقناها، فهو جلَّ جلاله صاحب الفضل والطول ونرجو أن يعمنا بمغفرته ورحمته.

جمعــتُ علومًــا عِــدَّةً وفوائــدًا أَتَيْتُ بها من فيضِ بارِي الخلائـقِ
وأرجـو بهـا تجديـدَ ديـنِ محمَّـدٍ فحقِّـقْ رجـائي يـا إلهـي ووفِّـقِ

أنشأها له بعض أتباعه.

ومنهم أخي السيد أحمد بن محمد بن الصديق كان يعرف الحديث معرفة تامة وله فيه بحوث مهمة وتآليف مفيدة، وكان كثير القراءة لا يمل منها، وله اطلاع واسع علىٰ كتب الحديث المطبوع منها والمخطوط، ولو تيسر له من الكتب ما تيسر للحافظ ابن حجر، أو السخاوي ما كان يقل عنهما.

ومن كتبه الدالة علىٰ علو كعبه في علم الحديث: "تخريج أحاديث بداية المجتهد"، وكتاب "المداوي لعلل الجامع وشرحي المناوي" في ستة مجلدات، من قرأه يدرك منه إتقانه لعلم العلل، والبحث في الأسانيد بطريقة المحدثين الكبار، وله مستخرج علىٰ "الشمائل"، ومستخرج علىٰ "الشهاب"، والمستخرجات انقطعت من ثمانية قرون، وأملىٰ مجالس حديثية بالمسجد الحسين وجامع الكخيا وبطنجة بالزاوية الصديقية فأحيا سنة الإملاء بموت السيد مرتضىٰ الزبيدي.

ومنهم أخي الأصغر السيد عبدالعزيز، لازم الأخ الأكبر وتعلم منه علم الحديث، وعرف منه كيف يبحث في الأسانيد، وكيف يصحح أو يحسن أو يضعف وله مؤلفات تدل علىٰ معرفته بعلم الحديث.

ومنهم الشيخ أحمد بن محمد شاكر، كان يعرف علوم الحديث معرفة جيدة تدل عليها تحقيقاته للكتب التي حققها، غير أنه كان يعرف العلل وكان لا يهتم بها، فكان يصحح حديث عبدالله بن لهيعة مع معرفته بما قيل فيه، وله رأيه في ذلك، وتحقيقاته لـ"مسند الإمام أحمد" مفيدة.

ومنهم محمد ناصر الدين الألباني، يعرف الحديث معرفة جيدة، إلا أنه

مبتدع زائغ، في عقيدته تشبيه وتجسيم، وفيه من النفاق: الفجور في الخصومة، وهو غير مؤتمن في نقله ولا في تصحيحه أو تضعيفه، فهو يصحح ويضعف حسب الهوىٰ والمزاج.

ففي تعليقاته علىٰ كتاب "السنة" لابن أبي عاصم صحَّحَ وحَسَّنَ أحاديث واهية الإسناد باعتبار ما لها من الشواهد، وذكر حديث: «**حياتي خيرٌ لَكُمْ**» في الأحاديث الضعيفة، وذكر بجانبه مرسل بكر بن عبدالله المزني من طريقين ثابتين ولم يجعل هذين المرسلين يؤيدان الحديث المرفوع كما هي القاعدة عند المحدثين والأصوليين وكما فعلها في كتاب "السنة" لأن هذا الحديث لا يوافق مزاجه. ولما رأيت فعله هذا سقط من عيني.

يضاف إلىٰ ذلك زيادة علىٰ بذاءة لسانه أنه يصحح الحديث الذي يوافقه ولا يدرك ما فيه من الشذوذ الذي يجعله من قبيل الضعيف، ويدعي النسخ في أحاديث محكمة، أما سقطاته في استنباطاته فحدث ولا حرج ويمكن أن تفرد في جزء مستقل.

ومنهم الشيخ محمد الخانجي البوسنوي اليوغوسلافي، كان له خبرة بعلم الحديث، وطبع جزء "حياة الأنبياء" للبيهقي بتعليقاته.

أما الشيخ رشيد رضا فقد زرته في مطبعة المنار وتعرفت عليه وحضرت مرة أخرىٰ محاضرة له، وهو في محاضرته ضعيف، لكن قلمه يدل علىٰ أنه كاتب وله بحوث فقهية مفيدة، ولم يكن يعرف من الحديث إلا أن يبحث عنه في "الجامع الصغير" أو أحد الكتب الستة وإن كان كثيرٌ من الناس يعتقدون أنه مُحَدِّثٌ وهو اعتقادٌ خطأ.

ومن عيوبه أنه كان يحابي شيخه الشيخ محمد عبده في مسائل تخالف السُّنَّة مع عِلمه بمخالفتها، غفر الله لنا وله.

أما الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي فلم يكن يعرف من الحديث كثيرًا ولا قليلًا وسبب شهرته بمصر في الحديث أمران:

أحدهما: أنه جاء بعد العلامة المحدِّث الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، أستاذ الشيخ محمد عبده فظن الناس أنه مثله.

والآخر: أنه كتب كتاب "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم" مع أن هذا الكتاب أشار على تلميذين له أن يمسك أحدهما الجزء الأول من "الجامع الصغير" والآخر يمسك الجزء الثاني، وكل حديث عليه رمز (ق) ينقلانه إلى المسودَّة.

ويدل على هذا أني زرته مع أخي الأكبر في بيته فوجدنا عنده بروفة "زاد المسلم" في حرف الألف، فأخذ أخي الملزمة فوجد فيها: «**إنَّ الماءَ طهورٌ لا ينجِّسه شيء**»، فقال له: يا أستاذ ليس هذا الحديث في الصحيحين. فأخذ الشيخ الملزمة ونظر فيها واعتذر بأن هذا خطأ من الناسخ فتعجَّبنا كيف يخطيء الناسخ بإدخال حديث في الكتاب؟!

ثم بعد مدة أخبرنا السيد محمد الأهدل شيخ رواق اليمن أن الشيخ حبيب الله كلفه هو والشيخ محمد كردي الخطاط بأن يلتقطا من "الجامع الصغير" الحديث الذي عليه (ق)، وحديث الماء المذكور كان بجوار حديث عليه (ق) فالناسخ أدخله خطأ.

أما العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري صديقنا ومجيزنا، هو عالم بالفقه

والأصول وعلم الكلام ومتخصِّص في علم الرجال، دعاه إلى ذلك الذب عن أبي حنيفة وأصحابه، وإذا أراد البحث عن حديث يعرف كيف يبحث عنه ويعرف ما في رجاله من الجرح والتعديل بحكم تخصُّصه.

أما تلميذه الأستاذ الفاضل الشيخ عبدالفتاح أبو غدة فهو يعرف الحديث جيدًا، وله بحوث طيبة في علم الحديث، نرجو له المزيد من ذلك.

أما في الهند فقد عرفنا فيها محدثين بالسماع عنهم وطالعنا بعض مؤلفاتهم وهم قسمان:

قسم انتحى الناحية الفقهية: أمثال الشيخ محمد أنور الكشميري، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، والسيد محمد يوسف البنوري.

قسم انتحى الناحية الحديثية: من غير تعصب، مثل الشيخ شمس الحق العظيم آبادي، وصديقنا الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، حقق كتبًا حديثية تحقيقًا يدل على معرفته بعلم الحديث، مثل "المصنف" لعبدالرزاق، "سنن سعيد بن منصور"، و"زوائد البزار"، "المطالب العالية" وغير ذلك حفظه الله وأدام توفيقه.

أما الشيخ بدر الدين الحسني، عالم دمشق ومحدثها، فقد اشتهر عند الشاميين بأنه محدث حافظ، لكن أخبرني أخي الحافظ السيد أحمد أنه زاره في دار الحديث فوجده يعرف العلوم العقلية معرفة جيدة، وحضر مجلس إملائه يوم الجمعة في الجامع الأموي، فوجد مجلسه مملوءًا بالأحاديث الضعيفة والموضوعة وهذا يدل على أنه لم يكن يعرف الحديث، وإن اشتهر به.

أما الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا والد حسن البنا رئيس «الإخوان

المسلمين» فكان صديقي هو وولده حسن، وقد خدم بعض الكتب الحديثية خدمة قيمة، ورتب "مسند الإمام أحمد" على الأبواب الفقهية، و"مسند الشافعي" و"مسند أبي داود الطيالسي"، وهي خدمة قيمة قدمها لأهل الحديث، لكنه لم يكن محدثًا، رحمه الله.

وإني أرى اليوم حركة طيبة ونشاطًا كبيرًا في تحقيق كتب الحديث والرجال وطبع المخطوط منها، وهي تبشر بإحياء علم الحديث ورواجه بين أهل هذا العصر.

إلا أن بعض المحققين لكتب الحديث يخرجون عن المقصود من التحقيق ويكثرون من ترجمة الأعلام الموجودة في الكتاب ويحيلون على كتب معروفة في التراجم وإثقال هوامش الكتاب بكتابة لا معنى لها ولا فائدة فيها، ونرجو أن يتنبهوا لذلك ويقتصروا في التحقيق على المقصود منه، وهو أشياء معدودة:

١- تحقيق نص الكتاب.

٢- التنبيه على خطأ وقع فيه من المؤلف أو الناسخ.

٣- إيضاح لفظ غامض، أو بيان مشكل أو نحو ذلك مما يساعد على فهم نص الكتاب.

وما زاد على هذا فهو عبث لا فائدة فيه.

فصل: في ذكر شيوخي

رحمهم الله وأثابهم رضاه وجزاهم جميعًا عني خيرًا

أولًا: شيوخي من المغرب:

١- أولهم وأولاهم بالتقديم والدي الإمام القُدوة الوَرِع الحافظ الحُجَّة بحر العلوم والمعارف سيِّدي محمد بن الصِّدِّيق رضي الله عنه:

كان غزير العلم واسع الإطلاع، إذا تكلم في علم ظن السامع أنه لا يحسن غيره، وإذا سئل في موضوع أجاب بديهة بما يدهش السائل لكثرة ما يذكر من النقول والشواهد والنظائر.

ذكر الأستاذ العابد الفاسي مدير خزانة القرويين رحمه الله: أنه زاره مرة فرحب به وفرح بلقائه، ودار بينهما حديث في شئون شتى، حتى جاء الحديث عن المهدي المنتظر، فرأى مني ميلًا إلى إنكاره فقال لي: كيف تنكره وأجدادك الفاسيون يقرون به؟! قال: فمكث ساعة يملي عليَّ من حفظه أقوال الفاسيين الذين يقولون بالمهدي كأنه أعد ذلك لأجل لقائنا، فأدهشني منه ما رأيته.

وهكذا كان حاله في كل موضوع يتناوله، افتتح مرة درس التفسير بزاويته التي أنشأها بطنجة، وكانت بداية الدرس أول رمضان، ومكث أسبوعًا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] أتى فيه بما أدهش ألباب السامعين، وانتهى الشهر ولم ينته من تفسير الفاتحة.

وفضائله كثيرة وأخباره مشهورة مسطورة، جمع بعضها أخي الأكبر السيد أحمد في "نبذة التحقيق"، وهو في مجلد ضخم، ثم اختصره في "التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق".

رباني وعلمني، ووالى إرشادي وتهذيبي، وكان في مكاتبته لي بفاس ومصر يخاطبني بقوله: «ولدنا البار»، جزاه الله عني أفضل ما جزى والدًا عن ولده.

٢- أخي أبو الفيض السيد أحمد بن الصديق العلامة الحافظ:

كان يعرف الحديث معرفة جيدة، وصنف فيه التصانيف العديدة وانقطع له فأخرج لنا مصنفات ذكرتنا بالحفاظ المتقنين كـ"المداوي لعلل الجامع وشرح المناوي" في ستة مجلدات ضخام، و"هداية الرشد في تخريج أحاديث ابن رشد" في مجلدين، واستخرج على "مسند الشهاب" وعلى "الشمائل المحمدية" وكتب أكثر من خمسين جزءًا حديثيًّا لا يعرف أن يكتبها أحد في عصرنا، خاصة "فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي" و"درء الضعف عن حديث من عشق فعف" وله غير ذلك من المصنفات في الحديث والفقه وغيرهما.

توفي رحمة الله تعالى بالقاهرة سنة (١٣٨٠) وترجمته مستوفاة في كتابه "البحر العميق في مرويات ابن الصديق". قرأت عليه "نخبة الفكر" و"سنن أبي داود".

٣ - العلامة الشيخ محمد بن الحاج السلمي:

قرأت عليه "الألفية" بـ"شرح المكودي"، وبـ"شرح الموضح" مع "التصريح"، و"حاشية الشيخ الطيب بن كيران" عليه، وحضرت عليه في "الخرشي على مختصر خليل"، وحضرت عليه في "شرح القسطلاني على البخاري"، وكان قوي الحافظة، يبدي إعجابه بالحافظ ابن حجر ويتورك على العلامة العيني في اعتراضاته عليه، ويقول عنه بعد حكاية اعتراضه: «كأني به لم يفهم كلام الحافظ» ثم يجيب عنه.

ولما وصل في قراءة "البخاري" إلىٰ كتاب الجهاد والمغازي، بعث إليه حاكم فاس الفرنسي وطلب منه أن يتخطىٰ هذا الباب إلىٰ غيره ويقرأ ما بعده، فامتنع عن الدرس أيامًا، وبعد مراجعة وكلام حصل الاتفاق علىٰ أن يقرأ كتاب الجهاد، علىٰ ألا يتوسع في الشرح.

وهذا نوع من الضغط الذي كان يمارسه الاستعمار الفرنسي في المغرب.

أجازني رحمه الله، وشيخه السعيد محمد بن عبدالكبير الكتاني.

وطريقة المغاربة في الدرس عمومًا أن الشيخ يطالع الدرس في بيته ويجمع ما قيل فيه من أقوال وشروح وحواش في ذهنه، فإذا جاء إلىٰ الدرس ألقىٰ علىٰ الطلبة من حفظه جميع ما طالعه وحفظه في بيته، وبعد الانتهاء من ذلك يأمر طالبًا يكون أمامه بيده الملزمة أن يقرأ في الملزمة ما قرره الشيخ، والطلبة كلهم بيدهم الملزمة كذلك، والشيخ يسمع فيوضح لهم ما في العبارة من غموض أو يبين ما فيها من تصحيف أو نحو ذلك.

وقد درست لطلبتي في الأزهر علىٰ هذه الطريقة، وهكذا درس الطلبة "جمع الجوامع" و"تفسير النسفي" و"نيل الأوطار" في زاويتنا الصديقية.

وكان الامتحان في جامع القرويين علىٰ هذه الطريقة، يدخل الشخص الممتحن علىٰ لجنة من العلماء فيلقي عليهم درسًا من حفظه في العلم الذي يمتحن فيه وهم يناقشونه كطلبة، فإذا نجح منحوه إجازة التدريس، وتكون الدروس أربعة في أربعة علوم.

٤ - العلامة الشيخ المحقق القاضي العباس بن أبى بكر بناني -بفتح الباء-:

حضرت عليه في مقدمة "جمع الجوامع" و"شرح الشيخ الطيب بن كيران"

علىٰ "توحيد ابن عاشر" كما أخذت عنه المقولات.

وكان يقدرني ويحترمني كثيرًا، وذكر مرة في درس الأصول حديثًا لم يعرف رتبته فبينتها له، فسألني من أنت؟ فانتسبت له، فقال: تبارك الله، الدر من معدنه لا يستغرب.

وطلبت منه مرة فتوىٰ فقهية في خصومة كانت بين بعض الإخوان، فسألني: هل يطلع عليها والدك؟ قلت: نعم، قال إذا يجب التدقيق فيها لأن والدك في العلم مخيف.

وكنت أزوره في بيته مرات، ولما أردت الرجوع إلىٰ طنجة كتب لي إجازة روىٰ فيها عن شيخ الجماعة أحمد بن الخياط الزكاري رحمه الله.

٥ - العلامة المحقق الفقيه السيد أحمد بن الجيلانى الأمغارى شيخ الجماعة:

حضرت عليه في "شرح الخرشي للمختصر" في الفقه المالكي.

وحصل في عهده أن شخصًا اسمه محمد بن سليمان تقدم للامتحان ونجح فيه وأذن بالتدريس في القرويين فشرع في تدريس "جمع الجوامع"، فبعث إليه الشيخ وقال له: أول ما تدرس "جمع الجوامع"؟! وقال له: إذا أنا أدرس "الأجرومية"، وأصبح يدرسها، فحضرنا عليه فيها وحضر معنا معظم علماء القرويين.

٦ - الشيخ فتح الله البناني الرباطي:

عالم فاضل وشيخ الطريقة الشاذلية وله عدة مصنفات منها "المجد الشامخ فيمن اجتمعت به من الأعيان والمشايخ" في أربعة مجلدات، كتبه بعد عودته من الحج، و"تحفة أهل الفتوحات والأذواق في اتخاذ السبحة وجعلها

في الأعناق"، يروي عن إبراهيم بن محمد التادلي وعن آخرين ذكرهم في معجمه.

ولد سنة (١٢٨١هـ) بالرباط وتوفي سنة (١٣٥٣هـ). استجزته بالرباط أنا وأخي الأكبر السيد أحمد رحمه الله فأجازنا وأحالنا على كتابه "المجد الشامخ".

٧ - العلامة المحقق الشيخ الراضي السناني الشهير بالحنش:

كان منقطع النظير في التحقيق، حضرت عليه في مقدمة "جمع الجوامع" وكان محققًا يحل دقائق كلام المحلي كأنه كان قاعدًا معه ساعة كتابته، وكان فقيهًا، وفي علوم الآلة محققًا، له كتاب "الشذرات" فيه مسائل وفوائد طيبة، وكان صوفيًا يحب الصالحين ويزورهم أحياءًا وأمواتًا، رحمه الله تعالى.

٨ - العلامة أبو الشتاء بن الحسن الصنهاجي:

المتواضع المتخشن في ملبسه، كان مختصًا بعلم الفرائض، درسته عليه، وكان يدرس للطلبة علوم القضاء مثل: "التحفة" لابن عاصم و"الزقاقية" للزقاق، وله مؤلفات في هذا الفن، وكان الناس يعتقدون صلاحه لانعزاله عن الناس واشتغاله بنفسه وبعمله.

٩ - العلامة الشيخ محمد الصنهاجي:

وهو أخو السابق كان عالمًا محققًا، ويتأنق في ملبسه، قرأت عليه "شرح الخرشي على المختصر" في «كتاب البيوع» وما بعده، رحمه الله.

١٠ - العلامة المحقق مولاي السيد أحمد بن الطيب القادري:

أبوه كان شيخا لوالدي رحمهما الله، وهو شيخي، قرأت عليه "شرح

الخرشي" في «كتاب الجنايات والقصاص»، وكان محققًا يرجع إليه في الفتوىٰ، وكان مولاي عبدالله الفضيلي يرجع إليه لتحقيقه، وكان فقيرًا ضعيف الحال، يأتي إلىٰ الدرس وعليه كساء فيه ترقيعات، وكان خاملًا لا يعرف حق قدره إلا من حضر دروسه، رحمه الله.

وحكىٰ له والدي رضي الله عنه أنه كان يحضر علىٰ والده رحمه الله، وكان في بعض الأحيان بعد انتهاء الدرس يطلب منه قرشًا ليشتري به فطورًا للأولاد.

ومن هذا يعلم كيف كان العلماء يعيشون علىٰ الكفاف والتقشف وهم راضون قانعون يخدمون العلم والطلبة، فأفادوا ونفعوا وتخرج بهم جمع من الطلبة، رحمهم الله وأثابهم رضاه.

وفي وقتنا هذا كثرت الدعاوىٰ مع الجهل والجرأة علىٰ القول في أحكام الدين بدون علم ولا دليل، واتسعت عليهم الدنيا جدًّا وكثر المال لديهم.

١١ - العلامة مولاي عبدالله الفضيلي:

شيخ الجماعة، من العائلة المالكة بالمغرب، كان علامة في الأصول والمعقول وكان ذا ثراء واسع، وكان يوزع مرتبه من القرويين علىٰ عالمين فقيرين، أحدهما مولاي أحمد القادري، والآخر سيدي إدريس المراكشي إمام جامع القرويين والمدرس به.

كان يدرس "جمع الجوامع" حضرت فيه عليه، كما حضرت عليه رسالة "الوضع" و"شرح الزرقاني علىٰ المختصر".

وكان في درسه محققًا يعتني بتحقيق لفظ المصنف وشرحه وما كتب عليه، ووالده صاحب كتاب "الدرر البهية في أشراف المغرب".

١٢ - العلامة السيد عبدالرحمن بن القرشي العلوي:

من العائلة المالكة بالمغرب، كان قاضيًا ثم أحيل إلى المعاش فالتزم التدريس بجامع القرويين، كان في قضائه نزيها لا يحيد عن الحق، حضرت عليه "شرح الدردير على مختصر خليل" من «باب الإجارة» إلى الآخر هو الجزء الرابع، وكان في خلقه بعض الشدة، قد عمر حتى جاوز الثمانين، يروي عن والده ومحمد الخضر المهاجي، وأحمد بناني، وعبدالملك الضرير العلوي.

١٣ - الشريف العلامة الحبيب المهاجي:

هو أول شيخ قرأت علىه في القرويين "الألفية بشرح المكودي"، وحضرت عليه "السلم بشرح القويسني" في المنطق، وافتتح معنا "شرح الخرشي على المختصر" من أوله، وكانت له مكتبة طيبة فيها نوادر المخطوطات، وكان يحبني ويقدرني رحمه الله ولم تكن له رواية.

١٤ - العلامة الشيخ محمد (بفتح الميم الأولى) بن الحاج السلمي:

حضرت عليه "شرح بن عقيل على الألفية" عليه بـ"حاشية السجاعي" وكان يعرف النحو معرف جيدة، ويتعاطى الأدب الشعر.

١٥ - العلامة القاضي الحسين العراقي:

طلبت منه أن يقرأ معنا "جمع الجوامع"، فقرأه معنا، كنت أنا أسرد له ووصلنا فيه إلى «كتاب السنة»، ثم سافرت إلى طنجة، وكنت قد حضرت عليه "تفسير الجلالين" بـ"حاشية الصاوي" وكان محققًا، استفدت منه كثيرًا، وكان فيه دعابة، وابنه كان القيم على خزانة القرويين، هو الذي حقق شرح المؤلف وشرح زكريا الأنصاري على ألفية الحديث، رحمهم الله تعالى.

١٦ - العلامة السيد محمد المكي بن محمد البطاوري:

تلقىٰ عن شيخ الجماعة إبراهيم التادلي، وعمه السيد التهامي البطاوري، من أجل شيوخه علي بن سليمان البوجمعوي صاحب الحواشي علىٰ الكتب الستة وله ثبت مطبوع.

له بعض المصنفات منها شرح علىٰ "لامية الأفعال"، و"التنصيص شرح شواهد التلخيص" و"شرح المقصور والممدود" لابن دريد، و"ظهر الفنون من الجوهر المكنون".

ذهبت إليه أنا وأخي الأكبر في بيته واستجزناه فأجازنا.

ولد سنة (١٢٧٤هـ) برباط الفتح، توفي سنة (١٣٥٥هـ).

١٧ - السيد المهدي بن العربي بن الهاشمي الزرهوني:

كان معروفا بالصلاح ووالده كان شيخًا للجماعة بفاس له ترجمة في "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" والسيد المهدي المذكور يروي عن أبيه عن جده عن السيد مرتضىٰ الزبيدي، لذلك استجزته. وهو والد أمين الفتوىٰ بلبنان الشيخ محمد العربي الزرهوني الشهير بالعزوزي المتوفي سنة (١٣٨٢هـ).

١٨ - الملك إدريس بن محمد المهدي بن العلامة محمد بن على السنوسى الشريف الحسني:

ذهبت إلىٰ منزله بالقاهرة بعد خروجه من ليبيا فرحب بي كثيرًا، وطلبت منه الإجازة فأجازني، وله مشايخ كثيرون ولكني رغبت في روايته عن جده لأنها عالية، فهو يروي عن أبيه عن جده مباشرة.

وجده علَّامة وله أثبات متعددة طبع بعضها. وتوفي سنة (١٢٧٦هـ)

بجغبوب وهي واحة في جنوب صحراء ليبيا.

أما السيد إدريس السنوسي فتوفي سنة (١٤٠٤هـ) بالقاهرة و كان قد قارب المائة، دفن بالمدينة المنورة حسب وصيته.

١٩- القاضي المسند الكبير عبدالحفيظ بن محمد الطاهر بن عبدالكبير الفاسى الفهرى:

كان يعرف أسرتنا كثيرًا ويقدرنا، ويثني علي في غيابي كثيرًا، استجزته فأجازني، هو يروي عن مشايخ كثيرون، له "معجم للشيوخ"، "أربعين بلدانية" وغير ذلك.

ومن أعلىٰ أسانيده روايته عن يوسف السويدي العراقي عن السيد مرتضىٰ الزبيدي المتوفىٰ سنة (١٢٠٥هـ)، هو أعلىٰ سند يوجد في الدنيا، ومن عواليه أيضًا روايته عن والده عن عبدالغني الدهلوي المدني، ولد سنة (١٣٠٣هـ) وتوفي سنة (١٣٥٣هـ).

٢٠ - العالم الأثرى الصوفي الشريف أبو القاسم بن مسعود الدباغ:

كان أثريًا لا يقلد أحدًا يعمل بما صح له عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، كان كتابه الذي يعتمد عليه كثيرا كتاب "الهدي النبوي" لابن القيم، ورغم أنه كان لا يتقيَّد بمذهب لم يكن ينكر علىٰ المقلدين، لا يرميهم بالجهل ولا بالخصومة ولا شيء.

كان هادئ الطبع، حسن الخلق، شديد الحياء، يروي عن مشايخ المدينة كالسيد علي بن ظاهر الوتري، الشيخ فالح بن محمد الظاهري، توفي بمراكش سنة (١٣٥٧هـ) رحمه الله تعالىٰ.

٢١- العلامة المحدث الفقيه السيد محمد بن إدريس القادري الحسني الفاسي:

ولد بفاس وأخذ عن شيوخ عدة، ورحل إلى الحجاز ودخل مصر والشام وحلب وأخذ عن أهلها، واعتنى بعلم الحديث واشتهر به وألف فيه وفي غيره، إلا أن مؤلفاته ناسبت أهل عصره، فهي على طريقة المتأخرين لا على طريقة أهل التحقيق من المحدثين.

له شرح على "الترمذي" وعلى "المدونة" لم يكملا، وله من المؤلفات غير ذلك: "إزالة الدهش والوله عن المتحير في حديث ماء زمزم لما شرب له"، و"الأحاديث المستطابة بما ورد في فضل الدعاء وشروط الإجابة"، و"الخير المدرار على حديث: «**مَن كَذَبَ عليَّ فليَتَبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**»"، و"أقوم المراقي على شرح ألفية العراقي" و"الدلائل في معرفة رجال الشمائل"، و"قول الحق في بطلان حديث: «**إذا حدَّثتم عنِّي بحديث يوافق الحق**»"، و"الكواكب المنتشرة في الأحاديث المشتهرة"، و"مراقي الوصول إلى شرح منظومة الكواكبي في الأصول"، و"النعم المسدلة في حديث البسملة والصلاة والحمدلة"، وغير ذلك، ومصنفاته تنيف على الخمسين.

كان رحمه الله رجلًا صالحًا ذاكرًا، ارتحل في أواخر عمره إلى مدينة الجديدة واتخذها قرارًا له، زرته فيها وسمعت منه حديث الرحمة بشرطه وأجاز لي إجازة عامة، وتوفي سنة(١٣٥٠هـ) رحمه الله وأثابه رضاه.

ثانيًا: شيوخي بتونس:

٢٢- العلامة المحقق في الفنون شيخ جامع الزيتونة الشيخ الطاهر بن

عاشور التونسي المالكي، كتبت إليه من مصر أطلب منه الإجازة فبعث إلي الإجازة مع بعض مؤلفاته، وهو عالم محقق في علوم الآلة وله دراية واسعة بالفقه المالكي، وله تفسير طبع، وهو تفسير جيد، إلا أن له فيه رأيًا في الجن لا يوافق ما عليه المسلمون يراجع في (سورة الرحمن). وستأتي إجازته إن شاء الله.

ثالثًا: شيوخي بمصر:

٢٣- علامة الديار المصرية بلا منازع وشيخ شيوخها بلا مدافع الفقيه المفسر المعقولى الأصولى المتكلم المنطقي الفيلسوفي المحقق المدقق الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي:

ولد في نحو السبعين والمائتين والألف بالقطيعة التي هو غير اسمها بعد ذلك بالمطيعة بالميم، وعائلته مالكية، وهو أول من تحنف منهم، إذ كان مالكيًّا يجيد الفقه المالكي، ولكن عندما جاء الامتحان دخله حنفيًّا من أجل القضاء، برع في العلوم معقولها ومنقولها وتقدم على الأقران، واشتهر ذكره وطار صيته، ووقع عليه الإقبال حتى صار شيخ العلوم بالديار المصرية بل بالشرق أجمعه فكأنه من علماء القرن الرابع أو الخامس.

حضرت دروسه في "الهداية" بالمسجد الحسيني، وفي التفسير بالرواق العباسي بالأزهر، كان يأتي ومعه المصحف وإذا قرأ الآية يستفيض في التفسير، وكان واسع الإطلاع يتكلم على الآية من جهات متعددة، وكان واسع الصدر لا يغضب ممن يسأله، كثير التنكيت، وكان كريمًا يواسي الفقراء، زرته في بيته بحلمية الزيتون مرات، وكان إذا عرض له حديث يسألني في المجلس فأجيبه، استجزته فأجازني وطال عمره حتى كان مدرسو الأزهر جميعًا إما تلامذته أو

تلامذة تلاميذه.

تولىٰ الإفتاء في مصر لفترة، وعرض له حادثة، حاصلها أن شخصا اسمه الأستاذ إبراهيم الورداني قتل رئيس الوزراء في مصر بطرس باشا غالي، وبعد محاكمته حكمت المحكمة بإعدامه، وأحالت أوراقه إلىٰ المفتي -الذي هو الشيخ بخيت- فأبىٰ أن يوافق علىٰ إعدامه رغم أنه حنفي، وقال: «لا يجوز قتل مسلم بقبطي»، فاستصدرت الحكومة مرسومًا بإحالته إلىٰ المعاش، وهو أول مُفْتٍ في مصر يُحال إلىٰ المعاش، وكانت العادة أن المفتي وشيخ الأزهر لا يحالان إلىٰ المعاش إلا إذا استقالا، وهذه الحادثة تدل علىٰ قوة إيمانه، وأنه لا يراعي الحكومة فيما يناسب شئون الدين.

وتولىٰ عدد من تلاميذه مشيخة الأزهر، ولم يتول هو المشيخة لمعاداته للحكومة، حتىٰ قال مرة بعض العوام بمصر: الشيخ بخيت عالم ولكنه كافر لأنه كان لا يؤمن بحزب الوفد، وكذا كل الأحزاب السياسية، بل كان ضدها فأجمعت علىٰ عداوته، له عدة مصنفات مشهورة، توفي في منتصف شعبان سنة (١٣٥٤هـ).

٢٤ - مسند العصر العلامة المعقولى المحقق السيد أحمد بن محمد بن عبدالعزيز بن رافع الحسيني القاسمي الطهطاوي الحنفي:

ولد بطهطا سنة (١٢٧٥هـ) وتلقىٰ علومه عن أكابر علماء مصر كالشيخ محمد عليش، وابنه عبدالله، والشيخ محمد الخضري الدمياطي، والشمس محمد الإنبابي، والشيخ عبدالهادي نجا الإبياري، وكان أكثر ملازمته للشيخ محمد الإنبابي.

اشتغل بالعلوم العقلية اشتغالًا قويًا، وأكب على الاشتغال بالتدريس والتأليف وصنف المصنفات التي تدل على كمال تحقيقه كـ"رفع الغواشي عن معضلات المطول والحواشي" في خمسة مجلدات ضخام طبع المجلد الأول منها، و"كمال العناية بتوجيه ما في قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ من أنواع الكناية" في مجلد مطبوع، و"بلوغ المأمول في تفسير: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ"، وغير ذلك، ولما ذهب إلى الحج اجتمع بالشيخ عبدالستار الصديقي الهندي مسند مكة المكرمة، وتدبج معه، عند ذلك طلب منه أن يكتب له الإجازة، فوعده ولكن بعد عودته لمصر، فلما رجع وشرع في كتابتها مع ذكر الأسانيد، دعاه تحقيقه إلى مطالعة العديد من الأثبات، وعثر على أوهام في أثبات المتأخرين وانقطاعات في الأسانيد، ثم كتب بعد ذلك ثبتا في مجلدين سماه "المسعى الحميد في بيان وتحرير الأسانيد"، ثم حول اسمه إلى "إرشاد المستفيد"، أتى فيه بغرر التحقيقات ونبه على أوهام وقعت لمجيزنا السيد عبدالحي الكتاني في "فهرس الفهارس"، توفي رحمه الله سنة (١٣٥٥هـ).

٢٥- العلامة محمد إمام بن برهان الدين أبي المعالي إبراهيم بن على بن حسن الشبراخومي الشهير بالسقا الشافعي:

ولد سنة (١٢٨٣هـ) وحضر على والده، وعلى الشمس الإنبابي، ومحمد البحيري وابن أخته حسن بن رجب السقا، ومحمد الأشموني، وجماعة.

دخل الامتحان بالأزهر على يد شيخنا الشيخ بخيت، وهو الذي أعطاه شهادة العالمية، ثم ولي التدريس بالأزهر مع الخطابة بمسجد السيدة نفسية، ثم نقل إلى خطابة الجامع الأزهر، ثم لما صدر نظام الأزهر بعدم الجمع بين

وظيفتين اختار التدريس وتنازل عن الخطابة.

كان طويلًا، جميل الصورة، متواضعًا، مقبلًا علىٰ شأنه، من درسه إلىٰ بيته، لا يخالط الناس كثيرًا، وكانت له يد طولىٰ في فقه مذهب الشافعي بالإضافة إلىٰ علوم الأزهر، وكان لا يتدخل في السياسة ولا يقرأ الجرائد، توفي في منتصف شعبان سنة (١٣٥٤هـ) في يوم واحد هو وشيخنا الشيخ بخيت رحمهما الله تعالىٰ وصلينا علىٰ جنازتهما بالأزهر بعد العصر في وقت واحد، لقيته بعد ما تحول إلىٰ المعاش، وزرته ببيته بالحلمية وأجازني، وأحيانا كان يأتي لزيارتنا.

٢٦- العلامة الفقيه محمد بن إبراهيم الحميدي السمالوطي المالكي:

ولد بصعيد مصر، وحضر للقاهرة لطلب العلم فأخذ عن محمد الخضري، والشمس الإنبابي، والشيخ عليش، وهو عمدته.

كان علَّامة في مذهب مالك، متضلعًا من علوم العربية والبلاغة، استمر يدرس بالأزهر ثم بالمسجد الحسيني، وكان مواظبًا علىٰ الدرس لا يبطله طول السنة حتىٰ في أيام العطلة الرسمية، حضرت عليه في "سنن الترمذي" بمسجد الحسين عليه السلام، واستجزته بزاوية صغيرة بشارع الصنادقية بالأزهر، وكان منقبضًا منكمشًا عن الناس، وكان من جماعة كبار العلماء بالأزهر، وتوفي رحمه الله سنة (١٣٥٣هـ).

- العلامة محمد بن محمد خليفة الأزهري الشافعي:

ولد سنة (١٢٧٠هـ) في بلدة الصنافين بالشرقية، ولما قدم القاهرة قرأ علىٰ أكابر علماء الأزهر، وبعد أن نال الشهادة عين في وظيفة مدرس بالأزهر، كان شيخ الشافعية بالديار المصرية، حافظًا لفروعه مستحضرًا لنصوصه، وكان

صديقًا للعلامة أحمد بك الحسيني واشترك معه في طبع "الأم" للإمام الشافعي، توفي رحمه الله في شوال سنة (١٣٥٩هـ).

استجزته في مسجد الحسين فأجازني، وهو يروي عن محمد الخضري الدمياطي، والشهاب أحمد الرفاعي، والشهاب أحمد المرصفي، وهذا الأخير عن أخيه شمس الدين المرصفي، عن داود القلعي، عن السيد مرتضىٰ الزبيدي.

٢٨ - العلامة أحمد بن محمد بن محمد الدلبشاني الموصلي القاهري الحنفي الضرير: كان من كبار العلماء الأعيان بالأزهر، أخذ عن كثيرين منهم الشيخ أحمد الرفاعي، وأخذ أيضًا عن أبي المحاسن القاوقجي، استجزته بواسطة ابنه لأنه كان لا يخرج لمقابلة أحد لمرضه، توفي رحمه الله في نحو الستين تقريبًا.

٢٩- السيد بهاء الدين أبو النصر بن أبى المحاسن القاوقجى الطرابلسي:

اجتمعت به في بيت أخيه بشارع الصنادقية بقرب الأزهر، واستجزته وأجازني، كان شيخًا لأتباع والده ويسكن مدينة شبين الكوم، وكان لا يقدم للقاهرة إلا في شهر ربيع الثاني لحضور موسم والده، وكان عنده شيء من العلم مع التواضع ودماثة خلقه، توفي بشبين الكوم، رحمه الله تعالىٰ.

٣٠- السيد كمال الدين بن أبى المحاسن القاوقجى:

مات قبل حضوري الأزهر، ولكن أخي السيد أحمد رحمه الله أدركه واستجازه لنفسه ولي، وكان يدرس بالأزهر.

٣١ - العلامة محمد الخضر بن حسين التونسي:

فقيه لغوي متين، ذو خلق حسن وتؤدة، مجاهد في سبيل الله، ولد بتونس سنة (١٢٩٢هـ) وبها نشأ وطلب العلم، ثم درس بجامع الزيتونة، ثم هاجر

إلى المدينة النبوية، فأقام بها مدة ثم ارتحل إلى الشام ثم قدم القاهرة.

تعرفت به في جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة، وكنت أتردد عليها كل يوم جمعة حيث اجتماعهم في ذلك اليوم، وألقيت فيها عدة محاضرات.

وكان يحترمني ويقدرني، ولما كان يرد على الشيخ شلتوت في شخصيات الرسول الأربع التي سرقها من القرافي وادعى فيها أن الرسول تجوز مخالفته فيما حكم به أو أفتى للمصلحة، فرد عليه الشيخ الخضر حسين ردًّا علميًّا، وكان يزورني في بيتي أمده بالأحاديث في موضوع رده.

وعندما جاء إلى مصر بعد الحرب الأولى كان غير معروف لأحد، وحصل أن الملك فؤاد عمل مؤتمر للخلافة بالقاهرة، فكتب الشيخ علي عبدالرازق كتابه "الإسلام وأصول الحكم"، نفى فيه الخلافة وأنها ليست من الدين، فرد عليه الشيخ الخضر حسين، وعلم الملك فؤاد برده فأمر بطبعه وأمر بإعطائه شهادة العالمية، وعين مدرسًا بالأزهر، وفي سنة (١٣٧٠هـ) أصبح عضوًا في هيئة كبار العلماء.

وبعد انقلاب جمال عبدالناصر أرشد الباقوري إلى تعيينه شيخًا للأزهر فعينوه في هذا المنصب وكان من رأيهم أن تتخذ البرنيطة شعارًا للمصريين مثل تركيا وإيران، واستشاروه في ذلك فقال: «هذا لا يجوز»، لكن "مجلة الإرشاد الرسمية" نشرت أنه وافق على اتخاذ البرنيطة شعارًا وقال: «لا بأس بذلك».

فاتصل بهم منكرًا عليهم هذا الكذب، فأفهموه أن الخبر أوحي لهم به، ولا يستطيعون إنكارًا، فاستقال من عمله وذهب إلى بيته، توفي رحمه الله في ١٣ رجب سنة ١٣٧٧.

٣٢- العلامة أبو الوفاء خليل بن بدر بن مصطفى الخالدي المقدسي الحنفي:

وهو من ذرية خالد بن الوليد رضي الله عنه ولد بالقدس سنة ١٢٨٢هـ وطلب العلم في القدس واستانبول ومصر، رأيته بمصر وكنت اجتمع به كثيرًا بمكتبة الخصوصي بالصنادقية، وأخبرني أنه ذهب إلى فاس وأخذ عن كبار علمائها مثل السيد جعفر الكتاني، وشيخ الجماعة أحمد بن الخياط الزكاري، وغيرهم، وأخذ بفاس أيضًا عن السيد علي بن ظاهر الوتري المدني حيث لقيه بفاس.

ورحل كثيرًا إلى البلاد الأوربية فضلًا عن الإسلامية ولكنه كان معجبًا بالمغرب، وأخبرني أن طنجة أعجبته كثيرًا وخصوصًا حي مرشان لإشرافه على البحر، وكان في نيته أن يبيع أملاكه ويذهب إلى طنجة ويقيم بها ولكنه مات في مصر فجأة.

تولى قضاء ديار بكر ثم قضاء حلب سنة ١٣١٩هـ، ثم اختير عضوًا في مجلس تدقيق المصاحف والمؤلفات، وفي أواخر الحرب الأولي أسندت إليه رياسة محكمة الاستئناف الشرعية، ثم انتخب عضوًا بالمجلس العلمي العربي بدمشق.

وفي آخر حياته انتقل إلى القاهرة حيث توفي بها في رمضان سنة ١٣٠٦هـ ورغم علمه وفضله ورحلاته كان غريبًا في مصر، لا يُعرف، حتى إنه لما مات لم يحضر جنازته أكثر من أربعة أو خمسة رجال، ولهذا جاء في الحديث: **«موت الغريب شهادة»**. استجزته وأجازني، وكتب لي إجازة بخطه وذكر في إجازته بعض الكتب التي ينصحني بقراءتها، رحمه الله تعالى.

٣٣ - العلَّامة الشيخ محمد دويدار الكفراوي التَّلاوي الشَّافعي:

زرته في بيته بتلا، وأخبرني أنه حضر على الشيخ محمد الأشموني، والشيخ عبدالرحمن الشربيني والشيخ إسماعيل الحامدي محشي "الكفراوي"، والشيخ عيسى القلعاوي، وغيرهم، وكان ينسخ الكتب التي يحضرها على الشيوخ بخطه.

ناولني ثبت العلامة عبدالله الشبراوي بخطه وفيه إجازات أعيان علماء الأزهر بهذا الثبت وبغيره، وأجازني بما فيه وبغيره، وأخبرني أنه يروي بالإجازة العامة عن الشيخ إبراهيم الباجوري الذي أجاز أهل العصر في درس العصر بجامع الأزهر، عندما زرته كان عمره تسعًا وتسعين سنة وكانت صحته طيبة لا يظهر عليه أثر المرض، ثم مات بعدها بثلاث سنوات عن مائة واثنين عامًا.

واستجزته لأخي السيد أحمد، وللسيد الباقر الكتاني رحمهما الله تعالى، توفي سنة ١٣٦١ هـ

٣٤ - العلامة الشيخ طه بن يوسف الشَّعْبِيني الشَّافعي:

أصله مغربي، وهو شيخ الطريقة الشاذلية، أخذ عن أحمد بن محجوب الرفاعي، والشمس الإنبابي. ومن شيوخ الشَّعْبِيني الشيخ عبدالقادر الورديغي الشفشاوني صاحب كتاب "سعد الشموس والأقمار"، وكان إذا جاء مصر ينزل عنده في بيته.

كان رحمه الله متواضعًا حسن الخلق، ويخاطب كل واحد من الناس بـ«سيدي»، زرته مرات وحضرت معه مجالس طيبة في حوش قدم، واستجزته فأجازني.

ولم أر مثله في تواضعه وحسن خلقه في مصر، يزوره العلماء في بيته، ويطعم

الفقراء ثلاث مرات في السنة أو أربعة، وذلك يوم عيد الفطر، ويوم سابع وعشرين رجب، وفي موسم سيدنا الحسين، وفي موسم والده، ويدعو كافة أصحابه من العلماء والأعيان. وله تآليف، منها رسالة في الكلام على رجال أسانيده، وآخر في آداب الذكر، توفي رحمه الله سنة ١٣٧٣هـ.

٣٦ - العلامة الشيخ عبدالمجيد بن إبراهيم بن محمد اللبان:

عالم أزهري متين جدًّا في علوم الأزهر، زُرتُه بمعهد الإسكندرية وكان شيخًا له، وذلك بعد ما نزلنا من الباخرة بيومين، فهو أول شيخ بمصر أجازني، ثم لما عين شيخًا لكلية أصول الدين حصل حادث علمي هام يدل على غيرته وانتباهه ذكرته عند الكلام على مؤلفاتي، وقد خدمته فيه خدمة طيبة فتوطدت أواصر المودة بيننا فكنت أزوره وكان يسر بوجودي ويطمئن لتحقيقاتي، ولما علم حالي في العلم خاصة الحديث اجتهد أن يعينني مدرسًا للحديث عنده في الكلية فلم يستطع لشدة معارضة الشيخ المراغي شيخ الأزهر إذ ذاك.

يروي عن الشيخ سليم بن أحمد فراج البشري شيخ الأزهر، عن محمد الخناني، عن الأمير الكبير بما في ثبته، سمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية.

٣٧ - العلامة المؤرخ عبدالواسع بن يحيى الواسعي الصَّنعاني اليمني:

ولد بصنعاء سنة ١٢٩٥هـ وأخذ عن أكابر شيوخها وله شيوخ آخرون بالحجاز والشام ومصر ذكرهم في ثبته المطبوع المسمى: "الدُّر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد"، اشتغل بالتاريخ وصنف عدة كتب منها: "فضل اليمن ومحاسن صنعاء ذات المنن"، ومنها: "تاريخ حوادث اليمن"، تولى التدريس بصنعاء وكذا الخطابة، وكانت عنده مكتبة مشهورة باليمن، حضر إلى القاهرة

مرارًا، واستجزته بها فكتب لي الإجازة، وشيوخه يزيدون على السبعين، توفي بصنعاء سنة ١٣٧٩هـ رحمه الله.

٣٧ - الأستاذ الفاضل الأديب العالم عويد بن نصر الخزاعي المكي، ثم المصري الشافعي الضرير:

كان رحمه الله يزورنا في بيتنا بالقاهرة ويتردد علينا مرات، وهو مكي الأصل أتى إلى القاهرة للتعليم واستقر بها إلى الممات، وكان رحمه الله لطيف العشرة جميل المذاكرة جم الفوائد يحفظ كثيرًا من النوادر والأشعار والحكايات الأدبية، وكان فقير الحال يتعيش من ريع أوقاف رواق الحرمين بالأزهر وهو شيء ضئيل للغاية، وكان ضرير البصر عالي الهمة لا يشكو الفقر.

يروي عن الشيخ عبدالهادي الإبياري، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفي، والشيخ أحمد بناني كلا الفاسي، أخذ عنه لما قدم القاهرة في طريقة إلى الحج، عاش نحو الثمانين أو أزيد وتوفي سنة ١٣٥٢هـ.

٣٨ - الشيخ محسن بن ناصر باحربة اليمني الحضرمي الفقيه الشافعي:

طلب العلم ببلده وبالحجاز ثم قدم القاهرة قبل سنة ١٣٢٠هـ، وانتسب إلى الأزهر ثم أصبح شيخ رواق اليمن بالأزهر، وكان وهو في مصر يقف على تصحيح بعض كتب السادة العلوية الحضارمة، فصحح لهم "عقد اليواقيت الجوهرية" للسيد عيدروس الحبشي وغيره.

زرته أنا وأخي الأكبر السيد أحمد رحمه الله واستجزناه فأجازنا، وذكر أن من شيوخه السيد عيدروس بن عمر الحبشي، والسيد أحمد بن حسن العطاس، كان يعرف الفقه الشافعي معرفة جيدة.

٣٩- محمد بن محمود خفاجة الدمياطي الشافعي شيخ علماء دمياط:

زرته في بيته بدمياط فوجدته قد كف بصره وعليه أمارات الصلاح قاعدًا على سريره وحوله جماعة من أهل العلم يقرأ معهم "تفسير البيضاوي" بحاشية الشهاب الخفاجي.

يروي عن أبي المحاسن القاوقجي، والسيد أحمد بن زيني دحلان، ومحمد أبي خضير الدمياطي، سمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وكتب لي الإجازة على أوائل شيخه أبي المحاسن القاوقجي، رحمه الله تعالى.

٤٠ - الشيخ عبدالغني طموم الحنفي:

كان صالحًا مشتغلًا بنفسه، يؤم الناس في الصلوات الخمس بالمسجد الحسيني، وكان منعزلًا لا يخرج من بيته إلا للصلاة ثم يعود إليه ولا يتصل بأحد، استجزته فأجازني، وهو يروي عن الشيخين محمد الإنبابي شيخ الجامع الأزهر، والشيخ أحمد الرفاعي شيخ المالكية، رحمه الله تعالى.

٤١ - السيد محمد بن إبراهيم الببلاوي المالكي الفيلسوف:

وهو ابن عم نقيب الأشراف شيخه السيد علي بن محمد الببلاوي، درس بالأزهر "رسالة الزوراء" للجلال الدواني، وهو الوحيد الذي درسها في الأزهر، وكان فليسوفًا، زرته مرات وكانت بيننا مودة كبيرة وكان يحتفي بي كثيرًا حينما أزوره، وكنت أقابله كثيرًا في زاوية الشيخ محمد الحافظ التيجاني بالمغربلين، استجزته فأجازني، وهو يروي عن ابن عمه المذكور، وعن شيخ المالكية الشيخ محمد عليش، والشيخ محمد الخضري، والشيخ محمد الصاوي، رحم الله الجميع.

٤٢ – العلامة الشيخ محمد بن عبداللطيف خضير الدمياطي الشافعي:

ذهبت إليه في دمياط وأجازني لفظًا، وهو يروي عن الشيخ عطية القماش، عن الشيخ إبراهيم الباجوري، ويروي أيضًا عن الشيخ محمد عوض الشريف، عن أبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجي بما في أثباته.

٤٣ – العلامة المؤرخ السيد محمد بن محمد زبارة الصنعاني الحسني:

ولد بصنعاء سنة ١٣٠١هـ وقرأ على علمائها ورحل إلى عدة بلاد، وفي مصر كان وكيل الإمام يحيى بالقاهرة.

اعتنى بالتاريخ عناية خاصة وكتب عدة مصنفات في تاريخ اليمن منها "نيل الوطر في تراجم علماء اليمن في القرن الثالث عشر"، و"أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر"، وذيل "للبدر الطالع" للشوكاني وطبع له أخيرًا "نزهة النظر في أعيان القرن الرابع عشر" اقتصر فيه على علماء اليمن.

وطبع وهو في القاهرة كتبا لعلماء اليمن منها "تحفة الذاكرين" و"فتح القدير" و"البدر الطالع" للشوكاني كنا نتقابل كثيرًا بالقاهرة، واستجزته فأجازني، وهو واسع الرواية فيروي عن شيخ الإسلام باليمن الحسين العمري، والقاضي يحيى بن محمد الإرياني، والإمام يحيى بن حميد الدين، والسيد عبدالله الزواوي، ومفتي الشافعية بمكة الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، وغالب شيوخ الإمام يحيى شيوخ له، توفي بصنعاء في ١٦ محرم سنة ١٣٨٠هـ.

٤٤- العلامة المحقق البارع الشيخ محمود الإمام عبدالرحمن المنصوري الحنفيّ الأزهريّ:

عالم متين جدًّا قلَّ أن تجد نظيره، وواسع الإطلاع، أعجبت بشدة تحقيقه

وسعة إطلاعه في علوم المعقول والفقه الحنفي، فتعرفت به وكنت أزوره في بيته بشبرا وأطلعني على مكتبته وهي مكتبة جيدة لم أرها عند أزهري وقلما تجد كتابًا من كتبه إلا وعليه بعض تقريرات نفيسة له، وكان يعيش على مرتبه ومع ذلك فكان شديد الاعتناء بشراء الكتب، فاتفق مع السيد محمد أمين الخانجي رحمه الله أن يمده بالكتب التي يريدها، وفي كل شهر يعطيه جزءًا من مرتبه، وهو الذي صحح "تاريخ ابن كثير" الذي طبعه الخانجي.

ولشدة اعتنائه بالكتب لما علم أن عندنا "تخريج أحاديث الكشاف" للزيلعي طلب مني إعارته إياه لينسخه، كما طلب مني أن أبحث له عن "حاشية ابن سعيد التونسي على الأشموني"، لأنه كان معجبًا بها غاية الإعجاب، فاستحضرتها له من تونس، وكان من عادته أنه إذا أتى للدرس يأتي بالملزمة معه وعليها تقريرات له مهمة جدًّا فلا يدع مسألة إلا ويقرر عليها ويعطي الدرس حقه من البحث والإطلاع على الكتب المتصلة به بحيث يعطي الطالب ملكة الفهم ويعلمه كيفية البحث في كتب العلم وقواعده.

حضرت عليه "تهذيب السعد بشرح الخبيصي" في المنطق فاستفدت جدًّا، فكان لا يدع شيئًا يتصل بالكتاب وشروحه وحواشيه وبالعلم وقواعده إلا أتى به وناقشه وقرره، سمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية كما سمعه من الشيخ أحمد الحلواني وكتب لي سنده فيه بخطة وقال: «ليس عندي غيره». رحمه الله وأكرم مثواه.

٤٥ - العلامة المتضلع الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري:

تعرفت به بالقاهرة وكنا نتقابل يوم الجمعة بمسجد محمد بك أبي الذهب ويوم الاثنين بمكتبة الخانجي وتوطدت بيننا أواصر المودة والصداقة، وكان

يسألني عن بعض الأحاديث التي يُسأل عنها، وكنا مرة عند فضيلة المرحوم الشيخ يوسف الدجوي بعزبة النخل وكان المجلس غاصًّا بالعلماء وغيرهم، وهو يتكلَّم في مسائل علمية متنوِّعة، فوجَّه إليه أحد الحاضرين سؤالًا عن حديثٍ، فوجَّه السؤال إليَّ وقال: «لا يُفتَىٰ ومالك في المدينة» وإذا زرته في بيته بالعباسية وحضرت الصلاة قدَّمني للصلاة بالحاضرين، ولم يتقدَّم قط رغم إلحاحي عليه ولما استجزته ببيته بالعباسية أجاز لي، واستجازني وألح علي أن أجيز له بل بلغ من وثوقه بعلمي أن نشر مقالًا بـ"مجلة الإسلام" يقرظ فيه كتابي: "إقامة البرهان علىٰ نزول عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان"، ولما جمع مقالاته أحد تلامذته الذين استفادوا مني لم ينشر المقال المشار إليه حسدًا منه.

كان الشيخ الكوثري رحمه الله عالمًا بالفقه والأصول وعلم الكلام ومتخصِّصًا في علم الرجال من ناحية معينة، وقرأ في الرجال كثيرًا، خذ مثلًا "الكامل" لابن عدي، قرأه بكامله من أوله لآخره.

وكان له معرفة بالمخطوطات النادرة وأماكن وجودها، واطلع علىٰ الكثير منها، وكنا نعجب بالكوثري لعلمه وسعة إطلاعه وتواضعه، كما كنا نكره منه التعصُّب الشديد للحنفية، حتىٰ كان يقول عنه شقيقنا الحافظ أبو الفيض: «هو مجنون أبي حنيفة».

ولما أهداني رسالته: "إحقاق الحق" في الرد علىٰ إمام الحرمين وقرأتها، وجدته غمز نسب الإمام الشافعي، فلمته علىٰ ذلك الغمز وقلت له: «إن الطعن في الأنساب ليس برد علمي» فاعترف بتعصُّبه.

ولد في ٢٨ شوال سنة ١٢٩٦هـ في قرية قريب استانبول وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ، رحمه الله وأكرم مثواه.

٤٦- العلامة المحقق محمد بن حسنين بن محمد مخلوف العدوى المالكي:

حضرت عليه "جمع الجوامع" من «باب القياس» إلىٰ أخره، و"الرسالة السمرقندية" في آداب البحث والمناظرة، وسورة الفاتحة بـ"تفسير البيضاوي" بجامع محمد بك أبي الذهب الذي كان يدرس فيه بعد أن ترك الوظائف الإدارية، وكان درسه يحضره عدد من العلماء.

كان عالمًا محققًا في العلوم العقلية ويعرفها جيدًا، وكان علىٰ خلق كريم وهو صوفي، اشتغل بعدة مناصب بالأزهر وتدرج إلىٰ أن صار وكيلًا للأزهر، وله مصنفات جيدة في الأصول والمعقولات والتفسير والفقه والتصوف، منها حاشيته المشهورة علىٰ "شرح السجاعي" علىٰ نظم المقولات، و"بلوغ السول في مدخل علم الأصول" و"التبيان في زكاة الأثمان"، ورسالة في حكم ترجمة القرآن ورسالة في التوسل، وكلها مطبوعة، وكذلك "القول الوثيق في الرد علىٰ أدعياء الطريق" ألفها بسؤال بعض المغاربة من أصدقائه، ورسالة أخرىٰ في خصوص مسألة الفاتحة وادعاء كونها من كلام الله القديم.

ولد ببلدة بني عدي في الصعيد سنة ١٢٧٧هـ وأخذ عن الشهاب أحمد الرفاعي والشيخ حسن الطويل، والشيخ محمد الإنبابي، والشيخ محمد السروجي، والشيخ حسن العدوي الحمزاوي،وتوفي رحمه الله تعالىٰ سنة ١٣٥٥هـ.

وكان عضوًا في هيئة كبار العلماء، وهيئة كبار العلماء كانت مكونة من أربعين عالمًا، يختارون من كبار علماء الأزهر وتكون مهمتهم بحث المسائل العامة وتحرير مؤلفات فيما يخص العالم الإسلامي من رد علىٰ شبه أو تحقيق بحوث فقهيه أو غير ذلك، وكانت تسمىٰ هيئة كبار العلماء ثم أسماها المراغي

جماعة كبار العلماء.

ومن هذه الجماعة الذين لهم مؤلفات كثيرة الشيخ بخيت، والشيخ مخلوف، والشيخ الدجوي، وكان المعتاد أن ينتخب شيخ الأزهر من أحدهم ويبعث باسمه إلى قصر عابدين فيخرج المرسوم بتعيينه شيخًا للأزهر، وبعد انقلاب جمال قضي على هذا النظام مع الأزهر جميعًا.

٤٧ - الشيخ العلامة عبدالمجيد الشرقاوي وهو من ذرية الشيخ العلامة عبدالله بن حجازي الشرقاوي: صاحب المؤلفات العديدة، ومنها شرحه على "مختصر الزبيدي" قرأت عليه "شرح الخطيب الشربيني لمتن أبي شجاع" من أوله إلى أخره، وذلك بعد صلاة العصر بجامع الأزهر لمدة سنتين كان يتقن فقه الشافعية إتقانًا ما عليه مزيد، ويتوسع في الشرح تمامًا، حتى يفهم جميع الطلبة الدرس، وكان صالحًا ضعيف الحال.

٤٨ - العلامة الشيخ محمد عزت:

كان مأذونًا، وفي نفس الوقت محققًا في الفقه الشافعي، بالإضافة إلى معرفته بعلوم الأزهر معرفة جيدة، وكان يدرس "المنهج" في الفقه الشافعي لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري في القسم العالي بالأزهر، حضرت عليه شرحه للمصنف -الربع الأول- المسمى "فتح الوهاب".

٤٩ - العلامة يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني الشافعي:

رئيس المحكمة الشرعية العليا في بيروت، تعلم في الأزهر فأخذ كما في ثبته "هادي المريد بطرق الأسانيد" عن البرهان السقا، والشمس الإنبابي، وعبدالهادي نجا الإبياري. وله مشايخ من خارج الأزهر، ومنهم محمد بن

محمد الخاني، وعبدالله السكري، وغيرهما. وله مصنفات معروفة توفي رحمه الله سنة ١٣٥٠هـ.

ثالثًا: شيوخي بالحجاز:

٥٠- الشيخ العلامة المسند الرحلة عمر حَمْدان بن عمر بن حَمْدان المحرسي التونسي ثم المدني:

ولد بمحرس في تونس سنة ١٢٩٢هـ، ثم هاجر به والده إلى المدينة المنورة، فأخذ عن شيوخها، منهم سيدي محمد بن جعفر الكتاني، والسيد علي بن ظاهر الوتري، والشيخ فالح بن محمد الظاهري، والسيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي وغيرهم.

رحل كثيرًا فدخل الشام ومصر وتونس والجزائر والمغرب واليمن، وله مشايخ في كل هذه البلاد، كانت له عناية بإقراء الحديث النبوي وكان يعني بالدليل رغم أنه مالكي، وكان يعرف علوم العربية كلها معرفة جيدة جدًّا، ومع علمه كان طارحًا للتكلف مقبلًا على الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، ذا بذاذة في ملابسه، يحب العلماء كثيرًا ويحث الطلاب على الاجتهاد، وكانت له مكتبة كبيرة فيها نوادر المخطوطات، وأحيانًا كان يبيع ويشتري الكتب، توفي رحمه الله في المدينة المنورة سنة ١٣٦٨هـ.

٥١- العلامة الشيخ عبدالقادر توفيق الشلبي الطرابلسي ثمَّ المدني الحنفي:

ولد بطرابلس الشام سنة ١٢٩٥هـ وبها نشأ، وفي سنة ١٣١٧هـ انتقل إلى المدينة، ومن شيوخه الشيخ حسين الجسر الطرابلسي صاحب "الرسالة الحميدية"، والشيخ خليل صادق، والشيخ عبدالرحمن الرافعي، والسيد محمد بن

جعفر الكتاني، والشيخ محمد بن سليمان المكي، وغيرهم.

كان ورعًا متواضعًا كثير الإنصاف، يساعد الطلاب بالمال والنصائح، وكان مرجع العلماء في الفقه الحنفي في المدينةو توفي رحمه الله بالمدينة سنة ١٣٦٩

٥٢- العلامة المعمر السيد محمد المرزوقي بن عبدالرحمن أبو حسين المكي الحنفي:

ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٨٤هـ وأخذ عن علمائها، منهم الشيخ محمد صالح كمال، والشيخ محمد عبدالحق الهندي محشي "النسفي" والشيخ عثمان بن عبدالسلام الداغستاني، وغيرهم.

كان يدرس بالحرم المكي، وكانت له عناية خاصة بالفقه الحنفي والأصول وله معرفة جيدة بالأدب، وتولى القضاء لفترة، توفي بمكة المكرمة ١٣٦٥هـ.

٥٣- الشيخ صالح بن الفضيل التونسي ثم المدني الحنفي:

استجاز لي منه صديقنا الشريف الجليل محمد الباقر الكتاني.

٥٤- العلامة المسند الراوية المعقولي عبدالباقي بن ملا علي بن ملا محمد معين اللكنوي الأنصاري المدني الحنفي:

ولد بلكنو في الهند سنة ١٢٨٦هـ، وطلب العلم عن شيوخ بلده، وبرع صغيرًا في فنون المعقول، واعتنى بإجازة بعض الشيوخ بالهند، ثم رحل إلى الحجاز واستجاز أيضًا جماعة، وهاجر إلى المدينة فاستوطنها سنة ١٣٢٢هـ.

ودرس بالحرم النبوي، ولما أعلنت الحرب العظمى انتقل مع جملة الخارجين منها إلى دمشق وبقي بها ثلاث سنوات، ولما رجع إلى المدينة لزم بيته

لا يخرج إلا للصلوات الخمس في المسجد النبوي، وأخذ يدرس العلوم في منزله.

له عدة تصانيف منها "المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة"، و"الإسعاد بالإسناد"، و"تحفة الأماجد بحكم صلاة الجمعة في المساجد"، و"الحقيقة في العقيقة" وغير ذلك.

وهو يروي عن شيوخ كثيرين من أجلهم ابن خالته علامة الهند عبدالحي اللكنوي، وعبدالرزاق بن أحمد بن علاء الدين الأنصاري اللكنوي، وعباس بن جعفر صديق المكي، وتحمّل المسلسلات بأعمالها القولية والفعلية عن المسند صالح بن عبدالله السناري، ومن مشايخة بدمشق أبو الخير أحمد بن عابدين الدمشقي الحنفي، توفي رحمه الله سنة ١٣٦٤هـ بالمدينة المنورة.

٥٥- الشريف أحمد التِّبر المغربي الفَاسي:

أجازني وصافحني وألبسني الطاقية كما فعل معه الشيخ عبدالقادر بن سودة.

٥٦- مُسْنِد العَصرِ العلَّامة الشيخ محمد ياسين الفاداني المكي:

أجزته وأجازني، فتدبجنا.

رابعًا: شيوخي بالشام:

٥٧- العلامة الفاضل الشيخ محمد سعيد بن أحمد الفرا الدمشقي الحنفي:

هو سبط العلامة ابن عابدين الفقيه الحنفي المشهور، كان له سند عال في الاتصال بجده المذكور، وهو أحد من أخذ عنه سيدي محمد بن جعفر الكتاني، وهو يروي عن جده لأمه المذكور علاء الدين عابدين عن والده محمد أمين بن عمر عابدين بما في ثبته ولما وقعت الفتن بين الدروز وأهل الشام والفرنسيين

نزل إلىٰ بيروت، وكانت وفاته بها سنة ١٣٤٥هـ.

٥٨- العلامة الزاهد الورع بدر الدين بن يوسف بن بدر الدين بن علي بن شاهين البيباني الدمشقي:

شيخ دار الحديث بدمشق، ولد بدمشق، وطلب العلم بالأزهر علىٰ الشيخ إبراهيم السقا وطبقته، إلا أنه لم يستجز أحدًا من علماء الأزهر إلا شيخه السقا الذي كان يسند من طريقه في إجازته لمستجيزيه، كان علَّامة فقيهًا شافعيًّا، علومه التي له اليد الطولىٰ فيها المعقولات غير أنه اشتهر بالمحدث الأكبر وليس كذلك، وسبب اشتهاره هو مجلس إملائه الذي يمليه يوم الجمعة تحت قبة النسر نحو أربعين سنة فاشتهر لذلك بالمحدث، وهو عن الحديث بعيد، إنما كان يستحضر لمجلس إملائه يوم الجمعة أحاديث يمليها بأسانيدها وفيها الضعيف والواهي والموضوع.

وقد حضر أخي أبو الفيض مجالسه فوجده كذلك، فاستغرب لذلك جدًّا، وسأل شيخه سيدي محمد بن جعفر الكتاني فقال له: سيدي بدر الدين علومه هي علوم الآلة والفقه الشافعي، كان يخرج من منزله قبيل الفجر إلىٰ دار الحديث فيصلي بها الصبح ثم يدخل غرفته ويستمر ويدرس بها إلىٰ الغروب، وكان يصوم الدهر ولا يفطر إلا العيدين وكان ورعًا وزاهدًا كثير الذكر والصلاة علىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يفتر لسانه عن ذلك، ولا يخوض في أمور الدنيا ولا أخبارها، وعمر طويلًا حتىٰ صار علماء الشام كلهم تقريبًا تلامذته، وله كرامات، ولد بدمشق سنة ١٢٦٧هـ وتوفي سنة ١٣٥٤هـ، رحمه الله وجعل الجنة مثواه.

٥٩- الأستاذ الشيخ عبدالجليل بن سليم الذرا الدمشقي:

أخذ عن سيدي محمد بن جعفر الكتاني، وعن بعض علماء الحجاز، منهم السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي، والشيخ أبو الخير أحمد بن عثمان المكي، ومجيزنا عبدالباقي اللكنوي، وآخرون.

٦٠- العلامة المؤرخ محمد راغب بن محمود الطباخ الحلبي الحنفي:

عالم فاضل له عناية بالتاريخ وصنف في ذلك كتبا منها "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء" وهو مطبوع، استجزته لي ولأخي السيد أحمد فأرسل لنا الإجازة، وهو يروي عن شيوخ كثيرين ذكرهم في ترجمته التي كتبها في نهاية كتابه "مختصر الأثبات الحلبية"، منهم محمد شرف الحق الهندي، والسيد كامل الهبراوي، والشيخ محمد رضا الزعيم، والشيخ طاهر الجزائري، توفي رحمه الله في رمضان سنة ١٣٧٠هـ.

٦١- العلامة الشيخ عطاء بن إبراهيم بن ياسين الكسم الدمشقي الحنفي:

وهو يروي عن شيوخ كثيرين منهم عبدالله بن درويش السكري، وحسن العدوي الحمزاوي وسليم العطار، رحمهم الله جميعًا.

٦٢- ومن النجف شيخي هبة الدين الحسيني الشيعي.

خامسًا: شيوخي من النساء:

أم البنين آمنة بنت عبدالجليل بن سليم الذرا الدمشقية:

سيدة فاضلة، لها رواية واسعة، وأجازت لي باستدعاء أخي السيد أحمد، وهي ابنة مجيزنا عبدالجليل الذرا المذكور، تروي عن السيد أحمد البرزنجي، والشيخ عبدالجليل بن عبدالسلام برادة، والشيخ أحمد بن عثمان المكي وغيرهم.

فصل: تلامذتي

لي تلاميذ كثيرة في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية، منهم قضاة ومفتون وأئمة وخطباء وأذكر من أعيانهم عدة، منهم إخوتي:

١ - السيد الزمزمي.

٢ - والسيد عبدالحي.

٣- والسيد عبدالعزيز.

٤-والسيد الحسن.

٥- والسيد إبراهيم .

ومن غيرهم:

٦- السيد المنتصر الكتاني، وهو تلميذ عاق، عفا الله عنه وشفاه.

٧- والشيخ علي جمعه المصري، عالم فاضل، كريم الخلق، حصل على الدكتوراة بتفوق.

٨- والشيخ صالح الجعفري رحمه الله، حجَّ اثنتين وخمسين مرة، وكان من الصالحين، له كرامات ومكاشفات.

٩- الشيخ محمد الحامد الحموي رحمه الله كان من العلماء العاملين بعلمهم، شديد الاتباع للسنة، وَرِعًا طاهر السريرة، وأنا أفتخر به.

١٠- الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، الأستاذ بجامعة الرياض، والمعروف بتحقيقاته القيمة، وله اطلاع كبير.

١١- الشيخ محمد عوامة، له أيضًا تحقيقات قيمة.

١٢- الشيخ محمد علي مراد الحموي، عالم فاضل.

١٣- الشيخ عبدالعزيز عيون السود رحمه الله كان أمين الإفتاء بحمص.

١٤- الدكتور فاروق حمادة، الأستاذ بكلية الشريعة بفاس، له مؤلفات وتحقيقات مهمة، وله بحوث في الحديث قيمة، نسأل الله له المزيد من فضله.

١٥- الشيخ حمدي أصلان جافا الألباني، تخرج من الأزهر، وهو مقيم بمصر لأن بلده صارت شيوعية، وأخوه نهاه عن العودة إليها.

١٦- والشيخ محمود حسن الشيخ إمام وخطيب بالكوم الأحمر من قرىٰ الجيزة بمصر.

١٧- والدكتور حنفي حسنين، مدرس بالأزهر.

١٨- والشيخ حسين البتانوني مدرس بالأزهر.

١٩- والشيخ عبدالوهاب عبداللطيف، وكيل كلية الشريعة لازمني كثيرًا واستفاد مني، وقد وضعت اسمه علىٰ كتاب "تنزيه الشريعة"، مع أنه لم يكتب في تحقيقه كلمة بل كان يكتب ما أملي عليه فوضعت اسمه مجاملة له لأنه كان صديقًا ومحبًّا ومستفيدًا، رحمه الله تعالىٰ.

٢٠- والشيخ محمود سعيد؛ تلميذ نابه له تحقيقات في علم الحديث تدل علىٰ قوة فهمه وشفوف نظره.

فصل: كنيتي

لي عدة كنى، ذلك أني كنيت نفسي بأبي الفضل لأنها كنية ثلاث حفاظ أحبهم، العراقي وابن حجر والسيوطي، وكنَّاني أخي في إجازته لي بأبي المجد، وكنَّاني القاضي عبدالحفيظ الفاسي بأبي سالم، وكنَّاني صديقي العالم الفاضل سيدي محمد الباقر الكتاني رحمه الله بأبي السَّنَاء.

فصل: مؤلفاتي

أول ما كتبت من المؤلفات "شرح الآجرومية"، كتبته في سن الطلب، وسماه أخي "تشييد المباني لتوضيح ما حوته الآجرومية من الحقائق والمعاني" غير أنه ذكر في "البحر العميق"، أنه كتب شرحًا للآجرومية لم يتم، وأن شرحي إكمال له، وهذا غير صحيح، فإني لم أر له شرحًا على "الآجرومية"، ولا ذكره لي فكيف أكمل شرحًا ما عرفته ولا رأيته؟!.

وفي مصر سئلت عن تقبيل اليد، وسمعت من يقول: «أنه سجدة صغرى»، فكتبت جزء "إعلام النبيل بجواز التقبيل" طُبع مرتين.

ووجدت "منهاج البيضاوي" يدرس بالأزهر، فخرجت أحاديثه في كتاب سميته: "الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج ".

وسئلت عن التوسل، فكتبت فيه جزءًا سميته "إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء".

وفي سنة ١٩٥٣م كثر الانتحار بمصر في الشبان والفتيات وبعض الرجال يلقون أنفسهم في النيل بسبب السقوط في الامتحان، أو فشل في الحب أو

الزواج أو مشاكل عائلية، فكتبت جزءًا سميته "قمع الأشرار عن جريمة الانتحار" وبعثت به إلى مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه، فاستحسنه وقال لي: فاتك نصوص كثيرة في الموضوع، لكن ما ذكرته مفيد.

وجرَّدت الأحاديث المرفوعة من كتاب "الشكر" لابن أبي الدنيا، فجاءت ستة وأربعين حديثًا، شرحتها وسمَّيتها "الأربعين الغمارية في شكر النعم" طبعت مع "قمع الأشرار" في جزء واحد.

واطلعت على كتاب يسمى: "القول المبين في حكم دعاء ونداء الموتى من الأنبياء والصالحين" لواعظ اسمه الشيخ محمد مخيمر، فوجدت فيه أغلاطًا كثيرة وتحريفًا في النقول، وجرأة على الكلام في التفسير بغير علم، فكتبت ردًّا عليه سميته "الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين" طبع، ورآه المردود عليه ولم يستطع أن ينقضه، ولما رآه صديقي الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف، قال: هذا كتاب ممتلئ بالقواعد والفوائد. وهكذا أعجب به كل من رآه.

وعزم الشيخ سليمان الوكيل صاحب مطبعة دار التأليف على إنشاء مشروع كتاب الشهر، وطلب مني أن أسهم معه بكتب شهرية فكتبت له: "سمير الصالحين" جزءين، و"فضائل القرآن" جزءين.

وكان شعبان فكتبت "حسن البيان في ليلة النصف من شعبان"، ثم كتبت "غاية الإحسان في فضل شهر رمضان".

وسمعت الشيخ محمود شلتوت يلقي محاضرة في الراديو ذكر فيها أن التداوي بالأذكار والآيات يعتبر من قبيل الدجل، فكتبت جزءًا سميته "كمال الإيمان في التداوي بالقرآن" طبع مرتين.

وبعث قادياني إلىٰ الأزهر، يسأل: هل سينزل عيسىٰ؟ وما حكم من ينكر نزوله؟، والقاديانيون ينكرون نزول عيسي، وغرضه بهذا السؤال أن ينتزع من الأزهر ما يرد به علىٰ المسلمين الذين يعارضون القاديانية في الهند، فحوَّل الشيخ المراغي سؤال القادياني علىٰ الشيخ محمود شلتوت، فكتب الجواب علىٰ وفق مراد السائل؛ أنكر نزول عيسىٰ وزعم دعاوىٰ أبطلْتُها في كتاب "إقامة البرهان علىٰ نزول عيسىٰ في آخر الزمان" طبع.

وقدَّمْتُه إليه في بيته ثم أصر علىٰ الإنكار في مقالات نشرها بـ"مجلة الرسالة"، فأردفته بكتاب "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسىٰ عليه السلام" طبع، وقدمته إليه في بيته أيضًا.

وأخبرني صديقي الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي أنه رأىٰ في "مجلة صوت أمريكا" مقالًا للشيخ محمود شلتوت، ذكر فيه أن الإيمان بالله واليوم الآخر ينجي صاحبه يوم القيامة، ولا حاجة إلىٰ الإيمان بالنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وبنىٰ علىٰ ذلك أن أهل الكتاب ناجون يوم القيامة، فكتبت ردًّا عليه جزءًا سميته "التحقيق الباهر في معنىٰ الإيمان بالله واليوم الآخر".

وسمعت محاضرة ألقاها الدكتور محمد البهي في الراديو، زعم فيها أن إرسال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ الجن دليله ظني، فكتبت في الرد عليه جزءًا سميته "قرة العين في أدلة إرسال النبي إلىٰ الثقلين" بينت فيه قطعية إرساله إلىٰ الجن بالقرآن، والسنة المتواترة، وإجماع الأمة.

وظهر بين أساتذة الجامعة وطلبتها مقالة أن الخمر لم يحرمها القرآن كما حرم الخنزير بقوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]

وإنما قال: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، فكتبت ردًّا عليهم جزءًا سميته "واضح البرهان علىٰ تحريم الخمر في القرآن" بيَّنتُ فيه دلالة القرآن علىٰ حرمة الخمر من عدة وجوه في عدة آيات، وتعرضت لحرمة المخدرات، طبع مريتن.

وكان الشيخ محمد مخيمر زعم في كتابه أن حديث: «**حياتي خير لكم**» لا أصل له فكتبت جزءا في تصحيحه، سميته "نهاية الآمال في صحة حديث عرض الأعمال"، طبع.

وأرسلته لأخي فأثنىٰ عليه كثيرًا، ورأيت الألباني ذكره في الأحاديث الضعيفة، وأخطأ، وانحرف عن القواعد التي استعملها في تصحيح أحاديث توافق هواه، وهو صاحب هوىٰ وابتداع وزيغ.

وطلب مني صديقي الأستاذ الفاضل الشيخ محمد عمارة أن أكتب مؤلفًا في الكرامات، فكتبت "الحجج البينات في إثبات الكرمات".

وسألني شاب من بورسعيد اسمه طاهر محمد مخاريطة عن الاستمناء، فأجبته بمقال في "مجلة الإسلام"، ثم كتبت جزءًا سميته: "الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء".

وكتبت "نهاية التحرير في حديث توسل الضرير".

وفي إحدىٰ زياراتي للإسكندرية، طلب مني الشيخ مصطفي الجعفري رحمه الله أن أكتب مزجًا للصلاة المشيشية، فكتبته، وسميته: "المعارف الذوقية في أذكار الطريقة الصديقية" وجعلته وظيفة للصديقيين هناك، وهو مطبوع.

وكتبت جزء "الأحاديث المنتقاة في فضائل رسول الله" اخترت ثلاثة وأربعين حديثًا في فضائله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وشرحتها.

لكن وقع لي فيه خطأ كبير، ما كنت أحب أن يقع؛ نقلت حديثًا من "الخصائص الكبرىٰ"، ولم أبحث في رتبته ثقة بالسيوطي الذي زعم أنه صان ذلك الكتاب عن الأخبار الموضوعة، ثم وجدته في الموضوعات منصوصًا علىٰ وضعه من السيوطي نفسه، فغضبت غضبًا شديدًا، وكرهت من السيوطي هذا التساهل القبيح الذي يوقع من يقلده في أسوأ الأثر، وأظنه يأثم علىٰ ذلك لا محالة، والحديث المذكور هو الحديث السادس من "الأحاديث المنتقاة"، فليضرب عليه من كان عنده ذلك الكتاب.

وكتبت جزء "الأربعين الصِّدِّيقية في مسائل عامَّة اجتماعية".

وطلب مني صاحب مطبعة دار التأليف أن أكتب له قصص الأنبياء، بأسلوب واضح، فكتبت "قصة آدم"، و"قصة إدريس"، و"هاروت وماروت"، ثم عرض ما منع الاستمرار فيها، وخرجت أحاديث "اللمع في الأصول".

فصل: مؤلفاتي في السجن

أدركني ظلم جمال عبدالناصر كما أدرك كثيرًا من العلماء فمكثت في السجن أحد عشر عامًا كاملة من ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٩ إلىٰ ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٦٩، فكتبت في السجن مع التشديد والتضييق عدة كتب هي: " فضائل النبي في القرآن"، "النفحة الإلهيَّة في الصلاة علىٰ خير البرية"، "سمير الصالحين"، "القول المسموع في الهجر المشروع"، "جواهر البيان في تناسب سور القرآن"، "بدع التفاسير"، "تمام المنَّة في بيان الخصال الموجبة للجنة"، "خواطر دينية"، "الأحاديث المختارة"، "الكنز الثمين في أحاديث النبي الأمين"، وهذه الكتب طبعت كلها ولقيت إقبالًا من القراء والحمد لله.

غير أن كتاب "الكنز الثمين"، لست راضيًا عنه، لأني كتبته في حال تضييق وتشديد كما سبق، وعدم وجود مراجع، فجاءت فيه أحاديث ضعيفة كثيرة، ورد الألباني عليه لم يأت فيه بجديد، وإنما حمله عليه محبة أن يقال رَدَّ على الغماري، وحب الظهور قاسم للظهور كما قال السادة الصوفية، ولو وجدت فراغًا لنقحته وهذبته، وحذفت منه ما فيه من الضعيف.

وكتبتُ "إتحاف النبلاء بفضل الشهادة وأنواع الشهداء" في السجن أيضًا وكانت مدة السجن محنة فيها منحة بتأليف هذه الكتب، هذا ما كتبته في مصر سوى ما علقته على بعض الكتب. وبيانه فيما يأتي:

١- تعليق على "المقاصد الحسنة".

٢- تعليق على كتاب "أخلاق النبي" لأبي الشيخ ابن حيان.

٣- تعليق على كتاب "الحبائك في أخبار الملائك" للسيوطي.

٤- تعليق على "تنزيه الشريعة"، وكتبت اسم الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف مجاملة، مع أنه لم يكتب فيه حرفًا ولا كلمة، بل كان يكتب ما أملي عليه من تعليقات.

٥- تعليق على كتاب "الإرشاد" لابن عساكر في الفقه المالكي، وهذا التعليق راج كثيرًا في إفريقيا، وطبع مرات.

٦- تعليق على "شرح الأمير لمختصر خليل"، وهذا الشرح على نمط المحلي في شرح "جمع الجوامع".

٧- تعليق على "بداية السول في تفضيل الرسول" لعز الدين بن عبدالسلام.

٨- تعليق على "بشارة المحبوب بتكفير الذنوب" للقابوني.

٩- تعليق على رسالة ابن الصلاح في وصل البلاغات الأربعة.

١٠- تعليق على كتاب "النصيحة في الأدعية الصحيحة" للمقدسي، لقي رواجًا وطبع مرات.

١١ - تعليق على "مسند أبي بكر" للسيوطي.

١٢- تعليق على "مسند عمر"، له.

١٣- تعليق على "مسند عثمان"، له أيضًا.

١٤- وطبع بمصر رسالة الحافظ ابن رجب في "تحقيق كلمة الإخلاص"، بتعليق الشيخ محمود خليفة والشيخ أحمد الشرباصي، ووقع في تعليقيهما أوهام نبَّهْتُ عليها في رسالة سميتها "أسباب الخلاص من الأوهام الواقعة في تحقيق كلمة الإخلاص"، طُبِعَت بمطبعة دار التأليف.

١٥- تعليق على "فيض الجود على حديث شيبتني هود" للشيخ عبدالعزيز الزمزمي المكي، طبعة الشيخ منير الدمشقي.

١٦- تعليق على كتاب "الباهر في حكم النبي بالباطن والظاهر" للسيوطيِّ.

١٧ - تعليق على كتاب "نتيجة الفكر في الجهر بالذكر" للسيوطي أيضًا.

١٨- تعليق على "تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية" للسيوطيِّ أيضًا.

١٩- تعليق على كتاب "الخبر الدال على وجود الأقطاب والأبدال" للسيوطيِّ أيضًا.

٢٠- تعليق على كتاب "قوة الحِجَاج في عموم المغفرة للحُجَّاج" للحافظ

ابن حجر، وكتبت اسم الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف مجاملة له أيضًا.

٢١- تعليق على كتاب "الاستخراج لأحكام الخراج" للحافظ ابن رجب.

ونشرت كتبًا أخرى لم أعلق عليها منها:

- كتاب "الإكليل في استنباط التنزيل" للسيوطي.

- وكتاب "تبيين العجب فيما ورد في رجب" للحافظ ابن حجر.

ووضعت بعض المطابع اسمي على كتاب "الشرح الكبير" في فقه المالكية بغير علمي.

وكذا وضع اسمي على كتاب "الأذكياء" لابن الجوزي بغير علمي أيضًا لضمان رواجه، ووضع اسمي أيضًا على كتاب "آكام المرجان في أحكام الجان".

فصل: مؤلفاتي بالمغرب

لما رجعت من مصر سنة ١٣٨٩هـ، كتبت مؤلفات لمناسبات اقتضيت كتابتها، فألفت كتاب "الرؤيا في القرآن والسنة".

وكتبت جزء "البيان المشرق لوجوب صيام المغرب برؤية المشرق".

والمغاربة لا يعملون برؤية مصر وغيرها مع أنهم مالكية، ومذهب مالك أن ثبوت الرؤية في بلد يعم البلاد كلها إلا البعيدة جدًّا، قال ابن عبدالبر: «كالأندلس وخراسان»، وإنما يتمسكون بمذهب مالك في ترك القبض، مع أنهم لم يفهموا كلام مالك كما بينته في جزء "الحجة المبينة لصحة فهم عبارة المدونة".

ووجدت أخي الزمزمي يطبع ورقة ويوزعها في آخر شعبان، يعترض فيها على الذين يصومون مع مصر ويورد عليهم إشكالًا يزعم أنه لا حل له،

فكتبت جزءا سميته "التنصل والانفصال من فضيحة الإشكال" فلم يعد إلى توزيع تلك الورقة، وطبعته بطنجة.

و"البيان المشرق" ردٌّ عليه أيضًا كتبته بالسجن في مصر، وأرسلته إليه، فكتب ردًّا عليه سماه: "الرد المقلق".

وأسجل هنا مع الأسف أن أخي شديد العقوق.

ولابد أن أسجل هنا ملاحظة هامة، وهي أن المشارقة يقبلون كلام من يرد عليهم برحابة صدر؛ رددت على الشيخ محمود شلتوت، ورد عليّ، وكنا نتقابل كأن لم يكن بيننا شيء، وكان يقول لي: «العلم صلة بين أهله، والخلاف بيننا في الرأي لا يفسد الصلة».

وكان بيني وبين عبدالله القصيمي النجدي معركة حامية في المجلات، وكنا مع ذلك نلتقي ونتجاذب أطراف الحديث، حتى أنه عرض علي مرة أن أنضم إليهم وقال لي: «أنت محدث ومطلع، وانضمامك إلينا ينفعنا، فانضم وأنا أضمن لك ثلاث حاجات:

١- الحج على نفقة الحكومة السعودية.

٢- مرتب شهري.

٣- إقامة حفلة في الكونتينتال تكريمًا لك، يُدعى لها العلماء والأعيان.

فرفضت هذا العرض.

وكان بيني وبين الشيخ سيد علي الطوبجي معركة دامت أكثر من سنة، وبعدها تعرف عليَّ وسلَّم علي بحرارة كما سبق.

وهكذا كان الحال في مصر يختلف العلماء والأدباء والكتاب، وتشتد لهجة

الرد أحيانا، ولا يحصل بينهم تقاطع ولا عداء ومن الأمثال الشائعة عندهم: «اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية».

فلما رجعت إلى المغرب وجدت الأمر يختلف تمام الاختلاف، إذا رددت على شخص اعتبرك عدوه وقذفك بسيل من الشتائم وقاطعك وحقد عليك، لأن المغاربة عندهم نقص في التفكير، ولهذا يعتقد الواحد منهم ولو بلغ في العلم أو الأدب درجة كبرى أن من يرد عليه فقد أسقط منزلته وسجل عليه الجهل، ولا يخطر بباله أن الإنسان عرضة للخطأ وأن مخالفة غيره لرأيه لا تسقط منزلته ولا تثبت له جهلًا.

فالعالم أو الأديب إذا أخطأ في مسألة أو مسائل لا ينقص ذلك من قدره، ونحن نجد كثيرًا من الأئمة أخطأوا ورتبتهم محفوظة ومقامهم عظيم لكن هذا كله غير معروف في المغرب وغير معمول به.

ولما كنا بمصر كتب أخي الزمزمي رسالة في تحريم حلق اللحية، وكان يعرض عليَّ ما يكتبه منها فأصحح له بعض العبارات، وحين أتمها سميتها له: "تنبيه أولي البصائر على أن حلق اللحية من الكبائر"، وكنت أفهم إذ ذاك أن كل محرم كبيرة، ولا أعرف الفرق بين الصغيرة والكبيرة.

ثم تمكنت في علم الأصول ومعرفة القواعد فعلمت الفرق بينهما بأن مجرد التحريم لشيء يقتضي أنه معصية صغيرة وإذا اقترن التحريم بحد أو وعيد كانت المعصية كبيرة، وأدركت غلطي في تسمية تلك الرسالة لأن اللحية ثبت الأمر بإعفائها ولم يثبت في حلقها وعيد، فيكون صغيرة.

ولما رجعت إلى المغرب وجدت أخي مصرًّا على أن حلق اللحية كبيرة وزاد

علىٰ ذلك -تقليدًا للألباني- أن فيه تشبهًا بالنساء وتغييرًا لخلق الله.

وقرأت في "مجلة الكلمة" سؤالًا موجهًا للعلماء في هذا الموضوع بسبب بلبلة أحدثتها رسالة أخي في حي بالدار البيضاء، فكتبت جوابًا في المجلة بيَّنت فيه أن الحلق صغيرة وأنه ليس فيه تشبه بالنساء ولا تغيير لخلق الله، فغضب وطبع رسالة سماها "كشف الحجاب عن المتهور الكذاب" -يقصدني- أفحش فيها وأقذع وناقضني فيما ذكرته من علامة الكبيرة بأن الأمن من مكر الله كبيرة، وليس فيه وعيد، فكتبت جزء أسميته "تنوير البصيرة ببيان علامات الكبيرة" ذكرت فيه (٤٤) علامة للكبيرة.

ووجدت في طنجة جماعة يقلدون ابن حزمٍ في آرائه الشاذة، ومنها قصر المسافر للصلاة ولو صلَّىٰ خلف مقيم، وسألني الطلبة أن أكتب في هذا الموضوع بحثًا، فكتبت جزءًا سميته: "الرأي القويم في وجوب إتمام المسافر خلف المقيم" فردَّ عليه الزمزمي ردًّا سفيهًا كعادته.

وكان شخص آخر من مقلدة ابن حزمٍ كتب رسالة يؤيد فيها هذا الرأي الشاذ أيضًا، ووجدته أخطأ فيها، فنبهت علىٰ خطأه في الرأي القويم ولم أسمه، فغضب أيضًا، ومنع أصحابه الذين يحضرون دروسي من الحضور فامتنعوا مُكْرَهين وبعد شهرين أو أكثر جاء يعتذر عما مضىٰ منه.

ثم كتبت جزء "الصبح السافر في تحرير صلاة المسافر" طبع مرتين، وفي الطبعة الأخيرة زيادات مهمة منها تحديد مسافة السفر الذي يجوز فيه القصر، لأن مقلدة ابن حزمٍ يقصرون في مسافات قريبة مثل مطار طنجة وبعض قرىٰ الفحص التي هي من الضواحي، مع أن قول النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:

«السفر قطعة من العذاب» يرد عليهم، رواه مالك والشيخان، وبقيته: **«يمنع أحدَكم نومَه وطعامه وشرابَه فإذا قَضَى أحدُكم مُهمَّته فليعجِّل إلى أهلِه»**، وإذا جاء السفر مطلقًا في القرآن -كما قال بن حزم- فهذا الحديث قيده بكونه قطعة من العذاب، فـ«أل» فيه إما للعهد أي السفر المذكور في القرآن، وأما للعموم أي كل سفر، وعلى كلا الاحتمالين فالحديث مبين للسفر الذي يجوز فيه القصر والفطر، وبيان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مقدَّم على بيان غيره، ويؤخذ منه أن السفر الذي لا يكون قطعة من العذاب أو مظنة لذلك، لا يصح الترخص فيه برخص السفر.

ومن اللطائف: أن إمام الحرمين لما جلس مكان أبيه سئل: لم كان السفر قطعة من العذاب؟ قال على الفور: «لأن فيه فراق الأحباب وهذا أهم ما فيه من العذاب».

وقد ذهبنا مرة إلى سيدي قاسم -وهو أبعد من المطار- على البهائم، ومنا من مشى على رجليه، وكان المطر شديدًا فوصلنا مبتلين تقطر ثيابنا ماء وأوقدنا النار واستدفأنا بها وأيبسنا عليها الثياب، وكانت فسحة جميلة رجعنا منها آخر النهار إلى بيوتنا لم نشعر بالعذاب ولا فارقنا الأحباب ولا منع منا طعام ولا شراب، لكن مقلدة بن حزم لا يدركون الحِكَم التي شرع الترخيص لأجلها في السفر الذي عينه الشارع، وإنما همهم ترديد كلام ابن حزمٍ والجمود عليه.

وبعث إليَّ أحد القضاة يسألني أن أحرر له بحثًا في (الفاتحة)، هل تجب على المأموم؟ فكتبت جزء أسميته "الأدلة الراجحة على فرضية قراءة الفاتحة" طبع بالإسكندرية.

وسمعت من يزعم أن التصوف مأخوذ من عبَّاد النصارىٰ وغيرهم، فكتبت جزءًا سميته "الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام" طبع بالإسكندرية أيضًا.

وكتبت جزءًا سميته "إعلام النبيه بسبب براءة إبراهيم من أبيه"، طبع بالرباط.

وقد تجرأ عامل طنجة -وكان قبيحًا- فحبسنا أسبوعين لأننا أفطرنا مع مصر قبل المغرب مع أنه لا يصوم ولا يصلي، فلامه الناس علىٰ هذا العمل الذي لا مسوِّغ له، إلا الزمزمي فإنه أعلن سروره بحبسنا في خطبة الجمعة، وقال عنَّا: إننا عاصون فتانون آثمون، وبعث بتسجيل خطبته إلىٰ العامل تأييدًا له، ولم يمر أكثر من شهرين حتىٰ حبس أكبر أولاده بالدار البيضاء، فسافر ليطمئن عليه فلم يعرف أين هو ومكث مدة كالمجنون يتردد بين الرباط والبيضاء ولم يصل إلىٰ شيء، حتىٰ سخر الله له من أخذ بيده وأوصله إلىٰ ولده الذي مكث في السجن شهرين.

وفي هذا عبرة بالغة لكنه لا يعتبر، قلبه كالحجارة أو أشد قسوة، أما العامل فقد أوقعه الله في شر أعماله، نكب نكبة كبيرة وعُزل من عمله ومن كل وظيفة وهو الآن في حكم الموتىٰ، وإن الله يمهل ولا يهمل، وفي الحديث الصحيح: «**إنَّ اللهَ تعالى ليُمْلي للظالم حتَّى إذا أخذَه لم يُفْلِتْه**». رواه الشيخان.

ووصلني بالسجن في مصر ثلاثة أجزاء من "التمهيد"، قرأتها فوجدت فيها أخطاء علمية كثيرة، جمعتها وبعثت بها إلىٰ أخي السيد إبراهيم فسلَّمها إلىٰ الأستاذ عبدالرحمن الدكالي المشرف علىٰ طبع التمهيد لينبه عليها فلم يفعل.

ولما رجعت إلى المغرب وسافرت إلى سلا لزيارة بعض الإخوان والتقيت بصديقنا العزيز العلامة سيدي عبدالرحمن الكتاني رحمه الله، جرى بيننا الحديث في مسائل علمية، فأعلمته بقصة الأخطاء، فقال لي: «انشرها في "مجلة دعوة الحق"»، فدفعتها إلى إدارة المجلة، ومضت مدة فلم تنشر، وسألت فقيل لي منع نشرها وزير الأوقاف المكي الناصري.

فعملت لها خطبة، وسميتها "تنبيه الباحث المستفيد إلى ما في الأجزاء المطبوعة من التمهيد" وطبعتها وبعثت بها إلى الديوان الملكي ووزير الأوقاف والأستاذ علال الفاسي، ورأتها اللجنة التي حققت الأجزاء فغضبت وتكلمت كثيرًا، حتى قال لهم بعض الأفاضل: «لم هذا الكلام الكثير؟ إن كان مخطئًا فردوا عليه»، فلم يفعلوا[١].

ورأيت أهل طنجة، إذا أكلوا يقولون: «اللهم أدِّ عنا شكر النعم»، فكتبت جزءا أسميته "كيف تشكر النعمة" أثبته هنا وهو هذا:

---

(١) وتركت تعقب أجزاء "التمهيد" حتى أردت بحث موضوع القبض في الجزء العشرين فوجدت فيه أغلاطًا علمية مثل ما وقع في الأجزاء الثلاثة الأولى، ولابد أن الأجزاء قبل العشرين وقع فيها أغلاط علمية كثيرة لأن المشرف على تصحيحها ضعيف العلم بعيد عن صناعة التصحيح، و"التمهيد" مع نفاسته لم يلق من يصححه من أهل العلم تصحيحًا يليق بمقامه.

كيف تشكر النعمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

أما بعد: فقد سمعت كثيرًا من الناس بطنجة إذا أكل أحدهم وشبع يقول: اللهم أدِّ عنَّا شُكْرَ النِّعمة.

وهذا دعاءٌ قبيحٌ فيه إساءة أدبٍ مع الله تعالي؛ فلا يجوز أن يُدعَىٰ به.

وبيان ذلك: أنَّ الله تعالىٰ أمرنا بالشُّكْر علىٰ نِعَمِهِ علينا قال سبحانه: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾ [سبأ: ١٣].

وفي "جمع الجوامع": «وشُكْرُ المُنعِم واجبٌ بالشرع».

فالشُّكْر عند حدوث نِعْمَتِهِ عبادةٌ أمرنا الله بها كما أمرنا بالصَّلاة والصِّيام وغيرهما مِن العبادات.

وقد بيَّن النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كيف تؤدَّىٰ عبادة الشُّكْر بفعله وقوله.

أمَّا فعله: ففي "سنن أبي داود" و"الترمذي" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا فرغ مِن طعامه قال: «**الحمدُ لله الذي أَطْعَمَنا وسَقَانا وجَعَلَنا مُسْلِمين**». وللحديث ألفاظٌ في "الصحيحين"، وطرقٌ مُتعدِّدةٌ.

وأمَّا قوله: ففي "معجم الطبراني" و"صحيح ابن حِبَّان" عن ابن عبَّاسٍ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذهب إلىٰ أبي أيوب ومعه أبو بكرٍ وعمر

فقدَّم لهم تمرًا وشواءً فلما أكلوا وشبعوا، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خُبْزٌ ولَحْمٌ وتَمْرٌ وبُسْرٌ ورُطَبٌ -ودَمَعَتْ عَيْناهُ- والذي نَفْسي بيدِهِ، إنَّ هذا لهو النَّعِيمُ الذي تُسألون عنه، قال الله جلَّ وعَلَا: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾** [التكاثر: ٨] **فهذا النَّعِيمُ الذي تُسألون عنه يومَ القِيامَةِ**». فكَبُر ذلك على أصحابه فقال: «**إذا أَصَبْتُمْ مِثْلَ هذا، فضَرَبْتُمْ بأيدِيكُمْ، فقولوا: بسمِ الله، وإذا شَبِعْتُمْ فقولوا: الحمدُ لله الذي هو أَشْبَعَنَا وأَنْعَمَ علينا وأفضل، فإنَّ هذا كَفَافٌ بها**».

وروى الحاكم والبيهقيُّ عن عائشة قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أَنْعَمَ الله على عبدٍ نِعْمَةً فعَلِمَ أنَّها مِن عند الله إلَّا كَتَبَ الله له شُكْرَها قبل أن يَحْمَدَهُ عليها، وما أَذْنَبَ عبدٌ ذَنْبًا فنَدِمَ عليه إلَّا كَتَبَ اللهُ له مَغْفِرَةً قبل أن يَسْتَغْفِرَهُ، وما اشْتَرى عبدٌ ثَوْبًا بدينارٍ، أو نِصْفِ دينارٍ، فلَبِسَهُ فحَمِدَ اللهَ عليه إلَّا لم يَبْلُغْ ركبتيهِ حتَّى يَغفرَ اللهُ له**».

وفي "صحيح مسلم" عن أنسٍ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ ليَرْضَى عن العَبْدِ أن يأكلَ الأَكْلَةَ فيَحْمَدهُ عليها ويَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فيَحْمَدَهُ عليها**».

نِعَمُ الله علينا كثيرةٌ لا نستطيع إحصاءها، ولا نطيق أداء شكرها، ولكن الله كلَّفنا مِن ذلك بقَدْر طاقتنا.

قال سليمان التيميُّ: «إنَّ اللهَ أنعمَ على العباد على قَدْرِهِ، وكلَّفهم الشُّكْر على قَدْرهم». رواه البيهقيُّ في "الشعب".

فإذا حدَثت للمسلم نعمة فشُكْرها أن يقول: «الحمد لله» فإنَّ الله يرضى بهذا ويُثيبه عليه، فإن لاحظ مع هذا تقصيره في الشكر فله في علاج هذا

التقصير إحدىٰ طريقتين:

١- أن يقول: اللهمَّ اغْفِر لي تقصيري في شكرك، أو: اللهمَّ اعفُ عن تقصيري، أو: اللهمَّ لا تؤاخذني بما قصَّرت، أو نحو هذا مِن الدعاء المشروع.

٢- أن يقول: اللهمَّ ألهمني أداء شكرك، أو اللهمَّ وفِّقني لأداء شكرك، أو اللهمَّ أعنِّي عليه، أو نحو هذا مما يفيد طلب المعونة والتوفيق.

وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]، معنىٰ «أوزعني»: ألهمني.

هذا دعاءٌ قرآنيٌّ يرشدنا أن نطلب الإلهام لشكر الله علىٰ نعمه.

ولا يجوز أن يقول: اللهم أدِّ عنِّي شكر النِّعم لقبحه مِن وجوهٍ:

١- أنه يتضمَّن ردَّ الأمر علىٰ الآمِر به، وهو ممنوعٌ عادةً وشرعًا.

أمَّا العادة: فلأنك لو قلت لولدك أو لمن لك عليه واجب الطاعة: افعل الشيء الفلاني، وقال لك: افعله أنت عنِّي، عدَّ مخالفًا للأمر حيث ردَّه عليك واستحقَّ اللوم والتأديب، ولا يعفيني أن يبدي تأويلًا لقوله بأنه أراد كذا وكذا لأن كلامي صريحٌ في ردِّ الأمر، والصريح لا يقبل التأويل.

وأمَّا الشرع: فإنَّ مِن المعلوم بالضرورة وجوب تنفيذ أمر الشارع، وهذا لا يحتاج إلىٰ دليلٍ.

٢- أنه يتضمَّن أنَّ اللهَ كلَّفك مِن شكره ما لا تطيق حتىٰ طلبت منه أن يؤدِّيه عنك، وهذا يخالف القرآن حيث قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] والدعاء المخالف للقرآن يحرم الدعاء به كما نصَّ عليه العلماء، فلا يجوز أن يدعي بالمغفرة لكافرٍ بعد موته، ولا أن يدعي بطلب رؤية الله

في الدنيا ونحو ذلك مما يخالف القرآن والسُّنَّة.

٣- أنَّ الشكر عبادةٌ أُمرنا بها، والعبادة لا يفعلها الله عن عبده، بل لا يجوز عقلًا أن يفعلها؛ لأنه معبودٌ وليس بعابد، وإنما يطلب منه التوفيق للعبادة والإعانة عليها.

٤- أنَّ الشارع بيَّن أنَّ حقَّ الله على عباده أن يعبدوه، وحقَّ العباد عليه إذا عبدوه أن يُثيبهم، وهذا حقٌّ تفضُّلي، وذلك الدعاء يستلزم أن يصير المعبود عابدًا، وهذا المعنى باطلٌ عقلًا وشرعًا فالدعاء به حرامٌ.

٥- أنَّ الداعي يطلب بدعائه حصول خيرٍ أو دفع ضرٍّ، وذلك الدعاء ليس فيه شيءٌ من ذلك، إذ لو فرض وقوع المحال وشكر الله ذاته نيابة عن عبده فالعبد لا يناله مِن ذلك الشكر ثواب له، ولا دفع ضر عنه لأنه فعل فعله الله لا علاقة للعبد به فيكون ذلك الدعاء عبثًا فهو حرامٌ.

٦- أنَّ حمد الله ذاته وثناءه عليها واجبٌ عقلًا، اقتضاه كماله المطلق وعظمة ربوبيته مع إنعامه على مخلوقاته بجليل النِّعم ودقيقها ظاهرها وخفيِّها، وقد نصَّ العلماء على أنَّ الدعاء يجوز بالممكن سواء كان واجبًا بالشرع أو جائزًا، ولا يجوز الدعاء بالواجب العقليِّ ولا بالمحال العقليِّ، وذلك الدعاء يطلب واجبًا عقليًّا فهو غير جائزٍ شرعًا.

٧- أنَّ علماء الكلام وغيرهم قالوا: إذا كان للفظ معنيان؛ أحدهما يليق بجانب الله والآخر لا يليق؛ فلا يجوز إطلاقه على الله منعًا لإلصاق معنى لا يليق به.

مثلًا العلم الضروري له معنيان: أحدهما ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال وهذا صحيحٌ بالنسبة إلى علم الله، والآخر ما يضطر الشخص إليه كعلمه

بحياته ووجوده. قالوا: فلا يجوز وصف علم الله بأنه ضروريٌّ؛ لأنه يوهم هذا المعنىٰ الذي لا يليق به.

وكذلك قول القائل: اللهمَّ أَدِّ عنِّي شُكْرَ النِّعم. لا يجوز إطلاقه في جانب الله حتىٰ لو فرض أنَّ له معنًىٰ صحيحًا بضربٍ مِن التأويل والتجوُّز؛ لأنه يوهم معنىٰ قبيحًا لا يليق بالله تعالىٰ.

شبهات تعرض في هذا المقام والجواب عنها:

١- ثبت في الحديث أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يقول: «**سُبْحَانَكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عليك أنتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ**».

فيجوز علىٰ هذا أن يقال: اللهمَّ أدِّ عنِّي شُكْر النِّعم، باعتبار أنَّ الإنسان لا يُطيق شكر النِّعم ولا يُحصِيها.

وهذه شبهةٌ ضعيفةٌ جدًّا لوجوهٍ:

أولها: أنَّ الحديث أخبر بحقيقتين لا شك فيهما ولا مراء، وهما أنَّ الإنسان لا يُحصِي الثناء علىٰ الله ولا يستطيعه؛ لأنه يقتضي الإحاطه بكمال الله وهي في حقِّنا محالٌ عقلًا، وأنَّ الله هو الذي يُحيط بكماله ويثني علىٰ نفسه كما يليق به.

ثانيها: أنَّ الثناء المطلق -وهو الذكر- عبادةٌ مطلوبةٌ أيضًا قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] وقال في معرض المدح: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وبيَّنت السُّنَّة أنواعًا مِن الذِّكر وما فيها من الثواب مثل: «لا إله إلا الله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، لا

حول ولا قوة إلَّا بالله، حسبُنا الله ونعمَ الوكيلُ، اللهُ أكبرُ، سبحانَ الله وبحمدِهِ، سبحان الله العظيمِ، أستغفرُ الله العظيمَ الذي لا إله إلَّا هو الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه».

وهذه أنواعٌ مِن الذِّكر وغيرها كلها ثناء على الله تعالى، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكثر الناس ذكرًا لله كما ثبت في "صحيح مسلم" عن عائشة قالت: «كان يذكر الله على كلِّ أحيانه» ومع ذلك اعترف أنه لا يُحصي ثناءً على الله، لكن لم يقل: اللهمَّ أثنِ على نفسك؛ لأن هذا الدعاء لا يجوز لما سبق بيانه بل قال: «**أنتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ**» وهذا خبرٌ صحيحٌ عقلًا وشرعًا.

ثالثها: حيث إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نفَّذ الأمر بذكر الله، واعترف بالعجز عن إحصاء الثناء عليه، ولم يقل: اللهمَّ أثن على نفسك، أو اللهمَّ اذكر نفسك عنَّا، فيسعنا في هذا المقام ما وسعه عليه الصلاة والسلام وذلك بأن نشكر الله كما علمنا وإذا شعرنا بالتقصير والعجز دعونا الله بالمغفرة أو التوفيق، ولا نقول: اللهمَّ أدِّ عنَّا شُكْر النِّعم.

رابعها: أنه سبق في حديث عائشة أنَّ العبد إذا علم أنَّ النعمة من الله بمعنى أنه اعتقد ذلك وتيقَّنه تصديقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] كتب الله له شكرها قبل أن يحمدها عليها، وهذا فضلٌ مِن الله كبيرٌ يُغنينا عن ذلك الدعاء القبيح الخطير.

٢- من أسماء الله الحسني اسم «الشكور» وهذا الاسم يُومِئ إلى جواز أن يقال: اللهمَّ أدِّ عنَّا شكر النعمة.

وهذه الشبهة أضعف من سابقتها؛ لأن الشكر معناه ثناء الشاكر على

إحسانٍ وصل إليه مِن المشكور، والله تعالىٰ لا يصل إليه إحسان محسنٍ؛ لأنه الغنيُّ الحميد المُنعِم المُتفضِّل، وإذن فمعنىٰ اسمه الشكور إمَّا أن يظهر أعمال عباده الصالحين وينوِّه عنها ويمدحهم عليها، وهذا مجازٌ حقيقته إظهار الشاكر للنِّعمة وثناؤه عليها.

وإمَّا أنه يثيب الثواب الكثير علىٰ الطاعة القليلة، وهذا أيضًا مجازٌ حقيقته قولهم: شكرت الشجرة إذا كثرت أغصانها، وليس في هذا إشعارٌ بجواز ذلك الدعاء القبيح.

٣- أنَّ الله تعالىٰ أمرنا بالصلاة علىٰ نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ونحن نقول: اللهمَّ صلِّ علىٰ سيِّدنا محمدٍ، فنطلب منه أن يصلِّي علىٰ نبيِّه فكذلك يجوز أن يقال: اللهمِّ أدِّ عنَّا شُكْر النِّعم.

وهذه شبهةٌ واهيةٌ والقياس الذي يبنىٰ عليها ظاهر الفساد؛ لأن الصَّلاة معناها العطف كما حقَّقه ابن هشام في "المغني".

ثُمَّ العطف يختلف باختلاف فاعله حسب ما يليق به، فصلاة الله علىٰ المؤمنين :عطفه عليهم برحمته ومغفرته وهدايته، وصلاته علىٰ نبيِّه: عطفه عليه بإعلاء شأنه ورفعة قدره، وصلاة الملائكة علينا :عطفهم بالدعاء لنا كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وصلاتنا نحن معشر المسلمين علىٰ نبيِّنا :عطفنا بالدعاء له برفعة قدره

وإعلاء شأنه فقولنا: «اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ» هو امتثالٌ لقول الله تعالى: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] أمرنا بالدعاء له فدعونا، ولم نرد الأمر على الآمر به كما في قول القائل: اللهمَّ أدِّ عنَّا شُكْر النِّعم.

فظهر فساد القياس المذكور، وبطلت الشبهة من أصلها، وبالله التوفيق.

وكتبت المؤلفات الآتية:

١- "رفع الإشكال عن مسألة المحال".

٢- "القول السديد في حكم اجتماع الجمعة والعيد"، رد على الشوكاني.

٣- "أمنية المتمني في تحريم التبنِّي"، جواب عن سؤال.

٤- "التنصيص على أن الحلق ليس بتنميص"، جواب عن سؤال من بلجيكا.

٥- "ذوق الحلاوة في بيان امتناع نسخ التلاوة".

٦- "الحُجَّة المُبيِّنة لصحَّة فهم عبارة المُدوَّنة".

٧- "إتقان الصِّنعة في تحقيق معنى البدعة".

٨- "الإحسان في تعقُّب الإتقان".

٩- "حسن التفهُّم والدَّرْك لمسألة الترك".

١٠- "المهدي المنتظر".

١١- "حسن التلطُّف في بيان وجوب سلوك التصوف".

١٢- "القول الجزل فيما لا يُعذر فيه بالجهل".

١٣- "إعلام الراكع الساجد بمعنى اتخاذ القبور مساجد".

١٤- "استمداد العون لإثبات كفر فرعون".

١٥- "فتح الغَنيِّ الماجِد بحُجِّيَّة خبر الواحد".

١٦- "قصة داود عليه السلام".

١٧- "إرشاد الأنام إلى ما يتلى من الآيات والصلوات في الأيام".

١٨- "توجيه العناية لتعريف علم الحديث رواية ودراية".

١٩- "مِنحة الرؤف المُعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي".

٢٠- "أجوبة هامَّة في الطب"، عن أسئلة طلبة طب الإسكندرية.

تعليق على: "إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب"، للسيوطي.

٢١- "التوقِّي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الإله"، وهو هذا.

التوقي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الإله

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدِنا محمد أشرف المرسلين، ورضي الله عن آله الأكرمين، وصحابته، والتابعين.

أما بعد: فهذا جزء سميته: "التوقِّي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الإله"، وأرجو من الله أن يوفِّقني للصواب، إنه الكريم الوهَّاب.

قال صاحبُ "السُّلَّم":

فمُفهِمُ اشتراكِ الكُلِّيُّ كأسَدٍ وعَكْسُهُ الجُزْئيُّ

قال العلَّامة البناني في "شرحه": «يعني أنَّ الكلِّيَّ هو الذي يُفهِم الشركةَ في معناه، أي :لا يمنع نفس تصوُّر معناه من صدقه على مُتعدِّدٍ، كإنسانٍ وأسدٍ، فدخل في تعريف الكلِّيِّ أنواع».

فذكر النوع الأول ثم قال: «وثانيها ما وُجد منه فردٌ واحدٌ إمَّا مع استحالة وجود غيرِه بدليلٍ خارجٍ عن تصوُّره، كالإله؛ أي :المعبود بحقٍّ فإنَّ مجرَّد تصوُّر معناه لا يمنع من صدقه على متعدِّدٍ، لكنْ قام الدليل القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالألوهيَّة واستحالة ثبوتها لغيره، وتفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المُفتقِر إليه كلُّ ما عداه لا يمنعُ كونه كليًّا؛ إذ لا يوجب تشخُّصَه؛ لأنَّه بهذا المعنى يحتمل أن يَصْدُق على كثيرٍ على سبيل البدليَّة».اهـ

وقال مُحشِّيه العلَّامة علي قصارة: «كان ينبغي إسقاطُ هذا القسم من أقسام الكلِّيِّ لأنَّه موهمٌ في مقام الألوهيَّة ما لا يصحُّ في حقِّه تعالى مِن التعدُّد والجِسْميَّةِ والتَّركيبِ فلا ينبغي إطلاقُه كما صرَّح به القرافيُّ في شرح "التَّنقيح"

ونصُّه: «إطلاق لفظ الكُلِّيِّ علىٰ واجبِ الوجودِ فيه إيهامٌ، تمنع من إطلاقه الشَّريعةُ فلذلك تركتُه أدبًا».اهـ

قال سيِّدي عيسىٰ السّكتاني: «وكذا الجزئيُّ يوهم النِّسبة إلىٰ جزء الشيء الموضوع للمجموع فذلك مستحيلٌ في حقِّه تعالىٰ».اهـ

عُلِم مِن هذا أنَّ إطلاق لفظ الكُلِّيِّ علىٰ الإله لا يجوز شرعًا للإيهام المذكور(١).

وهذا أول خطأ مِن البُناني رحمه الله تعالىٰ.

الثاني: ويشاركه فيه القرافيُّ وأهلُ المنطق؛ أنَّ الإله ليس بكلِّيٍّ بل هو خاصٌّ بالله تعالىٰ كالرحمن وفي النَّاس كثيرون اسمهم عبدالإله.

قال الفيُّوميُّ في "المصباح المنير": «الإلهُ المعبودُ وهو الله سبحانه وتعالىٰ، ثُمَّ استعارهُ المشركون لما عبدوه من دون الله تعالىٰ».اهـ

وقال الراغبُ في "مفردات القرءان": «وإله حقُّه ألَّا يُجمعَ إذْ لا معبودَ سواه لكنَّ العربَ لاعتقادهم أنَّ ههُنا معبوداتٍ جمعوه فقالوا الآلهة».اهـ

وفي القرآن الكريم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٤٠]، وهذه الآية مِن أدلَّة القائلين بأنَّ اللُّغة توقيفيَّةٌ.

تبيَّن مِن هذا أنَّ الإله علمٌ خاصٌّ كما قلنا، وأنَّه لتضمُّنه معنىٰ العبادة أطلقه العرب علىٰ معبوداتهم علىٰ سبيل الاستعارة، وتوهَّم أهل المنطق أنَّ

---

(١) صرَّح العلماء أيضًا بأنَّه لا يجوز وصفُ عِلم الله بأنَّه ضروريٌّ وإن كان له معنىٰ صحيحٌ، لإيهامه معنىٰ لا يليق بالله تعالىٰ.

هذا إطلاقٌ حقيقيٌّ، زعموه كليًّا مع أنه عَلَمٌ خاصٌّ، ونظير هذا إطلاقُهم لفظَ حاتمٍ على الكريم اشتقاقًا مِن معنى الكرم الذي اشتهر به حاتم الطائي المعروف، ولم يُخرجه ذلك الإطلاق عن عَلَمِيَّته الشخصيَّة.

كذلك لفظ «الإله» لا يخرجه إطلاقه على المعبودات اشتقاقًا من معنى العبادة عن عَلَمِيَّته الخاصة بالله تعالى.

الثالث: أنَّ الكليَّ إنما يتأتَّى في الممكنات كالنبيِّ والمَلَك والعرش والكرسيِّ واللوح والقلم والسماء والشمس والقمر والفلك والكواكب والروح والنفس والإنسان والحيوان والنبات وما إلى ذلك مما يتركَّب من أجناس وفصول ويدخل في دائرة المقولات[1] العشر المجموعة في قول القائل:

زيد الطويلُ الأبيضُ ابنُ مالكٍ ببيتِه بالأمسِ كان متَّكي
بيده غُصنٌ لواه فالتوى فهذه عشْرُ مقولاتٍ سَوى

أما واجب الوجود سبحانه فهو منزَّهٌ عن ذلك، ليس شيء من أسمائه

---

(١) أخذت هذا العلم عن شيخنا العلامة المُحقِّق الشيخ العباس بناني بجامعة القرويين أعاد الله لها مجدها، وهو أحد أربعة علماء عرفوا بالتحقيق.

وثانيهم: العلامة مولاي عبدالله الفضيلي، أخذت عنه "رسالة الوضع" ومقدِّمات "جمع الجوامع".

وثالثهم: العلامة الشيخ الراضي السناني صاحب "الشذرات" أخذت عنه بعض "جمع الجوامع".

ورابعهم: العلامة مولاي أحمد القادري أخذت عنه باب الجنايات من "المختصر" بـ"شرح الخرشي"، وأجازني أولهم بما يرويه عن سيدي أحمد بن الخياط رحمهم الله جميعًا وأثابهم رضاه.

وصفاته كليًّا يتركَّب مِن جنسٍ يشترك به مع غيره، ولا من فصل يميزه عنه بل أسماؤه وصفاته خاصَّةٌ به لخصوص العلَم الشَّخصي بمسمَّاه.

الرابع: أنَّ الكلِّيَّ لا يُتصوَّر كونه محالًا؛ إذ هو ما له جزئياتٌ موجودةٌ كالحيوان، أو ممكنةُ الوجود كجبلِ ياقوتٍ.

والمحالُ عدمٌ محضٌ ليست له صورة في الذِّهن ولا يمكن أن تكون له صورةٌ، بل لا يُدرَك إلَّا بطريق التَّشبيه كأن يعقل اجتماعُ السَّواد والحلاوة في العنب مثلًا ثُمَّ يقال: مثل هذا الاجتماع لا يكون بين السواد والبياض، وأحيانًا لا يمكن تقريبه بطريق التشبيه لكون الشيء موجودًا معدومًا في آنٍ واحدٍ فكيف يُتصوَّر كونه كليًّا له جزئيَّات؟!!.

والذين اعتبروا «الإله» و«شريك الباري» كلِّيَّيْن مخطئون واهمون لم يعرفوا معنى المحال على حقيقته، أو اشتبه عليهم الأمر حين وجدوا كليًّا جزئياتُه معدومةٌ كجبل ياقوت وبحر زِئْبق فاعتبروا المحال كليًّا مثلَه، لكن بينهما بونٌ شاسعٌ؛ لأنَّ الممكنَ المعدومَ قابلٌ للوجود وقد أخبر الله أنَّ في الجنَّة أنهارٌ ﴿مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] وهذه أمورٌ ممكنةٌ غير موجودةٍ في الدنيا وهي موجودةٌ في الآخِرة.

أمَّا المحال فإنه مُغرقٌ في العدَم لا يقبل الوجود بحالٍ، لا في الخارج ولا في الذِّهن، ووجود جزئيَّات الكلِّيِّ مترتبٌ على وجود صورة له في الذِّهن والمحال لا صورةَ له ولا يُذكر إلَّا منفيًّا.

والخلاصة: أنَّ الكليَّ لا يكون إلَّا في الممكنات فقط دون الواجب والمحال.

الخامس: قول البناني في بيان كلِّية الإله: «مجرَّد تصور معناه لا يمنع من

تعدُّد مصدوقِهِ لكنَّ الدليلَ القاطع علىٰ وجوب انفراد الله تبارك وتعالىٰ بالإلوهية» يشتمل علىٰ تناقضٍ؛ إذ حاصله أنَّ الإله مصدوقُه جائزُ التعدُّد عقلًا، والإله واجبُ الإنفراد في واحدٍ عقلًا، وهذا تناقضٌ واضحٌ لا خفاء فيه.

السادس: وهو مبنيٌّ علىٰ ما قبله، أنَّ جواز تعدُّد الإله ثابتٌ وقيام الدليل القاطع علىٰ وجوب تفرُّد الله بالألوهيَّة لا يمنع منه؛ لأن جواز التعدُّد مفهومٌ ذاتيٌّ، وما بالذَّات لا يتخلَّف، وفي هذا من الخطر ما لا يخفىٰ بل هو هدم للتوحيد.

السابع: أنَّ زيادة لفظ: «بحقٍّ» في معنىٰ الإله لا أصلَ لها في اللغة ولا علاقة للعقل بها؛ فالإله هو المعبود وكونه معبودًا بحقٍّ حكمٌ شرعيٌّ والحكم لا يدخل في الحدِّ. قال صاحب "السُّلَّم":

وعندهُمْ مِنْ جُملةِ المَرْدودِ ... أنْ تدخلَ الأحكامُ في الحُدودِ

الثامن: قوله أيضًا: «تفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المفتقر إليه كلُّ ما عداه لا يمنع كونه كليًّا؛ إذ لا يوجب تشخيصه؛ لأنه بهذا المعنىٰ يحتمل أن يصدق علىٰ كثير علىٰ سبيل البدليَّة».اهـ

إغراقٌ في الخطأ وتشبُّثٌ به إلىٰ حدِّ التزمُّت حتىٰ أنه لم يفرِّق بين ما يُعيِّن المسمَّىٰ ويُخصِّصه وبين ما ليس كذلك، ومن البدهيات في علم المنطق أنَّ التشخُّص في الجزئي يمنع الاشتراك فيه فـ«إنسان» كليٌّ يقبل الاشتراك، و«زيد» جزؤه لا يقبل الشركة لتشخُّصه وتعيُّنه.

فلو فرضنا أنَّ الإله بمعنىٰ المعبود كليٌّ كما قال فإنَّ تفسيره بالمستغني عن

كلِّ ما سواه المُفتقِر إليه كلُّ ما عداه تخصيص له بما لا يشاركه فيه غيره من المعبودات، فهو بمنزلة التشخُّص في «زيد»؛ ذلك أنَّ المعبوداتِ بجميعِ أنواعها من ملائكةٍ وإنسٍ وجنٍّ وحيوانٍ وأصنامٍ؛ لا يُجيز العقل في شيءٍ منها أن يكون مستغنيًا عن كلِّ ما سواه مفتقرًا إليه كلُّ ما عداه؛ لأنها ممكنةٌ والممكن لا يستغني عن المحلِّ والمُخصِّص.

التاسع: قوله: «إذ لا يوجب تشخصه» والصواب أن يقول: إذ لا يوجب تعينه؛ لأن التشخص لا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه وتعالى.

يرد في هذا المقال ثلاثة إيرادات نذكرها مع الجواب عنها:

الأول: دعوى أن المحال ليس بكليٍّ يخالفُ ما أطبق عليه أهل المنطق من اعتبار شريك الباري كليًّا وكذا الإله وأن لم يذكره بعضهم تأدبًا كما مر، وتعريفُ المحال يقتضي كلِّيتَه أيضًا.

والجواب: مسائلُ المنطق يُعمَل فيها بما يقضي به العقلُ والفكر السليم لا بالإجماع أو قولِ الأكثر، والمنطق الحديث أبطل نظريَّاتٍ أطبق عليها القدماءُ في المنطق القديم.

ومما لا يخفى على دارس أنَّ الكلِّياتِ مبادئ التصوُّرات التي هي حدودٌ ورسومٌ لماهيَّاتِ الموجودات الممكنة، فالحدود والرُّسوم تتركب من أجناسٍ وفصولٍ وخواصٍّ كما هو معلوم.

والموجوداتُ نوعان: موجوداتٌ بالفعل كالإنسان والشمس، وموجودات بالقوَّة كنهر لبنٍ وبحر زئبقٍ وجبل ياقوتٍ، فإنَّ هذه الأشياء ممكنة الوجود وإمكان الشيء كوقوعه فهي موجودة بالقوة.

والكلِّيات التي تدخل في التعريف تقع على أشياء موجودة في الذهن أو الخارج أو فيهما، والمحال لا يتصور في العقل وجوده ويسميه الحكماء منفيًّا وحكى شارحُ "العقيدة الطَّحاوية" إجماعَ العقلاء على أن المحال ليس بشيء والخلاف الذي حكاه صاحب "جمع الجوامع" بقوله: «فعلى الأصحِّ المعدومُ ليس بشيءٍ ولا ذاتٍ ولا ثابتٍ» إنَّما هو في المعدوم الممكن كما قيَّده به شارحه الجلال المحلِّي فثبت أنَّ المحال لا يكون كليًّا والعقل لا يمكنه أن يتصور شخصًا قائما قاعدًا ولا ثوباً أبيضَ أسودَ، وبالضرورة لا يمكن تصور أفرادٍ لما لا يمكن تصوره في نفسه.

الثاني: قال الشيخ سعيد قدوره في بيان أفراد الكلِّي الممتنع: «فإنَّ الجمع بين البياضِ والسوادِ جمعٌ بين الضِّدين، والجمع بين القيام والقعود جمع بين الضدين، والجمع بين الترقِّي والتدلِّي جمع بين الضِّدين، فتبيَّن أنَّ الجمع بين الضِّدين واقعٌ على كثيرين وأفراده كلُّها ممتنعةُ الوجود في الخارج».اهـ

وهذا الكلام يشتمل على أوهام:

١- أنَّ الجمع بين الضِّدين مثالٌ لمحاولة فِعل المحال الذي هو اجتماع الضِّدين.

٢- أنَّ أفراد الكلِّي ما يتحقَّق فيها مفهومُه كالإنسان يتحقَّق في جزئيَّاته مفهومه الذي هو حيوان ناطق، وهذا إنَّما يتأتَّى في الماهيَّات الممكنة التي يتمايز أفرادُها بالتَّشخيص وغيرِه في الوجود الذِّهنيِّ أو الخارجيِّ.

وماهيَّة المحال عدمٌ بحتٌ لا تَقبَل الوجودَ في الخارج ولا في الذِّهن، والعدم لا تمايز فيه بين المُعدَمات.

٣- أنَّ الكلِّي إنَّما يطلق على شيءٍ موجود بالفعل أو بالقوَّة والمحال ليس بشيءٍ كما مرَّ بيانُه.

٤- أنَّ تعدُّد الأفراد في الأمثلة التي ذكرها الشيخ سعيد إنَّما هي أمثلة لمتعلق المحال أعني: الضِّدين فإنَّه لفظ عامٌ يشمل الأبيض والأسود والقيامَ والقُعود وغير ذلك من الأضداد الموجودة.

فالتعدُّد واقعٌ فيها، والتَّرقي والتدلِّي، والليل والنهار، والحياة والموت، لا في المحال الذي هو اجتماعها وهو المحكوم بنفيه وقد اشتبه الأمر على الشيخ سعيد رحمه الله تعالى، يوضح ذلك أنَّ المحالَ الذي لا يتعلَّق بضدَّين مثلًا كشريك الباري لا يُتصوَّر له أفراد أبدًا.

الثالث: من الإيرادات، دخول النَّفي العامُّ على «إله» في قولنا: «لا إله إلَّا الله» يؤيِّد القول بكلِّيته، لأنَّه لا يجوز أن يقال: لازيدَ في الدار وإنما يقال: لا إنسانَ في الدار.

والجواب: أنَّ النَّفي توجَّه باعتبار الإطلاق المجازيِّ أي: لا معبودَ إلا الله، وهذا كما يقال: لا حاتمَ إلا فلانٌ، أي: لا كريمَ، أو لاقُسَّ إلا فلانٌ، أي: لا فصيحَ، وهكذا.

فإله في الكلمة المشرَّفة كلِّيٌّ في المعنى المجازيِّ كما أنَّ لفظ حاتم كلِّيٌّ لاستعماله في الكريم مجازًا، مع أنَّه في الحقيقة علمٌ شخصيٌّ وكذلك قُسٌّ كلِّيٌّ لاستعماله في الفصيح مجازًا وهو في الحقيقة علمٌ شخصيٌّ لقُسِّ بنِ ساعدة.

الرابع: اختار السنوسيُّ أنَّ معنى «إله» في كلمة التوحيد لا مستغنيًا عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله، فهو على هذا كلِّيٌّ.

والجواب: أنَّ اختيار السنوسيِّ لهذا المعنىٰ هو الذي غرَّ البُنانيَّ وأوقعه في ذلك الخطأ الذي مرَّ بيانُه، والسنوسيُّ إنَّما اختاره ليدَّعي أنَّ كلمة التوحيد شاملةٌ للصِّفاتِ الواجبة لله تعالىٰ لكنَّ اختيارَه غيرُ صحيحٍ لأمور:

أحدها: أنَّه تكلَّف في إدخال تلك الصِّفات بها لا دليل عليه ولا حاجة تدعوإليه.

ثانيها: أنَّ الإله لم يستعملْه العرب إلا بمعنىٰ المعبود، كذلك جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٦]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١].

فالإله في هذه الآياتِ وغيرها مفردًا ومثنىٰ ومجموعًا معناه: المعبود، ونفي المعبودات في الكلمة المشرفة يكفي في إثبات التَّوحيد ونبْذِ الشرك ولذلك جعلها الشارع دليلًا علىٰ الإسلام وعنوانًا له لأنَّه يلزم بالضَّرورة من نفي المعبودات نفيُ لخصائص الألوهيَّة عنها وهي منتفية بضرورة العقل والمشاهدة كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

فلا حاجة إلىٰ ما تكلفه السنوسي وغيره في شرح الكلمة المشرفة.

وهذا آخر ما رأيت كتابته في هذا الموضوع الذي لم يتنبه له أحد فيما

علمت، والحمد لله على توفيقه وإلهامه، وأسأله القبول بفضله.

والدَّاعي إلى تحرير هذا البحث: أني درست للطلبة بزاويتنا الصديقية شرح بناني على السلم، ولما وصلت إلى هذا الموضوع، وبينت لهم خطأ ما قرره بناني كغيره من المنطقيين، طلب مني بعضهم كتابة ذلك البحث، فأجبت طلبهم، لما فيه من عموم الفائدة، وكان أنس رضى الله عنه يقول لبنيه: يا بني قيدوا العلم بالكتابة.

أما مسألة تعلق القدرة بالمحال، فلي فيها رسالة اسمها: "رفع الإشكال عن مسألة المحال" أتيت فيها بما لم يسبقني إليه أحد والحمد لله.

تتمة: علم مما حرَّرناه: أنَّ الكليَّ والجزئيَّ لا يكونان إلا ممكنين، أما واجب الوجود والمحال، فلا شيء منهما يكون كليًّا لما مرَّ بيانه بتفصيل.

فصل: تآليف لم تكمل

١- تفسير القرآن الكريم بالأحاديث المرفوعة الثابتة، وصلت فيه إلى (سورة هود).

٢- الأحاديث الشاذَّة التي يصير الحديث الصحيح به ضعيفًا تم وطبع.

٣- إرشاد الأنام إلى ما يتلى من الصلوات والأدعية في الأيام.

٤- كنت بدأت أسماء الرجال الذين يقول عنهم الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد": «لم أعرفه»، أو «لم أجد له ترجمة».

فصل: مؤلفات ضاعت

١- كتبت في السجن الجزء الثاني من "خواطر دينية".

٢- وكتاب "أولياء وكرامات"، أبطلت فيه كثيرًا من الكرامات المكذوبة وغير المعقولة، مثل ما يقال: أن يد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خرجت من القبر الشريف للرفاعي فقبَّلها والناس ينظرون.

٣- وكتاب "أفضل مقول في مناقب أفضل رسول".

بعثت بهذه الكتب إلى صاحب «مكتبة القاهرة» ليقوم بطبعها، فأمهل، ثم مرض مرضًا أنساه أشياء كثيرة، ولما سألناه عنها لم يتذكر أين وضعها وكلفنا ابنه أن يبحث عنها في مخزن الكتب فلم يجدها، والأمر لله.

فصل: مؤلفات لم أسبق إليها

قال المقري في "أزهار الرياض": «رأيت بخط بعض الأكابر ما نصه: المقصود من التأليف سبعة: شيء لم يسبق إليه فيؤلف، أو شيء ألف ناقصًا فيكمل، أو خطأ فيصحح، أو مشكل فيشرح، أو مطول فيختصر، أو مفترق فيجمع، أو منثور فيرتب».اهـ

ومما لم أسبق إليه بفضل الله، الكتب الآتية:

١- "أمنية المتمنِّي في تحريم التبني": لأنه شاع في المغرب -خصوصًا طنجة- تبني الأطفال الذين يؤخذون من ملجأ أو مستشفى، ومع ذلك لم ينبه عليه أحد حتى سئلت عنه فكتبت هذا الجزء، ثم وصلتني رسالة في الموضوع أيضًا لصديقنا السيد محمد حسين الجلالي، فوجدته يوافقني في التحريم.

٢- "بدع التفاسير": أنشأت به علمًا لم يسبقني إليه أحد، وهو علم يعرف به التفاسير المبتدعة، وهو علمٌ مهمٌّ من علوم القرآن.

٣- "تمام المِنَّة ببيان الخِصال الموجبة للجنَّة": ثبت في "صحيح البخاري" عن ابن عمرو، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أربعون خَصْلَةً أعْلاهنَّ مَنيحَةُ العَنْزِ لا يَعْمَلُ عَبْدٌ بخَصْلَةٍ مِنها رَجَاءَ ثَوَابِها وتَصْدِيقَ مَوْعُودِها إلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ تعالى بها الجَنَّةَ**».

لم أجد أحدًا من شرَّاح الصحيح بيَّنها باستيفاء، وغاية ما ذكروا منها خمس عشرة خصلة، فبينتها في هذا الجزء وضممت إليها ما في معناها.

٤- "التوقِّي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الإله": وهو في الحقيقة ردٌّ على أهل المنطق جميعًا، وإنما خصَّصت البناني لأني كنت أدرس شرحه على

"السلم" بزاويتنا الصِّدِّيقية، وخطؤه أنه مثل بالإله للكلِّي الذي وجد منه فرد، وامتنع غيره، وبينت في هذا الجزء، أن الإله عام خاص بالله، وليس بكليٍّ.

٥- "ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة": بينت فيه خطأ الأصوليين الذين جوَّزوا نسخ تلاوة آيات من القرآن.

٦- "حسن التفهُّم والدرك لمسألة الترك": بينت فيه خطأ من يستدل على حرمة شيء أو كراهته، بترك النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم له.

٧- "رفع الإشكال عن مسألة المحال": شرحت فيه مسألة تعلق القدرة بالمحال بطريقة لم أسبق إليها، والحمد لله[1].

٨- "إعلام الراكع الساجد بمعني اتخاذ القبور مساجد": تكلمت فيه على حديث: «**لعنَ اللهُ اليهودَ اتخذُوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ**»، وأوردت عليه إشكالًا ما سبقني إليه أحد.

---

(١) وهذه إحدى ثلاث مسائل استغلقت عليَّ ثم فهمتها بإلهام من الله تعالى. قرأت في كتب الكلام مسألة تعلق القدرة بالمحال، والخلاف فيها بين الأشعرية والمعتزلة، وابن حزم، واستغلق عليَّ فهمها فتركتها مدة، وفي بعض الأيام كنت مسافرًا لتطوان وأثناء الطريق خطرت هذه المسألة فجأة على بالي مع حلها، فكتبت "رفع الإشكال".
المسألة الثانية: سُئلت ببلدة أويش الحجر عن السر في أن القرآن ذكر قصة يوسف كاملة في سورة واحدة ولم يكررها ولا جزَّأها؟ فلم يفتح عليَّ بجواب، وراجعت كتب التفسير فلم تتعرض لهذا الموضوع، فتركتها وبعد شهور بينما أنا راجع إلى بيتي سمعت قارئًا يقرأ في الإذاعة قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧] فألهمت جواب السائل المذكور وبينته في كتاب "كمالا لإيمان".

٩- "كيف تشكر النعم"، لم أسبق إليه أيضًا.

ومعظم مؤلفاتي، لا تخلو من بحوث فيها ابتكرتها بما علمنيه الله وألهمني إياه.

ففي "الرد المحكم المتين" بيَّنت أنَّ ترك الشيء لا يدل على منعه ولا كراهته ثم بعد مدة وجدته في "سنن المهتدين" للمواق، منقولًا عن أبي سعيد بن لب.

وفي "فضائل النبي في القرآن" أشياء ابتكرتها، منها الجواب عن الإشكال في التشبيه في الصلاة الإبراهيمية، حتى إن بعض معاصري العارف الشعراني زعم أن ذلك التشبيه يقتضي أفضلية إبراهيم، وهو خطأ.

وفي "واضح البرهان" بينت أن دلالة الاقتران نوعان؛ نوع ليس بحُجَّةٍ ونوعٌ هو حُجَّةٌ باتفاقٍ.

وفي كتاب "الإحسان" نبَّهت على أغلاط وقعت في "الإتقان" بعضها قبيحٌ، ولم يُنبِّه عليها غيري، وأرى السيوطيُّ تساهل فيها، سامحه الله.

وفي "الصبح السافر" نبَّهت على أشياء لم أسبق إليها.

وكتاب "جواهر البيان" مع أني كتبته في السجن ولم يكن لديَّ مراجع، وقع موقع القبول من أهل العلم والحمد لله.

فقد ذكره الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم في كتابه: "الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره"، ونقل نماذج منه مثنيًا عليها، ثم قال: «وبعد فإن هذا الكتاب قد خدم القرآن كثيرًا، وخرج إلينا في أحسن صورة، خاصة وأن هذا النوع من المناسبات عسير المنال، اللهم إلا عند الخواص، وكم من الناس يتيسر له هذا؟ فجزاه الله عن المسلمين خيرًا».

وقال أيضًا: «فإنه قد جمع القديم وصاغه في أسلوب يناسب العصر الحاضر، فوق ما فيه من ابتكارات ستظهر بحول الله في عرض الأمثلة».

(ص١٧٣-١٧٧) من كتاب "الإعجاز البياني"، طبع بمصر سنة (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

وهذا حال أغلب مؤلَّفاتي والحمد لله.

وكتاب "الرد المحكم المتين" صوبت فيه خطأ الشيخ محمد مخيمر ومن على شاكلته، وقد وقع عليه الطلب وطبع ثلاث مرات ولا زال مطلوبًا.

أما "الحاوي" فقد جمع فيه تلميذي الفاضل الحاج إبراهيم أحمد شحاتة، ما كتبته من الفتاوى بـ"مجلة الشرق العربي"، وضم إليها تلميذي الفاضل الأستاذ محمود سعيد ما أفتيت به في "مجلة الإسلام"، ولي فتاوى أخرى ستطبع بحول الله تعالى.

والكتابة تتعبني كثيرًا، ولا أجد من يساعدني فيها ولولا ذلك لكتبت أضعاف ما كتبته من المؤلفات، والحمد لله على فضله وإحسانه.

فصل

في ذكر بعض ما حررته من الفوائد ومنها ما لم أسبق إليها

- منها أني فرقت بين دلالة الاقتران، التي اشتهر بين العلماء أنها ليست بحُجَّةٍ، وجعلتها نوعين:

نوع ليس بحُجَّةٍ باتفاقٍ وهو أن تقترن أفعال متعاطفة أو تكون داخلة تحت أمر عام أو بالواو أيضًا مثل «**خمس من الفطرة...**» الحديث. فلا يدل ذكر الختان فيها على أن غيره واجب كالختان ولا يدل ذكر السواك فيها على أن غيره ليس بواجب كالختان، فهذه الدلالة ضعيفة باتفاق.

النوع الآخر: أن يقترن أمران في نهي، نحو نهي عن كلِّ مُسكِرٍ ومفتر، فهذه الدلالة حُجَّةٌ في تحريم المفتر مثل الخمر لأنهما اندرجا تحت نهي يخصهما، وانظر توضيح هذه الفائدة في آخر كتابي "واضح البرهان".

- ومنها أنني بينت ما ينسخ من الأحكام وما لا ينسخ منها فقلت: الذي ينسخ من الأحكام هو الواجب والحرام والمباح وأن المندوب لا ينسخ، ورددت على بعض المالكية الذي زعم أن الركعتين بعد آذان المغرب وقبل الصلاة كانت مشروعة ثم نسخت، فبينت أن هذا القول غلط لأنه فضيلة والفضائل لا تنسخ، والمكروه أيضًا لا ينسخ لأنه تابع المندوب.

- ومنها أنني ذكرت أن الشيء قد يحرم ويباح مرتين وأكثر، مثل نكاح المتعة، قد نسخ تحريمه مرتين أو ثلاثة ثم نسخت إباحته إلى الأبد، أما الواجب فإنه إذا نسخ لا يعود واجبا أبدًا، وهذا لم يقله أحد قبلي، وهاتان الفائدتان مذكورتان في كتابي "الصبح السافر في تحرير صلاة المسافر".

- ومنها أن ابن حزمٍ أكثر في كتابه "المحلَّى" من إلزام خصومه بالقياس، مع أنه لا يقول به، وتبعه مقلِّدوه في المغرب، فقرَّرت أنَّ المعلوم عند علماء الجدل أنَّ العالم لا يلزم خصمه في المناظرة إلا بما يعتقده ويذهب إليه، ولا يجوز أن يلزمه بما لا يذهب إليه؛ لأن الغرض من المناظرة عند علماء الجدل الوصول إلى الحقِّ من أحد الطرفين، وليس الغرض الإلزام للمخاصم فقط وهذه الفائدة نبَّهتُ عليها في "الرأي القويم".

- ومنها أنني نبَّهت على أنَّ نسخ التلاوة الذي أجمع عليه الأصوليون ليس بجائزٍ، بل هو مستحيلٌ عقلًا، وكتبتُ فيه رسالة "ذوق الحلاوة" وهي مطبوعة، وقد خالفني في رأيي هذا بعض العلماء تقليدًا لما عرف عند الأصوليين، وإني مستعد لموافقتهم بشروط:

١- أن يثبتوا أن تلك الآيات ثبتت قرآنيتها بالتواتر وهذا غير موجودٍ قطعًا.

٢- أن يُبيِّنوا الحِكْمة من نسخ التلاوة بعد وجودها في القرآن.

٣- أن يجيبوا عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وأجبت عن بعض الأسئلة الحديثية بما يأتي:

«وزيادات عبدالله بن أحمد في "المسند" ننسبها له لأنه يرويها عن غير أبيه وكذلك روايات القطيعي، ولم يكن ابن تيمية يفضل "المسند" على الصحيحين من جهة الصحة ولكن من جهة الجمع والكثرة مع اعترافه بأن في "المسند" أحاديث ضعيفة».

- «والعلامة قاسم بن قطلوبغا لم يبلغ درجة الحافظ، وإن كان محدِّثًا ناقدًا

وليس كلُّ محدِّثٍ حافظًا».

- «ما تفرَّد به حماد بن شاكر يعزىٰ إلىٰ البخاري مقيدًا برواية حماد بن شاكر لا مطلقًا».

- «"مسند أحمد" كتاب عظيم، وفيه أحاديث ضعيفة رواها أحمد نفسه وسبب ذلك فيه أنه روىٰ عن رجال يرىٰ توثيقهم وضعَّفهم الجمهور، أو أنه كان يرىٰ العمل بالضعيف إذا لم يجد غيره، ويراه خيرًا من رأي الرجال، وهذا رأي تلميذه أبي داود أيضًا».

- «والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين سئل عن صوم يوم الاثنين قال: «**ذاك يوم وُلِدتُ فيه**»، فلمَّح إلىٰ الاحتفال به لكونه وُلد فيه، وصام يوم عاشوراء وأمر بصيامه احتفالًا بنجاة موسىٰ، والله تعالىٰ شرع لنا العقيقة فرحًا بوجود الولد، أنفرح بوجود مولود ونذبح عنه ولا نفرح بوجود النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟!.

وعدم الاحتفال به في عهد السلف لا يدل علىٰ منعه وإنما يدل علىٰ جواز تركه، وهذه قاعدة أصولية لا يعرفها كثيرٌ من الناس، وهي داخلةٌ في العبادات أيضًا، ودليلها عدة أحاديث مذكورةٌ في كتابي "إتقان الصِّنعة" والذي سألك لم يتنبَّه لها، لأنه متشبع بفكرة كل ما لم يحدث في عهد السلف فهو بدعةٌ لا تجوز، ولو جرَّد نفسه من هذه الفكرة لانتفع بقراءة "إتقان الصِّنعة" واستفاد منه ولكن التقليد يمنع من ذلك».

- «وقول العلامة المقري التلمساني: «والأحاديث المسندة في "الشفا" جميعها ستون» صحيح».

- وحول إنكار العمل بالضعيف في الفضائل أجبت:

«وإنكار العمل بالضعيف في الفضائل سبق إليه ابن العربي المعافري، وقلَّده القنوجي في "نزل الأبرار" ثُمَّ جاء الألبانيُّ في مؤخِّرة القطار يُردِّد الصدَىٰ، ولم يعلم أنَّ أحد الحفَّاظ الكبار -ولعله ابن الملقِّن- ألَّف كتابًا اسمه "المعيار"، ذكر فيه الأحاديث الضعيفة التي عمل الأئمَّة الأربعة بها في الأحكام مجتمعين أو منفردين ورتبه علىٰ الأبواب الفقهية، وأنَّ المحدِّثين الذين اتفقوا علىٰ العمل بالحديث الضعيف في الفضائل اتبعوا الشارع فيما فعل، فإن الشارع تسامح في الفضائل ما لم يتسامح في الفرائض.

خذ مثلًا: صلاة النفل تصح من قعودٍ مع القُدرة علىٰ القيام، وتصح ركعة منها بالقعود وركعة بالقيام، ولا يصح ذلك في الفرض ابتداءًا، وكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في سفره لا يُصلِّي الفريضة إلَّا علىٰ الأرض فإذا ركب الراحلة وجهها إلىٰ القبلة ثم كبَّر لصلاة النافلة وتركها تمشي حيث شاءت لا يردها إلىٰ القبلة، وصوم التطوع يصح بنية من النهار ما لم يطعم، ومن أصبح صائمًا ثم ظهر له أن يفطر فلا إثم عليه».

- «والمقرَّر عند القرَّاء كما قال ابن الجزري: أنَّ القراءة التي يصح اعتمادها والقراءة بها لها شروط ثلاثة:

١ - أن يصح سندها.

٢- أن تصح بوجهٍ من الوجوه في النحو.

٣- أن توافق رسم مصحف الإمام.

فإذا اختلَّ شرطٌ من هذه الشروط كانت القراءة شاذَّة لا تجوز، وقراءة ترك

البسملة مخالفة لرسم المصحف الإمام التي فيه البسملة مكتوبة في كل سورة عدا التوبة فترك قراءتها شذوذ غير مقبول».

- وسئلت عن قول ابن تيمية وابن القيم: «إنَّ الحسن عند الترمذيِّ ضعيفٌ عند أحمد».

فقلت: «ليس ذلك بقاعدة منصوص عليها في المصطلح، وإنما أخذاه من أن المتقدِّمين قسموا الحديث إلى صحيح وضعيف، وأن الترمذي أول من قسم إلى صحيح وحسن وضعيف فاستنبطا من هذا أن الحسن عند الترمذي ضعيف عند أحمد.

وهذا خطأ من وجهين:

١ - أن الحسن جاء في كلام علي بن المديني وأحمد نفسه وبعض القدماء.

٢ - أنَّ الترمذيَّ حسَّن أحاديث في "صحيح مسلم" أو "البخاري".

وأيضًا فإن تعريف الحسن عند الترمذيِّ يخالف تعريف الضعيف عند الجمهور، نعم قد يكون حديث حسن عند الترمذيِّ ضعيفًا عند أحمد، لكن ليس دائما ولا مطردًا».

-وسئلت: لماذا لم يرو البخاريُّ للشافعيِّ؟:

فأجبت بالآتي: «لسببين غير علوِّ السند:

أنَّ الشافعيَّ كثيرًا ما يقول: أخبرنا الثقة أو أخبرني من لا أتهم.

أنَّ الرِّجال الذين روى لهم الشافعي فيهم ضعفاء ومجاهيل، والشافعي نفسه ينبِّه على بعضهم.

وسبب ثالث وهو أنَّ الشافعيَّ لم يكن واسع الراوية، والأحاديث التي

رواها صحيحة قليلة، معظمها ليس على شرط البخاريِّ، والذي منها على شرطه هي عند البخاريِّ بطريقٍ أعلى.

وقد نقل البخاريُّ عن الشافعيِّ مرتين في صحيحه، مرة في كتاب الزكاة تحت عنوان: باب في الركاز الخمس، ومرة في كتاب البيوع تحت عنوان: باب تفسير العرايا»

- وسئلت عن تسوية بعضهم بين "الموطأ" والصحيحين، فقلت: «الأحاديث الموصولة في "الموطأ" ليست كلها على شرط البخاري منها حديث البحر: **هو الطهورُ ماؤه الحلُّ ميتتهُ**».

- ومنها لفظ «الإله» اتفق المناطقة على أنه كلي وجد منه فرد واحد وهو الله تعالى، واستحال وجود غيره فبينت أن هذا خطأ وأن «الإله» علم خاص بالله تعالى وأن الكلية تدخلت فيه من معناه المجازي لأن العرب استعملته مجازًا في آلهتهم وظن المناطقة غلطًا أنه كلي فأخطأوا، ونظير هذا أن حاتمًا علم على شخص معين ثم استعمل في كل كريم مجازًا، فليس جعله في الكريم مجازًا يجعل العلم الخاص كليًا. وبينت ذلك في رسالتي: "التوقي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الإله".

- ومنها أنه شاع في كتب الأصول والبلاغة والمنطق أن الخبر: ما احتمل الصدق والكذب لذاته وقد يكون صادقًا كخبر الله ورسوله، وقد يكون كاذبًا كقولنا الواحد نصف العشرة. لكنه نظرًا لذاته بصرف النظر عن كونه قرآنًا أو غير قرآن يحتمل الصدق والكذب لذاته.

ورأيت القرافي عرف الخبر بهذا التعريف واعترضه العلامة ابن الشاط بأن

خبر الله ورسوله لا يجوز أن يحتمل الكذب واختار أن يعرفه بقوله: الخبر ما أفاد الصدق أو الكذب، فالخبر الصادق كخبر الله ورسوله لا يحتمل الكذب وخبر الكاذب كخبر مسيلمة لا يحتمل الصدق أبدًا وقد وجدت هذا التعريف صحيحا وبينته في آخر "ذوق الحلاوة" بما زاده توضيحًا.

- ومنها حل إشكال التشبيه الواقع في الصلاة الإبراهيمية التي تقال في التشهد في الصلاة، فقد عمي حله على كثير من الناس، حتى زعم بعضهم أن هذا التشبيه يفيد أفضلية إبراهيم على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو غلط واضح وهذا الإشكال حله سهل وهو أن التشبيه في علم البيان يأتي لأحد معنيين:

١- إلحاق فاضل بأفضل نحو أبو يوسف كأبي حنيفة، أو زيد كالبدر.

٢- إلحاق متأخر بمتقدم من غير نظر إلى ما بينهما من فوارق مثل قول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٥]

فالآية ألحقت استخلاف المسلمين باستخلاف اليهود مع أن استخلاف المسلمين أعم وأكثر من استخلاف اليهود.

فكذلك الصلاة الإبراهيمية شبهت فيها الصلاة على النبي باعتباره متأخرًا بالصلاة على إبراهيم المتقدم من غير نظر إلى ما بينهما من المزايا والفضائل.

- واستدركت على الحفاظ صحابيًّا اسمه الحارث بن سعيد، لم يذكره الحافظ ولا ابن عبدالبر ولا ابن الأثير، وحديثه في "المستدرك"، كما استدركت على الحافظ ابن حجرٍ صحابيًّا من الجن لم يذكره في "الإصابة".

- ومنها أن قراءة ورش التي يقرأ بها أهل المغرب فيها روايتان رواية بقراءة البسملة في كل سورة، ورواية بترك قراءتها، والحافظ السيوطي ذكر في "الإتقان" أن كلتا الروايتين متواترتان في قراءة البسملة وتركها، وهذا خطأ لأنه لا يجوز أن يتواتر الشيء وضده، والصواب الذي ذهبت إليه ولم أره لأحد غيري أن قراءة ترك البسملة شاذة لأنها تخالف رسم المصحف الإمام.

- ومنها أنني أصنف الآن بحول الله تعالى جزءًا في الأحاديث الشاذة التي لا يعمل بها، وبيان سبب ذلك: قال الحافظ عند الكلام على الحديث الشاذ: «هذا أدق من المعلل بكثير، فلا يتمكن من الحكم به إلا من مارس الفن غاية الممارسة، وكان في الذروة من الفهم الثاقب ورسوخ القدم في الصناعة»، وعقب عليه السيوطي في التدريب فقال: «ولعسره لم يفرده أحد بالتصنيف».

فصل: ثناء العلماء عليَّ

١- منهم والدي الإمام القدوة رحمه الله ورضي الله عنه أثنى عليَّ كثيرًا كما سبق، وسأله بعض الإخوان عني فقال: «هو تحفة».

٢- ومنهم أخي أبو الفيض، أثنى عليَّ كثيرا في مناسبات مختلفة، وفي إجازته لي.

٣- ومنهم شيخي العلامة المحقِّق الشيخ عباس بناني، كان يثني عليَّ ويقدرني، وقال مرة عني لشيخ الجماعة مولاي عبدالله الفضيلي: «ليس عندك في القرويين مثله».

٤- ومنهم العلامة الشيخ سلامة العزامي رحمه الله كان يثني عليَّ في غيبتي وإذا التقينا، ونقل عني في كتاب "فرقان القرآن" الذي قدم به لكتاب "الأسماء

والصفات" وفي كتاب "البراهين الساطعة".

٥- ومنهم العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري، كان يثني علي، وقرظ كتابي "إقامة البرهان"، في مقالة بـ"مجلة الإسلام" قبل أن يراه، لوثوقه بعلمي(١)، وأخبرني أن علماء الهند طلبوا الإذن بترجمة "إقامة البرهان" إلى اللغة الأردية -لغة الهند- وأنه أذن لهم نيابة عني، وقد ترجم وطبع.

٦- ومنهم الشيخ محمود شويل إمام المسجد النبوي، كتب إليّ يقول: «كنت أظن أن الحديث انقرض في مصر بعد الشيخ رشيد رضا والشيخ أحمد شاكر، فلما تتبعت مقالاتك بـ"مجلة الإسلام" علمت أن الحديث لم ينقرض فأنت ثالث الشيخين في نظري».

٧- ومنهم العلامة الشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبي، وكان يقول عني: نابغة.

٨- ومنهم العلامة الشيخ يس الشيشيني إمام وخطيب مسجد الإسماعيلي بالقاهرة، رغب أن يقرظ كتاب "الحجج البينات"، فقرظه وأنشأ قصيدة مدحني فيها كثيرًا.

وما طلبت من أحد أن يقرظ لي مؤلفًا من مؤلفاتي، حتى إني لما كتبت "نهاية الآمال" وبعثته مطبوعًا إلى أخي أبي الفيض وأثنى عليه، عتب علي إذ لم أبعثه إليه قبل طبعه ليقرِّظه.

---

(١) غير أن ذلك المقال لم ينشر في "مقالات الكوثري" لأن أحمد خيري الذي أشرف على جمع المقالات كان يحقد عليّ وعلى أخي أبي الفيض حقدًا شديدًا، فلذلك حذف ذلك المقال من مقالات الكوثري، سامحه الله.

٩- ومنهم الشيخ محمد الحافظ التجاني، كان يثني عليَّ كثيرًا، ويلقبني: كنز السُّنَّة -رحمه الله- وهو لم يتخرَّج من الأزهر، لكنه كان ذكيًّا نبيهًا، واشتغل بالحديث حين تعرف بنا، وله بحوث طيبة، ولم يكن متطرِّفًا على عادة التجانيين، وكان واسع الصدر حليمًا لا يغضب أبدًا، وهذا خلقٌ ما رأيته في غيره.

١٠- ومنهم العلامة الشيخ عبدالغني عوض كان يثني عليَّ ويصفني بالتحقيق.

١١- ومنهم الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله أثنى عليَّ عند أخي السيد إبراهيم وقال إنني ساعدته في كتاب "التفسير والمفسرون" من الناحية الحديثية.

١٢- وكان الأستاذ البهي الخولي يقول عني: السيد عبدالله علمه حاضر، إذا سألته أجاب، والعالم المصري إذا سألته، يقول: «حتى أراجع».

١٣- ولما اطلع صديقنا الشيخ أحمد مرسي على جزء "حسن التفهم والدرك" قال لجليسة: «كنت أقول عن السيد عبدالله أنه تيمم بالنسبة لأخيه السيد أحمد، على سبيل المزاح، والآن أقول على سبيل الحقيقة: أن السيد عبدالله أعلم أهل الأرض، وأن السيد أحمد لا يقدر على تأليف هذا الكتاب». وهذه مبالغة بلا شك.

ومن احتياج العلماء إليَّ أنني حين زرت المدينة المنورة في أحد المرات، ذهبت إلى الشيخ الفاضل حمَّاد الأنصاري في بيته، فقال لي: «كلمة أشكلت عليّ في حديث لم أهتدِ لحلها»، قلت: «ما هي؟» قال: «في حديث ابن عبَّاسٍ أن

النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كأنِّي بنساءِ بني فِهْر يطُفنَ بالخَزرجِ**»، قال حمَّاد: «لم أفهم معنىٰ: الخزرج، فرجعت إلىٰ "المسند" الذي حققه الشيخ أحمد شاكر فوجدته يقول: كذا بالأصل. ورجعت إلىٰ "مجمع الزوائد" فوجدت فيه كلمة الخزرج كما هي، ولم أعرف معناها».

قلت: «هذا تصحيف والصواب: بالحزورة، كان سوقًا بمكة»، فقال: «هذا هو الصواب».

وهذا الشيخ تربطني به علاقة طيبة وكلما زرت المدينة يحتفل بي ويقابلني مقابلة جيدة ويساعدني في الحصول علىٰ بعض المخطوطات في الجامعة الإسلامية.

إلا أنه رد علي مرة في "مجلة الجامعة الإسلامية" في مسألة التوسل، ولما وجدت رده ضعيفًا لم أشأ أن أشغل نفسي بالرد عليه، وهو قد أخطأ في رده هذا خطأ حديثيًّا لا يعرفه.

١٤- ولما اطلع العلامة الشيخ محمد نور سيف المكي رحمه الله تعالىٰ علىٰ كتابي "إعلام النبيل بجواز التقبيل" سُرَّ به وأثنىٰ عليه كثيرًا ونسخ لنفسه نسخة بخطه ونظم في مدح هذا الجزء أبياتًا رحمه الله وأكرم مثواه وبارك في أنجاله.

ولم أذكر كثيرًا من العلماء الذين أثنوا علي وسألوني عن مسائل في الحديث، مثل العلامة الشيخ يوسف الدجوي عضو هيئة كبار العلماء، والعلامة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر، رحم الله الجميع.

فصل: ذكر بعض المبشِّرات

١- رأىٰ الأستاذ الفاضل الحاج عبدالسلام بوعياد مبشرة حاصلها كما قال: «رأيت مولاي أحمد بن الصديق عليه حلة رائعة وهو يتحدَّث مع والدي -يعني والده الفقيه العربي بوعياد خطيب الزاوية الصِّدِّيقية رحمه الله- ومع غيره في شأن السيد عبدالله أخيه، يقول له -أي السيد أحمد-: «كل عالم يقصد زيارة سيدي عبدالله إلا ويستقبله ورائحة العطر تعبق منه أصالة وبدون انقطاع من غير أن يتسبب في استعمالها»، ثم قال مولاي أحمد: «لو حصلت علىٰ هذه المزية لأدركت بها مقام المشاهدة».

قال الرائي: «ثم خرجت قاصدًا دار سيدي محمد، فوجدت مولاي عبدالحي وأخاه سيدي عبدالعزيز وأخي أحمد وآخرين لم أعرفهم فشرعت أقص عليهم ما سمعته من سيدي أحمد في شأن سيدي عبدالله وأثناء القصة أقْبَل سيدي عبدالله وعليه جِلَّابة وَزَّانية أنيقة وفي كفيه قنينتان عامرتان بالعطر الفاخر وأشياء من الطيب، فصار الكل يتعجب من هذه الرؤيا».

٢- وقال الدكتور أحمد علاء دعبس مدرس الفقه الحنفي بالأزهر الشريف: «إنه في عام ١٩٧٩م رأيت أنني بمسجد سيدنا الحسين رضي الله عنه ورسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يجلس علىٰ يسار القبلة علىٰ أريكة وهو يلقي درسًا، وبعد أن فرغ منه سألته الشفاعة فأخبرني بأنه إذا أردت رجلًا من أهل الشفاعة فانظر خلفك فنظرت فإذا بالشيخ عبدالله آت من الباب المقابل للقبلة في جماعة من أحبابه.

٣- وقال الأستاذ محمود سعيد: «صليت الصبح ذات يوم وقرأت حزب

الفتح -الذي أنشأته أنا- ثم نمت فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في صورة سيدي عبدالله بن الصِّدِّيق».

٤- ومنها أني زرت مرة قرية أويش الحجر من جملة زياراتي لها، وألقيت درسًا حديثيًّا كعادتي مع أهل البلدة، وانجر الكلام إلىٰ موضوعات متنوعة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ أشراف المغاربة وهل هم ينتمون إلىٰ الحسين؟ فأخبرتهم أن معظم الأشراف عندنا ينتمون إلىٰ الحسن بن علي عليهما السلام وقليل منهم ينتمي إلىٰ أخيه الحسين عليه السلام وسألوني أن أملي عليهم نسبي فأمليته عليهم، لأني حفظته وأنا في الكتاب.

فقال لي الشيخ الحسيني، وكان إمام مسجد وسط البلد ومعلم القرآن، ويتبرك به أهل البلد لصلاحه وعزوفه عن الدنيا رحمه الله: «أشهد أنك شريف منسب حقًّا»، فقلت: «وما ذاك؟» قال: «رأيت الليلة الماضية النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقبلت يده، ووجدت شخصًا يقعد بجانبه فسألت عنه فقال: «هذا ولدي وسيتلو عليك نسبه» فأصبحت بيننا علىٰ غير ميعاد، وتلوت علينا نسبك.

ورأيت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومعه الشيخان وغيرهما، ورأيت جبريل عليه السلام، وأخبرني أنه جاء من الأبواء، ورأيت عليًّا عليه السلام، ورأيت الحافظ ابن حزمٍ مرات، وابن العربي المعافري، وعز الدين بن عبدالسلام، وحصلت بيننا مذاكرة في قاعدة علمية، والسيد أحمد البدوي رأيته مرتين، ورأيت أبا الحسن الشاذلي شارح "الرسالة"، والجمل مُحَشِّي "الجلالين"، وجدنا أبا العباس بن عجيبة.

ولم أزاول الشعر إلا قليلًا في بعض المناسبات.

وكنت في صغري كثير الأمراض، حتى قالت مرة والدتي لوالدي رحمهما الله ورضي عنهما ونحن على مائدة الطعام: «أظن أن هذا الولد لا يعيش»، فقال لها: «بل سيعيش، وتمر عليه أزمة كبيرة»، فكان مصداق كلامه دخول السجن في عهد جمال عبدالناصر، بتدبير مجرم مغربي أكرمته غاية الإكرام فدبَّر لي مع المباحث المصرية تهمة التجسُّس لحساب فرنسا على الجزائر وهي تهمة باطلة وحكم عليَّ بالإعدام، وبعد الحكم حلفت للصحفيين الذين كانوا ملتفين حولي إني لن أعدم، فتعجَّبوا، ومما عدَّه المصريون من كراماتي أن القاضي المسيحي الذي حكم عليَّ، لم يمر عليه شهران حتى ألقى بنفسه من سطح بيته فمات منتحرًا.

ثم مات جمال ميتة غير سليمة، وهو الآن عند الله تعالى يلقى جزاء ظلمه وغشمه، فقد أملى الله له ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والحمد لله رب العالمين.

فصل: في ذكر ما رحلت إليه من البلاد

١- رحلت إلى الحج سنة ١٣٧٨هـ وهي أول حجة لي، وإن كنت قد حج بي وأنا صغير حين حج مولانا الوالد رحمه الله مع العائلة سنة ١٣٣٠هـ.

٢- ورحلت إلى الإمارات العربية المتحدة، -أبو ظبي، دبي، الشارقة، قطر- سنة ١٣٩٩هـ، وفي هذه الرحلة فتح علي بأفكار نسخ التلاوة، وكتبت فيها مقالًا نشر في "مجلة منار الإسلام"، ولقيت في قطر الأستاذ عبدالله إبراهيم الأنصاري وكان طيب الخلق محبًّا للعلم.

٣- ورحلت إلى الأردن -عمان- وقعدت فيها ثلاثة أيام ولم تعجبني لشدة بردها، ثم ذهبت هذه السنة إلى الأردن باستدعاء السيد حسن السقاف،

ومكثت عشرة أيام في ضيافته، وأعجبني كثيرًا جو الأردن ومناظره الطبيعية وأهله الكرماء، وفيهم محبة للعلماء وتقديرهم، ويكرهون الألباني لابتداعه، كما يكرهون المبتدعة عمومًا، ويقيم هناك مسلم أمريكي اسمه نوح، وزوجته وأولاده مسلمون، وهو شافعي يفهم فقه الشافعية لأنه درس على بعض العلماء الشافعية، زارني مرات وحضر دروسي وطلب مني أن أعطيه إذنًا بترجمة مؤلفاتي إلى الإنجليزية، وسيبدأ بترجمة "إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة" ويعتبر السيد حسن السقاف جوهرة الأردن، لقيامه بنسف سيئات ابن تيمية وابن القيم، وذيلهما الألباني.

٤- ثم ذهبت إلى السودان في العام نفسه، ونزلت في أم درمان عند السادة الأدارسة أولاد السيد أحمد إدريس شيخ السيد محمد بن علي السنوسي.

٥- ورحلت إلى أمريكا مرتين، مرة على سبيل الفسحة سنة ١٤٠١هـ باستدعاء ولدنا أحمد درويش وأقمت فيها عشرة أيام، ومرة أخرى سنة ١٤٠٢هـ ذهبت لإجراء عملية في عيني، وأقمت هناك ثلاثة أشهر في شيكاغو في منزل محمد علي كلاي وأقمت هذه الفترة في البيت المذكور، وتضايقت كثيرًا لأني لم أسمع طول هذه المدة أذانًا للصلاة، ولم أر شخصًا يقول: لا إله إلا الله، والمسلمون هناك ليس عندهم من مظاهر الإسلام إلا الذهاب إلى صلاة الجمعة في المسجد.

وحججت أيضًا حجتين أُخريين سنة ١٣٩٦هـ- ١٤٠١هـ واعتمرت سنة ١٤٠٤هـ في شعبان.

وفي حج سنة ١٣٩٦هـ التقيت في المدينة المنورة بالشيخ بكر بن عبدالله أبو

زيد وكان قاضيًا ورئيس الحرم النبوي، وكان كريم الخلق، استجازني فأجزته وذهب بي إلىٰ بيته وأراني في مكتبته ركنًا خاصًّا بمؤلفاتي ومؤلفات أخي واستمرت المودة بيننا، وكان يستفيد مني ويتصل بي هاتفيًا يسألني عما يشكل عليه فأجيبه، كما كان يستفيد من تلميذي الشيخ محمود سعيد، وكان يقول له عني أني من علماء القرن الثامن أو التاسع.

لكنه لما اطلع علىٰ نقضي لكتاب أبي إسماعيل الهروي المشبه، غضب وطار صوابه وهذىٰ كثيرًا وأظهر عداوة شديدة، وهكذا المشبهة يكرهون التنزيه ويسمون المنزهين معطلة وجهمية.

والأنصاري يقول في "الأربعين" أن الله يقال له «شخص»، وأن له عينين ويدين لهما أصابع فيها خنصر وبنان، وله رجل يطأ بها الكرسي ويضعها علىٰ النار فتنطفئ، وله حد وجهات.

فإنكاري لهذه المخازي أحفظ الشيخ بكرًا وأغضبه، مع أن إثبات الحد لله كفر، لأنه من سمات المحدثات، والله ينفي الحد عن ذاته بقوله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ١٩ - ٢٠] أي أنه بكل شيء محيط، ومن أسمائه الحسنىٰ: «الكبير»، ولو كان له حدٌّ لم يكن كبيرًا.

والمشبهة يزعمون أنهم أثبتوا الحد لإبطال وحدة الوجود، وهذا غسل دم بدم، أو غسل نجاسة بأنجس منها، فبطلان وحدة الوجود معلوم بالضرورة العقلية القاضية باستحالة اتحاد الخالق بالمخلوق أو حلوله فيه، وليس في قواعد العلم ما يجيز إبطال عقيدة كفرية بمثلها أو أشد منها فسادًا وكفرًا.

والتقيت بالشيخ حماد الأنصاري وكنت قد لقيته قبل ذلك بالمغرب حين

جاء لتصوير بعض المخطوطات، ولما عزمت على الذهاب إلى مكة اتصل الشيخ بكر هاتفيًّا بالقاضي محمد الرفاعي ليقابلني فاستقبلني عند مكتبة الأمدادية بباب العمرة وذهب بي وأخذني إلى بيته.

وقعدت في بيته شهرًا كاملًا وكان يجتمع الطلبة عندي في بيته بعد صلاة العشاء في كل ليلة، وكانوا يسألونني عن أشياء تتعلق برسائلهم الجامعية وأفدتهم فوائد جليلة شكروني عليها ومنهم صهر الألباني.

وأخذني القاضي محمد الرفاعي إلى الشيخ عبدالعزيز بن باز في دار الدعوة والإفتاء فاستقبلني استقبالًا طيبًا واحتفى بي ودعاني للغداء عنده في اليوم التالي، وأخذني القاضي أيضًا إلى الشيخ عبدالله بن حميد رئيس المحاكم الشرعية رحمه الله، فتعشينا عنده وجرى بيني وبينه كلام حول البناء على القبور.

أما في حج سنة ١٤٠١ فنزلت في دار العلوم الدينية بجرول عند العلامة الشيخ ياسين الفاداني.

والتقيت بكثير من العلماء من اليمن وسوريا وأندونيسيا وغيرها فضلًا عن علماء مكة وطبعت إجازة لأجيز بها السادة العلماء والطلبة الذين استجازوني وقد بلغوا أكثر من ألف وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه وبعد:

فقد طلب مني/ .... أن أجيز له بمرويَّاتي عن مشايخي الذين رويت عنهم وتلقَّيت، فأجبته إلى رغبته راجيًا أن تنالني دعوة صالحة منه، فقلت متوكِّلًا على الله ومعتمدًا في كل أموري عليه، أجزت الأستاذ الفاضل المذكور بجميع ما أجازني به مشايخي من مسموعات ومرويات، وهم كثيرون:

منهم والدي العارف بالله تعالى، القدوة، سيدي محمد بن الصديق الغماري، يروي عن شيخ الجماعة أحمد بن الخياط الزكاري، والمهدي الوزاني، وأبو سالم الامرائي، وغيرهم كما في "التصور والتصديق" المطبوع.

ومنهم شيخنا خطيب الجامع الأزهر المعمور سابقًا أبو عبدالله محمد إمام بن إبراهيم السقا ابن الشيخ علي ابن الشيخ حسن شلبي الشبرابخومي الشهير بالسقا، وهو يروي عن والده الشيخ إبراهيم السقا شيخ الشافعية في وقته، عن شيخه العلامة الشيخ ثعيلب، عن الشيخ الشهاب الملوي والشيخ الشهاب الجوهري، عن شيخهما الشيخ عبدالله بن سالم البصري صاحب الثبت المشهور.

(ح) ويروي الشيخ إبراهيم السقا عن الشيخ محمد الأمير الصغير المالكي، عن والده الشيخ محمد الأمير الكبير صاحب الثبت المشهور.

ومنهم شيخنا عالم الشام محمد بدر الدين الدمشقي، وهو يروي عن الشيخ إبراهيم السقا بأسانيده السابقة.

ومنهم شيخنا العلامة شيخ علماء مصر الشيخ محمد بخيت المطيعي

الحنفي، وهو يروي عن مشايخ عدة منهم شيخ المالكية في وقته الشيخ محمد عليش، عن الأمير الصغير، عن والده.

ويروي أيضًا عن الشيخ عبدالرحمن الشربيني، عن الشيخ إبراهيم السقا المذكور.

ويروي أيضًا عن ضياء الدين أحمد بن مصطفى الخالدي الكمشخانوي صاحب كتاب "راموز الأحاديث" وشرحه المطبوعين، عن شهاب الدين أحمد ابن سليمان الإروادي، عن عبدالرحمن الكزبري وابن عابدين والباجوري، وللأولين ثبتان معروفان.

ومنهم الأخوان الفاضلان محمد كمال الدين وأخوه أبو النصر ولدا أبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجي المشهور، وهما عن والدهما، عن الشيخ عابد السندي بما في ثبته المشهور.

ومنهم شيخ علماء دمياط محمد محمود خفاجة الدمياطي عن القاوقجي.

ومنهم الشيخ عويد المكي الخزاعي الضرير، وهو عن العلامة الأديب الشيخ عبدالهادي نجا الإبياري بما في كتبه.

ومنهم المعمر محمد دويدار الكفراوي التلاوي، وهو يروي بالعامة عن إبراهيم الباجوري، عن الأمير الكبير.

ومنهم الشيخ محمد بن إبراهيم السمالوطي -العلامة المشهور- وهو يروي عن إبراهيم السقا والشمس الإنبابي وغيرهما.

ومنهم شيخنا مسند الديار المصرية السيد أحمد بن عبدالعزيز بن رافع الطهطاوي الحسيني صاحب "المسعى الحميد"، يروي عن الشيخ شمس الدين الإنبابي الذي أفرد له ترجمة خاصة في كتاب خاص اسمه "القول

الإيجابي في ترجمة شمس الدين الإنبابي" استوفىٰ ذكر شيوخ الإنبابي وأسانيده، وهو مطبوع، وللسيد أحمد رافع شيوخ آخرون.

ومنهم شيخنا السيد محمد بن إدريس القادري صاحب "إزالة الدهش والوله عن المتحير في حديث: زمزم لما شرب له"، وشرح "جامع الترمذي"، يروي عن السيد محمد بن قاسم القادري والسيد محمد بن جعفر الكتاني.

ومنهم شيخنا أبو حامد المكي البسطاوي الرباطي، يروي عن أبي الحسن علي بن سليمان البوجمعوي محشي الكتب الستة وصاحب الثبت المعروف.

وأروي عن شقيقنا الحافظ السيد أحمد بن محمد بن الصديق، والعلامة عبدالمجيد اللبان، والمؤرخ السيد محمد زبارة الحسني، والأصولي أبي حسنين محمد بن حسنين مخلوف العدوي، رحمهم الله وأثابهم رضاه.

وأروي الحديث المسلسل بالأولية عن عدة من السادة العلماء من أجلهم السيد أحمد رافع الطهطاوي وهو أول، قال: حدثنا الشمس محمد الأشموني وهو أول، قال: حدثنا علي بن عيسىٰ النجاري وهو أول، قال: حدثنا محمد بن محمد الأمير المالكي الكبير وهو أول، وبقية السند في ثبته المطبوع.

هذا ما رأينا أن نذكره من مشايخنا إجابة لرغبة السائل الفاضل وتعجيلًا للفائدة المرجوة من الإجازة.

أوصي الأستاذ المجاز أن لا ينساني من صالح دعواته وفَّقني الله وإياه إلىٰ ما فيه رضاه.

عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق، عفي عنه
التاريخ ٢٩ / ١١ / ١٤٠١ هـ

وممن التقيت به في هذا الموسم من العلماء الأفاضل، الشيخ زكريا بن عبدالله بيلا، والشيخ محمد الشاذلي النيفر شيخ علماء تونس، وتلميذنا الشيخ عبدالفتاح أبو غدة الذي حضر إلي من الرياض ففرحت به بعد غيبة طويلة، وقرأ علي في مجلس واحد مقدمة "صحيح مسلم".

والشيخ إسماعيل الزين اليمني المكي، والشيخ أحمد جابر جبران، والشيخ محمد عوض الزبيدي، والسيد محمد علوي المالكي، والشيخ الدكتور أحمد نور سيف، وغيرهم من علماء مكة المكرمة واليمن والشام وأندونيسيا.

وقد أكرم وفادتنا الشيخ محمد ياسين الفاداني غاية الإكرام وسر بوجودنا جدًّا، وأنا أعده مسندًا للعصر بلا منازع بعد شيخنا السيد أحمد رافع الطهطاوي وفقه الله وكان معي في هذه الحجة أخي السيد عبدالعزيز بن الصديق.

وفي عمرة شعبان سنة ١٤٠٤هـ التقيت بجماعة من تلامذتي وغيرهم بالمدينة المنورة منهم الشيخ محمد علي المراد الحموي الحنفي الذي تعرفت به في مصر بواسطة شيخه وتلميذي في نفس الوقت الشيخ محمد الحامد الحموي رحمه الله تعالى.

والشيخ المراد المذكور من أسرة علم كبيرة بحماة وهو رئيس رابطة العلماء بها، وهو يقدرني كثيراً ويحترمني وقد أكرم وفادتي غاية الإكرام.

ومنهم الشيخ محمد عوامة وهو عالم فاضل جميل الخلق.

والتقيت بالشيخ خليل إبراهيم ملا خاطر، والشيخ وهبي سليمان الألباني، والشيخ عبدالرحمن الكعكي الذي يعشق كتبي ويقتني منها مجموعات وفَّقه الله.

والتقيت بالشيخ حماد الأنصاري، وبالشيخ عطية سالم المدرس بالحرم النبوي وقد سألني أسئلة أبانت عن فقهه، وهو كريم الخلق.

والشيخ المختار الشنقيطي وهو عالم فاضل يحب الأشراف وكان يود أن يراني من فترة وقد سررت بلقائه وأطلعني على شرح له لـ"سنن النسائي" وفقه الله لإتمامه وطبعه ثم الانتفاع به.

وممن التقيت بهم بالمدينة أيضًا السيد أحمد عبدالجواد الذي يشتغل بطبع "الجامع الكبير" وقد أهداني نسخة من الكتاب.

ورحلت إلى مصر مرات عديدة ودرست في آخر مرة "الشمائل" و"الموطأ" و"اللمع" لأبي إسحاق الشيرازي، ولي في مصر تلاميذ كثيرون من الشباب المثقف فتح الله عليهم.

وأختم هذا المؤلف بإثبات بحثًا لي في رتب الحفظ عند أهل الحديث، كتبته مقالًا في "مجلة دعوة الحق".

رتب الحفظ عند المحدِّثين

نقل المناويُّ في أوائل "شرح الشمائل" عن المُطَرِّزيِّ، قال: «لأهل الحديث مراتب، أولها: الطالب: وهو المبتدئ. ثُمَّ المُحدِّث: وهو مَن تحمَّل روايته، واعتنى بدرايته. ثُمَّ الحافظ: وهو من حَفِظ مائة ألف حديثٍ متنًا وإسنادًا. ثُمَّ الحُجَّة وهو من أحاط بثلاثمائة ألف حديثٍ. ثُمَّ الحاكم وهو مَن أحاط بجميع الأحاديث المرويَّة».اهـ

وأهل الحديث لا يعرفون هذه المراتب، ولا يعترفون بها؛ لأنَّها تخالف ما اصطلحوا عليه.

فالطالب هو المبتدئ في كلِّ عِلْمٍ، وليس خاصًّا بأهل الحديث، وفي حديثٍ رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعانِ طَالِبُهما: طَالِبُ عِلْمٍ وطَالبُ دُنْيا**»، والحجَّة من مراتب التعديل لا الحفظ، وهي فوق الثِّقة كما نصَّ عليه الذَّهبيُّ في "تذكرة الحفاظ"، وستأتي عبارته بحول الله، أمَّا الحاكم فلا علاقة له بالحفظ ولا التعديل، بل هو لَقَبٌ عائليٌّ لبعض الحُفَّاظ والمُحدِّثين.

منهم: أبو أحمد محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن إسحاق النيسابوريُّ الكرابيسيُّ الحافظ صاحب كتاب "الكنىٰ" وغيره من المؤلَّفات، توفِّي سنة (٣٧٨)، قال الذَّهبي: وهو الحاكم الكبير.

ومنهم: أبو عبدالله محمَّد بن عبدالله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم النيسابوريُّ الحافظ، صاحب كتاب "المستدرك" وغيره يعرف بابن البيع، توفِّي سنة (٤٠٥)، وهو تلميذ الحاكم الكبير.

ومنهم: أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن أحمد بن محمَّد بن حسكان القرشيُّ العامريُّ النيسابوريُّ الحنفيُّ الحافظ، يعرف بابن الحذاء، و بالحسكاني، أخذ عن الحاكم صاحب "المستدرك" وتوفِّي بعد سبعين وأربعمائة.

ومنهم: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن الحسن الاستراباذي المحدِّث، حدَّث سنة (٤٣٢) ترجم له التاج السبكيُّ في "طبقات الشافعية"، ولم يذكر سنة وفاته.

والعجيب أنَّ المتأخِّرين تمالئوا علىٰ نقل كلام المُطرِّزيِّ تقليدًا بدون تمحيصٍ.

والواقع أنَّ مراتب الحفظ عند أهل الحديث علىٰ الوجه الآتي: مُسنِد، ثمَّ

مُحدِّث، ثُمَّ مُفيد، ثُمَّ حافظ، ثُمَّ أمير المؤمنين في الحديث.

فالمسنِد -بكسر النون-: من يعنىٰ بالإسناد من حيث اتصاله أو انقطاعه أو تسلسله بصفةٍ مُعيَّنة وإنْ لم يكن له خبرة بالمتون.

وكان شيخنا العلَّامة المرحوم السيِّد أحمد رافع الحسينيُّ الطهطاويُّ الحنفيُّ مُسند العصر بدون منازعٍ، له كتاب "المسعىٰ الحميد إلىٰ بيان وتحرير الأسانيد"، حرَّر الكلام فيه علىٰ الأسانيد الموجودة في نحو أربعمائة ثبت، ونبَّه علىٰ أوهام وقعت في كتاب "فهرس الفهارس"، وكان لا يعرف في المتون كثيرًا ولا قليلًا.

والمحدِّث: من سمع الكتب الستة و"الموطأ" و"سنن الدَّارمي" و"الدَّارقطني" و"البيهقي" و"مستدرك الحاكم" و"مسند أحمد"، وسمع إلىٰ جانب هذه الكتب ألف جزءٍ حديثي وحفظ جملة مستكثرة من المتون.

ويكفي عن الحفظ في هذا الوقت أن يراجع أحاديث "الجامع الصغير" مرَّاتٍ حتىٰ تعلق أحاديثه بذهنه بحيث يستحضر حديثًا منها إذا شاء، ويشتمل "الجامع الصغير" علىٰ نحو عشرة آلاف حديثٍ فيها الصَّحيح والحسن والضعيف والموضوع، فمن أحاط بها واستحضر معانيها، وعرف مظانها، مع بقيَّة الشُّروط السَّابقة كان مُحدِّثًا.

والمُفيد: رتبةٌ اسُتحدِثت في القرن الثالث الهجريِّ، قال الحافظ الخطيب: حدَّثني محمَّد بن عبدالله عن أبي بكر محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن يعقوب، قال: موسىٰ بن هرون -يعني الحمال الحافظ- سمَّاني المُفيد.

قال الحافظ الذَّهبي: فهذه العبارة أول ما استعملت لقبًا في هذا الوقت،

قبل الثلاثمائة، والحافظ أعلىٰ من المُفيد في العرف، كما أنَّ الحجَّة فوق الثِّقة». اهـ

وممن لُقِّب بالمُفيد سوىٰ أبي بكرٍ المذكور، أبو بكر وأبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب الرقي المؤرِّخ، روىٰ عن الطبرانيِّ وغيره، توفِّي سنة (٣٨٢)، اتهمه الخطيب بوضع حديثٍ في فضل أهل الحديث.

قلت: لفظ الحديث المشار إليه: «**إذا كان يوم القيامة، جاء أصحاب الحديث بأيديهم المَحابِرُ، فيأمر الله جبريل أن يأتيهم فيسألهم، وهو أعلم بهم فيقول: مَن أنتم؟ فيقولون: نحن أصحاب الحديث، فيقول الله عزَّ وجلَّ: ادخلوا الجنَّة على ما كان منكم، طالما كنتم تصلُّون على النبيِّ في دار الدُّنيا**».

رواه الخطيب في "التاريخ" من طريق محمد بن يوسف الرقي المذكور، حدَّثنا الطبرانيُّ: ثنا الدبريُّ: ثنا عبدالرزَّق عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهريِّ، عن أنسٍ رفعه به.

ورواه أبو المحاسن الرُّوياني في "فوائده"، عن عبدالله بن جعفر الجبائريِّ عن محمَّد بن يوسف الرقي به، لكن قال: عن مَعْمَرٍ، عن قتادة عن أنسٍ.

ورواه ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" من طريق الخطيب وقال: الحمل فيه علىٰ الرقي، وقال الذَّهبي: وضع علىٰ الطبرانيِّ هذا الحديث.

ورواه الديلميُّ في "مسند الفردوس"، والنميريُّ في "الأعلام" من طريق آخَر، فيه محمَّد بن أحمد بن مالك الإسكندراني وهو مجهولٌ، واقتصر الحافظ السَّخاويُّ في "القول البديع"، علىٰ تضعيفه من الطريقين، وهو تساهلٌ منه رحمه الله، فالحديث موضوعٌ كما قال الخطيب وابن الجوزيِّ والذَّهبيُّ، وممَّا يؤيِّد وضعه نكارة معناه، وروايته من طريق أئمَّة أجلاء عبدالرزَّق، عن مَعْمَرٍ عن الزُّهريِّ عن أنسٍ.

وممَّن لُقِّب بالمفيد:

أبو سليمان حمد بن محمَّد بن إبراهيم بن خطَّاب الخطابي البستيُّ، صاحب "معالم السنن" وغيره من المصنَّفات، وهو أحد شيوخ الحاكم، صاحب "المستدرك" توفي سنة (٣٨٨) ببلدة بست، في أفغانستان.

وأبو سعد عمر بن علي بن عمر النيسابوريُّ الخشَّاب المتوفَّىٰ سنة (٤٥٦).

وأبو منصور عبدالمحسن بن محمَّد بن علي الشيميُّ السفار المتوفَّىٰ سنة (٤٨٩).

وأبو الفرج عبدالخالق بن أحمد بن عبدالقادر بن محمَّد بن يوسف اليوسفيُّ البغداديُّ المتوفَّىٰ سنة (٥٤٨).

وأبو عليٍّ صدر الدين الحسن التيميُّ البكريُّ الصُّوفيُّ المتوفَّىٰ سنة (٦٥٦).

وشمس الدين عليُّ بن المظفَّر بن القاسم الربعيُّ الدِّمشقيُّ المتوفَّىٰ سنة (٦٥٦).

ثُمَّ المفيد من جمع شروط المُحدِّث، و تأهَل لأن يُفيد الطبلة الذين يحضرون مجالس إملاء الحفَّاظ، فيبلغهم مالم يسمعوه، ويفهمهم ما لم يفهموه، وذلك بأن يعرف العالي والنَّازل والبدل والمصافحة والموافقة، مع مشاركةٍ في معرفة العِلل.

والأصل فيه ما رواه أبو داود والنَّسائيُّ عن رافعٍ بن عمرو قال: رأيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يخطب النَّاس بمنىٰ حين ارتفع الضُّحىٰ، علىٰ بغلةٍ شهباء، وعليٌّ يعبِّر عنه، وفي "الصحيحين" عن أبي جمرة قال: كنت أترجم بين ابن عباسٍ وبين النَّاس.

الحافظ: اختلف في تعريفه بين مُشدِّدٍ ومُخفِّفٍ، وأعدل التعريفات فيه أنَّه

من جمع شروطًا ثلاثة:

١ - حفظ المتون، ولا يقلّ محفوظه عن عشرين ألف حديثٍ.

٢ - حفظ أسانيدها وتمييز صحيحها من سقيمها.

٣ - معرفة طبقات الرُّواة وأحوالهم، طبقة بعد طبقة، بحيث يكون من لا يعرفه أقل ممن يعرفه، حتى إذا قال في راوٍ: لا أعرفه، اعتبر ذلك الرَّاوي من المجهولين.

ويتفاوت الحُفَّاظ بتفاوت كثرة محفوظاتهم وقلَّتها، وهذه أمثلة من ذلك:

قال يعقوب الدورقيُّ: كان عند هشيم عشرين ألف حديثٍ، وقال يحيى بن معينٍ: كانت كتب ابن المبارك التي حدَّث بها نحو عشرين ألف حديثٍ.

وقال يزيد بن هارون: أحفظُ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد ولا فخر، وأحفظ للشَّاميين عشرين ألفًا لا أسأل عنها. وقال أيضًا: سمعت حديث الفتون مرَّة واحدة فحفظته، وأحفظ عشرين ألفًا، فمن شاء فليدخل فيها حرفًا.

وحديث الفتون طويل، يقع في نحو كرَّاسة، رواه النَّسائيُّ في "السنن الكبرى" و ابن أبي حاتمٍ، و الطبري في تفسيريهما، وأبو يعلى في "معجمه" من طريق يزيد بن هرون، عن أصبغ بن يزيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عباسٍ به.

قال ابن كثيرٍ: «وهو موقوفٌ من كلام ابن عباسٍ، وليس فيه مرفوعٌ إلَّا قليل منه، وكأنَّه تلقَّاه مَّما أبيح له نقله عن الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المِزِّي يقول ذلك».اهـ

قال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" بعد أن عزاه لأبي يعلىٰ: «رجاله رجال الصَّحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان».اهـ

قلت: وقع في ترجمة أصبغ، في "الميزان": راوي حديث القنوت، وكذلك وقع في ترجمة القاسم في "تهذيب التهذيب"، وهو تصحيفٌ من المطبعة.

وقال داود بن عمرو الضبيُّ: كان إسماعيل بن عيَّاشٍ، يحدِّثنا من حفظه، ما رأيت معه كتابًا قَطُّ، فقال له عبدالله بن أحمد بن حنبلٍ: أكان يحفظ عشرة آلاف حديثٍ؟ قال: وعشرة آلاف وعشرة آلاف، فقال له أبي أحمد: هذا مثل وكيعٍ.

وقال حرب الكرمانيُّ: أَمْلَىٰ علينا سعيد بن منصور نحوًا من عشرة آلاف حديثٍ من حفظه، وقال الحافظ أبو بكر بن أبي داود صاحب "السنن": حدَّثت من حفظي بأصبهان ستة وثلاثين ألف حديثٍ، ألزموني الوَهْم في سبعة أحاديث منها، فلما انصرفت وجدت في كتابي خمسة منها علىٰ ما كنت حدَّثتهم به، وقال الحافظ أبو حفص بن شاهين: أَمْلَىٰ علينا ابن أبي داود، ما رأيت في يده كتابًا قَطُّ، إنَّما كان يُمْلِي حفظًا، وكان يقعد علىٰ المنبر بعدما عمي، ويقعد دونه بدرجة ابنه أبو معمرٍ، بيده كتاب، فيقول له: حديث كذا فيسرده من حفظه، فقال أبو تمام الزينيُّ، فقال: لله درُّك، ما رأيت أحفظ منك إلَّا أن يكون إبراهيم الحربي، فقال: كلُّ ما يحفظه إبراهيم فأنا أحفظه، وأنا أعرف بالنجوم وما كان يعرفها.

وقال البخاريُّ: أحفظ مائة ألف حديثٍ صحيحٍ، ومائتي ألف حديثٍ غير صحيحٍ.

وسأل رجلٌ أبا زرعة أنَّه حلف بالطلاق: أنَّك تحفظ مائة ألف حديثٍ؟

فقال: تمسَّك بامرأتك. وقال أبو زرعة أيضًا: أحفظ في القراءات عشرة آلاف حديثٍ.

وقال الحافظ أبو بكر العبَّاس بن عُقْدَة: أحفظ مائة ألف حديثٍ بأسانيدها. وقال أيضًا: دخلت الرَّقَّة، وكان لي ثَمَّ قِمَطْر من كتبٍ، فجاء غلامي مُغتمًّا وقال: ضاعت الكتب، فقلت: يابني لا تَغْتَمَّ، فإنَّ فيها مائتي ألف حديثٍ، لا يُشْكِلُ عليَّ حديثٌ منها، لا مَتْنُه ولا إسناده.

الحافظ نوعان:

١ - حافظٌ علىٰ طريقة الفقهاء كالطحاويِّ، والبيهقيِّ، والباجيِّ، وابن العربي المعافريِّ، والقاضي عياض، والنوويِّ، وابن تيمية، وابن كثيرٍ.

٢ -حافظٌ علىٰ طريقة المحدِّثين، وهم معظم الحفَّاظ.

والحافظ علىٰ طريقة المحدِّثين أكثر حِفْظًا وأوسع رواية، وأعرف بأحوال الرِّجال وطبقاتهم، وأدرىٰ بقواعد التصحيح والتضعيف لتمكُّنِه في معرفة العِلل وغرائب الأحاديث.

وأمير المؤمنين في الحديث هي الرُّتبة العُليا في الحفظ، لا رتبة فوقها، واستُحدثت هذه الرتبة في المائة الثانية للهجرة، قال الحافظ السُّيوطيُّ في "التدريب": «كأنَّ هذا اللَّقب مأخوذٌ من قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ ارْحَمْ خُلَفَائي**» قيل: ومَن خُلَفَاؤك؟ قال: «**الذين يأتون مِن بعدي يَرْوُون أحادِيثي وسُنَّتي**» رواه الطبرانيُّ وغيره».

قلت: هذا الحديث رواه الرَّامَهُرْمُزِيُّ في "المحدِّث الفاصل" والطبرانيُّ في "المعجم الأوسط" وأبو نُعيم في "تاريخ أصبهان" والخطيب في "شرف

أصحاب الحديث"، كلهم من طريق أحمد بن عيسىٰ العلوي: أخبرنا ابن أبي فُدَيْكٍ، عن هشام بن سعدٍ، عن زيد بن أسلمَ، عن عطاء بن يَسارٍ، عن عبدالله بن عبَّاسٍ قال: سمعت عليَّ بن أبي طالبٍ يقول: خرج علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**اللهمَّ ارْحَمْ خُلَفَائي**»، قلنا: يا رسول الله ومَن هم؟ قال: «**الذين يأتون مِن بعدي يَرْوُون أحاديثي وسُنَّتي ويُعَلِّمونها النَّاسَ**».

أحمد بن عيسىٰ العلويُّ نقل الذَّهبيُّ في ترجمته من "الميزان" عن الدَّارقطني أنَّه قال فيه: كذَّابٌ، وحكم الذَّهبيُّ ببطلان هذا الحديث، بعد أن ساقه بإسناد الرَّامَهُرْمُزيِّ، وقال الحافظ الزيلعيُّ في "نصب الرَّاية": «وقد روىٰ الحافظ أبو محمَّد الرَّامَهُرْمُزيُّ في أول كتاب "المحدِّث الفاصل" حديثًا موضوعًا لأحمد بن عيسىٰ هو المتهم به»، وذَكَرَ هذا الحديث.

ورواه الخطيب في "شرف أصحاب الحديث" من طريق عبدالسَّلام بن عبيد: حدَّثنا ابن أبي فُدَيْكٍ عن هشام بن سعدٍ به.

عبدالسَّلام بن عبيد، قال ابن حِبَّان: «يسرق الحديث، ويروي الموضوعات».

وسرقة الحديث: أن يعمد الرَّاوي إلىٰ حديثٍ معروفٍ من طريقٍ معيَّنٍ، فيرويه من طريقٍ آخَر.

مثاله: روىٰ الليث ويونس عن الزُّهريِّ عن أنسٍ حديث: «**مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا...**» الحديث. رواه عبدالسَّلام هذا، عن سفيان بن عُيَيْنَة عن الزُّهري، فحوَّله من رواية الليث و يونس إلىٰ رواية ابن عُيَيْنَة، وهذه سرقة.

وروىٰ ابن عُيَيْنَة عن الزُّهري عن سعيد بن المسيِّب عن أبي هريرة حديث: «**لا يُلْدَغُ المؤمِنُ مِن جُحْرٍ واحِدٍ مرَّتين**». سرقه عبدالسَّلام فرواه ابن عُيَيْنه عن

الزُّهريِّ، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة.

وعبدالسلام هذا، روىٰ عنه أبو عوانة في "صحيحه"، كأنَّه لم يعرف حاله، وهذا كما روىٰ مالكٌ في "الموطأ" عن عبدالكريم بن أبي المخارق مع ضعفه؛ لأنَّه لم يعرف حاله.

ولحديث الخلفاء طريقٌ آخَر، أخرجه الخطيب في "شرف أصحاب الحديث" من طريق أبي الصباح عبدالغفور عن أبي هاشم الرمانيِّ، عن عليٍّ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ألَا أدلُّكم على آية الخُلَفاء مِنِّي، ومِن أصحابي، ومِن الأنبياء قبلي؟ هم حَمَلَةُ القُرآنِ والأحاديث عَنِّي وعنهم في الله ولله عزَّ وجلَّ**». عبدالغفور، قال ابن حِبَّان: «كان ممَّن يضع الحديث»، وقال ابن عديٍّ: «ضعيفٌ منكر الحديث».

ولا شكَّ أنَّ أهل الحديث نُوَّابٌ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في تبليغ أحاديثه ونشر سُنَّته، فهم خلفاؤه، ولهذا سُمِّي بعضهم: أمير المؤمنين في الحديث، كما أنَّ الخلفاء الحكَّام، سُمُّوا أمراء المؤمنين، لنيابتهم عنه في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وحماية بيضة الإسلام، وليس كلُّ عالمٍ أو فاضلٍ أو صاحب رأيٍ، يصلح لخلافة الحكم بل يشترط فيمن يتولَّىٰ هذا المنصب الخطير شروطٌ مفصَّلةٌ في كتب الفقه الإسلامي، كذلك ليس كلُّ حافظٍ يستحق لقب أميرِ المؤمنين في الحديث، إنَّما يستحقُّه من توفَّرت فيه الشُّروط الآتية:

١ - شدَّة الإتقان والضَّبط بنوعيه، ضبط صدر، وضبط كتاب.

٢ - التبريز في العلل أو الرِّجال.

٣ - أنْ يؤلِّف كتابًا له قيمته العلميَّة، كبير الأمر في موضوعه، أو يتخرَّج

عليه حُفَّاظٌ مهرة.

ولعِزَّة اجتماع هذه الشُّروط في شخصٍ، لم ينل هذا اللَّقب من الحفَّاظ على كثرتهم إلَّا نفرٌ قليل منهم لا يتجاوز عددهم عشرين شخصًا.

منهم الإمام مالك بن أنسٍ، قال يحيىٰ بن سعيد القطَّان، ويحيىٰ بن معينٍ: مالك أمير المؤمنين في الحديث، علىٰ أنَّه لم يكن واسع الحفظ؛ لأنَّه لم يرحل إلىٰ البلدان والأقطار، كما رحل غيره من الحفَّاظ، ولم يبارح المدينة المنوَّرة إلَّا للحجِّ، ثُمَّ رجع، وبسبب ذلك فاته حديثٌ كثيرٌ، لكنَّه كان شديدَ الإتقان، بالغ التحرِّي، مبرزًا في نَقْد الرِّجال.

قال الترمذيُّ في "العلل": سمعت إسحاق بن موسىٰ الأنصاريَّ قال: سمعت معن بن عيسىٰ يقول: «كان مالك بن أنسٍ يُشدِّد في حديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الياء والتاء ونحو هذا».

وروىٰ أيضًا عن عليِّ بن المديني، قال: قال يحيىٰ بن سعيد القطَّان: «ما في القوم أصح حديثًا من مالك بن أنسٍ، كان مالكٌ إمامًا في الحديث».

وقال عليُّ بن المَدينيِّ عن سفيان بن عُيَيْنَة: «ما كان أشد انتقاد مالكٍ للرِّجال، وأعلمه بشأنهم». وقال يحيىٰ بن معين: «كلُّ من روىٰ عنه مالك، فهو ثقةٌ إلَّا عبدالكريم».

قلت: عبدالكريم هذا هو ابن أبي المُخارق -بضمِّ الميم- أبو أميَّة البصري المعلِّم، قال ابن عبدالبر: «لا يختلفون في ضعفه، غرَّ مالكًا منه سمته، ولم يكن من أهل بلده فيعرفه، ولم يخرج عنه حكمًا بل ترغيبًا وفضلًا».اهـ

وقال الحافظ ابن سيِّد النَّاس في "شرح الترمذي": لكن لم يخرج عنه مالكٌ

إلَّا الثَّابت من غير طريقه: «**إذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ**»، ووضع اليُمنىٰ علىٰ اليسرىٰ في الصَّلاة، وقد اعتذر لَمَّا تبيَّن له أمره، وقال: غرَّني بكثرة بُكائه في المسجد.

وكتابه "الموطأ" من كتب السُّنَّة النافعة مدحه الإمام الشافعيُّ بكلمته المعروفة: «ما علىٰ ظهر الأرض بعد كتاب الله أكثر صوابًا من "موطأ مالكٍ"».

وأثنىٰ عليه غيره من العلماء ثناءً كثيرًا لا حاجة إلىٰ الإطالة به؛ لشُهرته وانتشاره في "شروح الموطأ" وغيرها من كتب السُّنَّة، ولولا ما فيه من المرسلات والبلاغات، ما تقدَّم عليه الصحيحان ولا غيرهما.

ولم يُقَدِّره المالكيَّة حَقَّ قَدْرِهِ، حيث قدَّموا عليه "المدوَّنة"، مع أنَّ القواعد الأصوليَّة والحديثيَّة، توجب تقديمه لأمور:

١ - أنَّ "الموطأ" كتبه الإمام بيده، ونقَّحه في مدىٰ أربعين سنة، و"المدوَّنة" ليست كذلك؛ لأنَّه لم يكتبها ولا نقَّحها.

٢ - أنَّ "الموطأ" رواه عن الإمام عِدَّة فئات من العلماء، فهو منقولٌ بالتواتر، و"المدوَّنة" ليست كذلك.

٣ - أنَّ جملة رواة "الموطأ" أصحاب مالك المَدنيين، وهم الذين لازموه إلىٰ وفاته، وابن القاسم الذي بُنيت "المدوَّنة" علىٰ روايته، فارق مالكًا قبل وفاته بعشرين سنة، والمُلازم للشَّيخ مُقَدَّم علىٰ المُفارق له.

٤ - أنَّ أقوال الإمام في "الموطأ" مصحوبةٌ بدليلها من آيةٍ أو حديثٍ أو أثرٍ، والأقوال المنسوبة إليه في "المدونة" عاريةٌ عن الدليل، ولكن غلط المالكيَّة أنَّهم يعتبرون الآراء المجرَّدة فقهًا، ويسمُّون "المدونة" كتاب فقه، و"الموطأ"

كتاب حديثٍ، ولتفصيل هذا البحث موضعٌ غير هذا.

ومنهم إمام الحُفَّاظ، جبل العِلْم أبو عبدالله محمَّد بن إسماعيل البخاريُّ صاحب "الصحيح"، قال عنه شيخه عليُّ بن المديني: «ما رأىٰ مثل نَفْسِهِ».

وقال ابن خزيمة: «ما تحت أديم السَّماء أعلم بالحديث من البخاريِّ».

وقال الحافظ أحمد بن نصر الخفَّاف: «محمَّد بن إسماعيل أعلم في الحديث من أحمَّد بن حنبلٍ واسحق بن راهويه بعشرين درجة».

وقال الترمذيُّ: «لم أرَ أحدًا بالعراق ولا بخراسان في معنىٰ العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمَّد بن إسماعيل، أجمعت الأمَّة علىٰ تلقِّيه بالقبول، وأجله العلماء الفحول. له عند الحفَّاظ هيبة، وفي قلوبهم رهبة».

ومنهم الإمام الحافظ المُتقِن أبو الحسن عليُّ بن عمر الدَّارقطني، قال الحاكم: «صار الدارقطني أوحد عصره في الحفظ والفهم والوَرَع، وإمامًا في القرَّاء والنحويين. أقمت ببغداد أربعة أشهر، وكثر اجتماعنا، فصادفته فوق ما وصف لي، وسألته عن العلل والشيوخ، فأشهد أنَّه لم يخلف علىٰ أديم الأرض مثله».

وقال الخطيب: «كان الدارقطني فريد عصره، وقريع دهره، ونسيج وحده، وإمام وقته، انتهىٰ إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرِّجال وأحوال الرُّواة، مع الصِّدق والثِّقة وصحَّة الاعتقاد، وسلامة المذهب».

قال الحافظ الذَّهبي: «وإذا شئت أن تعرف براعة هذا الإمام الفرد، فطالع كتاب "العلل"؛ فإنَّك تندهش ويطول تعجُّبك!!».اهـ

قلت: كتاب "العلل" له في سبعة مجلَّدات، رأيته، وهو يدلُّ علىٰ براعته حقًّا، والعجيب أنَّه أملاه علىٰ تلميذه الحافظ البرقاني، فإنَّه قال: كان الدَّارقطني

يملي عليَّ "العلل" من حفظه، وأنا الذي جمعتها، وقرأها النَّاس من نسختي.

ومنهم شعبة ومحمَّد بن إسحق وعبدالله بن المبارك ومحمَّد بن يحيىٰ الذهلي وإسحق بن راهويه والحافظ ابن حجرٍ، وهو خاتمتهم، ولم يأتِ بعده من نال هذه الرتبة بحقٍّ.

وإن كان في تلامذته حُفَّاظٌ كالسَّخاويِّ ثم الدِّيَميِّ والسُّيوطيِّ لكنَّهما لم يدركاه، وإنَّما تتلمذا علىٰ كتبه، وانتفعا بها كثيرًا، وهو يعتبر خاتمة الحفَّاظ بالمعنىٰ المصطلح عليه عند أهل الحديث، ومن وصف بعده بالحافظ كالسيِّد مرتضىٰ الزَّبيدي شارح "الإحياء"، فذلك علىٰ سبيل التوسع في العبارة، نظرًا لكثرة اطلاعه.

وكان مُجيزنا العلَّامة الشيخ محمَّد زاهد الكوثريُّ الحنفيُّ -رحمه الله- يصف ابن طولون الحنفيَّ بالحافظ، وناقشته في ذلك، فقال: إنَّ مروياته كثيرة، وهذه مغالطةٌ؛ لأنَّ كثرة المرويات إنَّما تعتبر في الحافظ بشرط أن تكون مسموعة له، ومرويَّات المتأخِّرين كابن طولون، إنَّما هي بالإجازة، والغرض منها بقاء سلسلة الإسناد والتبرُّك برجال السلسلة، كما قال الحافظ السَّخاويُّ: «إنَّه لبس الخرقة الصوفيَّة تجاه الكعبة المشرَّفة تبركًا برجالها الصَّالحين، وإن كان يعتقد أنَّ سندها منقطعٌ».اهـ

وأنا لبست الخرقة تبركًا من الشَّريف أحمد التبر، ألبسنيها بالقاهرة.

ولما كنت أُدرِّس العلم بجامعة القرويين، أعاد الله مجدها، علمت أنَّ رجلًا عامِّيًّا -هو سيِّدي المهدي العزوزي- يروي بالإجازة عن أبيه عن جدِّه عن السيِّد مرتضىٰ الزَّبيديِّ، فذهبت إليه واستجزته فأجاز لي، مع أنَّ لي رواية عن السيِّد

مرتضىٰ بواسطة شيوخ كثيرين منهم بالمغرب شقيقي أبو الفيض، وسيدي عبدالحي الكتانيُّ، والقاضي عبدالحفيظ الفاسي، والشَّيخ المكِّي البطاوري والشَّيخ فتح الله البناني وسيدي محمَّد بن إدريس القادري، رحمهم الله وأكرم مثواهم.

تنبيهات هامة

المُطَـرِّزيُّ الذي نقل عنه رتب الحفظ، لم نقف له علىٰ ترجمةٍ، ولم نعرف اسمه، غير أني وجدت في ترجمة ابن دقيق العيد أنَّ له شرحًا علىٰ "مقدمة المُطَرِّزي" في علم الأصول، ورأيت في كتاب "المساقاة من نيل الأوطار"، كلمة في اشتقاق لفظ المزارعة، نقلها الشوكاني عن المُطَرِّزيِّ.

قال الحافظ أبو شامة: «علوم الحديث الآن ثلاثة:

أشرفها حفظ متونه، ومعرفة غريبها وفقهها.

والثاني: حفظ أسانيده ومعرفة رجالها، وتمييز صحيحها من سقيمها.

وهذا كان مهمًّا، وقد كُفيه المشتغل بالعلم، بما صُنِّف فيه من الكتب، فلا فائدة في تحصيل ما هو حاصل.

والثالث: جمعه وكتابته وسماعه وتطريقه، وطلب العلم فيه، والرحلة إلىٰ البلدان، والمشتغل بهذا مشتغلٌ عمَّا هو الأهم من العلوم النَّافعة، فضلًا عن العمل به الذي هو المطلوب الأصلي، إلَّا أنه لا بأس به لأهل البطالة، لما فيه من بقاء سلسلة الإسناد المتصلة بأشرف البشر».اهـ

قال الحافظ: «وفي بعض كلامه نظر؛ لأنَّ قوله: وهذا قد كُفيه المشتغل بما صُنِّف فيه، قد أنكره العلَّامة أبو جعفر بن الزبير، وغيره، ويقال عليه: إن كان التصنيف في الفنِّ يوجب الاتكال علىٰ ذلك، وعدم الاشتغال به، فالقول

كذلك في الفنِّ الأوَّل، فإن فقه الحديث وغريبه لا يُحصَىٰ كم صُنِّف فيه، بل لو ادَّعىٰ مُدَّعٍ أنَّ التصانيف فيه أكثر من التصانيف في تمييز الرِّجال والصَّحيح من السقيم لما أبعد، بل هو الواقع، فإن كان الاشتغال بالأول مهمًّا، فالاشتغال بالثَّاني أهم؛ لأنَّه المرقاة إلىٰ الأوَّل، فمن أضلَّ به خلط السَّقيم بالصَّحيح، والمعدَّل بالمجرح وهو لا يشعر، فالحقُّ أنَّ كلًّا منهما في علم الحديث مهم.

ولا شكَّ أنَّ من جمعهما حاز القدم العليَّ مع قصور فيه إن أخلَّ بالثالث، ومَن أخلَّ بهما فلا حظَّ له في اسم الحافظ، ومن أحرز الأول وأخلَّ بالثاني كان بعيدًا من اسم المحدِّث عرفًا، ومن يحرز الثاني وأخلَّ بالأوَّل لم يبعد عنه اسم المحدِّث، ولكن فيه نقص بالنسبة إلىٰ الأول.

وبقي الكلام في الفنِّ الثالث، ولا شكَّ أنَّ من جمع ذلك مع الأوَّلين كان أوفر سهمًا وقسمًا، ومن اقتصر عليه كان أحسن حظًّا وأبعد حفظًا، ومن جمع الثلاث كان فقيهًا مُحدِّثًا كاملًا، ومن انفرد باثنين منهما كان دونه، إلَّا أنَّ من اقتصر علىٰ الثاني والثالث، فهو مُحدِّثٌ صِرفٌ لا حظَّ له في اسم الفقيه، كما أنَّ من انفرد بالأوَّل فلا حظ له في اسم المحدِّث، ومن انفرد بالأول والثَّاني فهل يُسمَّىٰ محدِّثًا؟ فيه بحثٌ». اهـ

قلت: الظَّاهر أنَّه محدِّثٌ، بل هو الواقع، وقول أبي شامة: وقد كفيه المشتغل... إلخ، يظهر منه أنَّه يوافق ابن الصلاح في امتناع التصحيح والتحسين من المتأخِّرين.

وبهذا ينتهي ما أردناه من تحرير الفرق بين علم الحديث رِوايةً، وعلم الحديث دِرايةً، والحمد لله ربِّ العالمين.

نصوص بعض الإجازات

إجازة للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكي بالقطر التونسي.

الحمد لله الذي رفع لهذا الدين دعائم وعمادًا، وخصَّه بصحيح السَّند فكان لحفظه سببًا وسنادًا، والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ الذي أحكم بشرعه للأمَّة عُرًىٰ شِدادا، وعلىٰ آله وصحبه الذين أعدُّوا لنفي الريب عن الرواية عتادًا.

أما بعد: فقد التمس مِنِّي الفاضل العالِم الصفوة الشيخ عبدالله محمد الصِّدِّيق الحَسنيُّ السيد الشريف الأزهريُّ، أن أجيز له الرواية عني فيما ثبتت لي روايته في كتب السُّنَّة النبوية وفي كتب العلوم الشرعية والأدبية.

ولَمَّا رأيت هذه أمانة قد ائتمنني مشايخي إياها، ورجوت أن أكون في عِداد من سمع المقالة فأدَّاها، ورأيت الإجازة نسبة شريفة زكية وبقية مما ترك صدر الأمَّة من الخصيصية، أجبتُه لمهم التماسه وأمددت من صفوة الشجرة المباركة نيِّر نبراسه. فها أنذا أجزت للسيد المذكور فيما صحَّت لي الرواية من الأسانيد التي تلقَّيتها من مشايخي جزاهم الله عني حسن صنيعهم أحسن الجزاء ولي أربعة أسانيد:

أولاها: أجاز لي العلامة المقتفي أثر الشريعة في فعله وقوله جدي والد أمي وأبي في تربية نفسي وتقويم فهمي، الوزير الأكبر بتونس الشيخ محمد العزيز بوعتور الأموي من ذرية سيدنا عثمان بن عفان المولود في رجب سنة ١٢٤٠ المتوفىٰ في محرم سنة ١٣٢٥ ثابت الحفظ محكم الفهم وكانت إجازته لي في ٣

جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٣٢١.

ثانيها: ما أجازني العلامة الضليع شيخ الإسلام بتونس الشيخ محمود بن الخوجه كبير أهل الشورىٰ للمذهب الحنفيِّ المولود سنة ١٢٠٥ والمتوفَّىٰ سنة ١٣٢٩ وكانت إجازته لي في ١٥ جمادىٰ الأولي سنة ١٣٢٦.

ثالثها: ما أجازني الأستاذ العلامة النحرير شيخ الإسلام سيدي سالم بوحاجب كبير أهل الشورىٰ للمذهب المالكيِّ بتونس المولود سنة ١٢٤٤ والمتوفىٰ سنة ١٣٤٢ وكانت إجازته لي في ٢٥ رمضان سنة ١٣٢٨.

رابعها: ما أجازني العلامة الأستاذ المفتي الشيخ سيدي عمر المعروف بابن الشيخ مفتي المالكية بتونس المتوفي سنة ١٣٢٩ وقد ناهز التسعين وكانت إجازته لي في ربيع الأول سنة ١٣٢٥.

وهذه المناهل بعضها يلاقي بعضها، حتىٰ يخالها الناظر جداول تخللت روضًا، وهي وإن كان جميعها صراطًا مستقيمًا، يقول مختبرها: قد بلونا أبا سعيد حديثًا وقديمًا، فأنا مقتصر علىٰ سَوْق سند أولها لأنه يتصل بثلاثة أثبات مشهورة تمكن الإحالة عليها، ولأن إجازته لي معضودة بالرواية بالقراءة والضبط والفهم في جميع "موطأ مالك" رحمه الله وفي معظم "صحيح البخاري" من أوله إلىٰ كتاب الرقاق، وفي "صحيح مسلم" من أوله إلىٰ الترغيب في سكنىٰ المدينة وهو يناهز نصف "صحيح مسلم"، وفي جميع "الشفاء" لعياض وفي كتاب "الشمائل" للترمذيِّ، وفي جملة من "سنن أبي داود"، وفي نحو النصف من "المواهب اللدنية" وبالمناولة أيضًا في "الموطأ"، و"صحيح البخاري"، وكتاب "الشمائل" وإن إجازته لي كانت تامَّة عامَّة فيما

صحَّت له روايته وذلك بما أجاز له بخطِّه الحافظ الشيخ محمد صالح الرضوي البخاري حين حلوله بتونس في جمادىٰ الثاني سنة ١٢٦٢ اثنتين وستين ومائتين وألف، عن رفيع الدين، عن محمد بن عبدالله الشريف، عن عبدالله بن سالم البصري بما تضمنه كتابه المسمَّىٰ بـ"الإمداد" وسنده الغريب القريب من غير طريق الإمداد إلىٰ الإمامين البخاريِّ ومسلمٍ الذي سأذكره.

وأيضًا بما أجاز له بخطِّه الشيخ يوسف بدر الدين المدني حين حلوله بتونس سنة ١٢٦١هـ إحدي وستين ومائتين وألف، عن حسن القويسني الشافعي الأزهري ومحمد فتح الإله، وعبدالرحمن الكزبري، عن الشيخ محمد الأمير المصري بما تضمنه ثبته المعروف، وبسنده الغريب القريب إلىٰ الإمام البخاري الذي سأذكره.

ومما أجاز له بخطِّه الشيخ محمد الشاذلي بن صالح كبير أهل الشورىٰ المالكية بتونس سنة ١٢٨٩هـ تسع وثمانين ومائتين وألف، عن الشيخ محمد بيرم الملقب بالثالث عن جده الشيخ محمد بيرم الموصوف بالأول، عن الشيخ أحمد المكودي، عن الشيخ أحمد بن المبارك السجلماسي، عن الشيخ عبدالقادر الفاسي بما تضمنه ثبته.

وأما ما أجازني الشيخ محمود بن الخوجه، فعن أبيه الشيخ محمد بن الخوجه شيخ الإسلام للمذهب الحنفي، عن الشيخ إبراهيم الرياحي كبير أهل الشورىٰ للمذهب المالكي، عن محمد الأمير المغربي السلاوي، عن عمر بن عبدالصادق، عن أحمد الصباغ، عن عبدالله بن سالم البصري بما تضمنه كتاب الإمداد.

وأمَّا ما أجازني الشيخ سيدي سالم بوحاجب فهو عن عم ابن الطالب المعروف بابن سودة الفاسي حين حلوله بتونس، عن عبدالسلام الأزمي، عن محمد التاودي بن سودة الفاسي، عن أحمد بن المبارك السجلماسي، عن علي الحريشي، عن الشيخ عبدالقادر الفاسي بما تضمنه ثبته.

وأمَّا ما أجازني الشيخ سيدي عمر بن الشيخ، فعن الشيخ محمد الشاذلي بن صالح كبير أهل الشورى للمذهب المالكي، عن الشيخ إبراهيم الرياحي بما تضمنه السند أعلاه، وعن الشيخ محمد بيرم الثالث بما تضمنه سنده المذكور في أسانيد إجازة جدي التي ذكرتها آنفا.

وها أنا ذا أسرد السند إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في "موطأ مالك" وفي صحيحي "البخاري" و"مسلم" التي هي أصح الكتب المصنفة باتفاق أئمة الأثر، بخصوص طريق جدي المذكور:

فأمَّا "موطأ مالك" فأحدث به قراءة وإجازة مع المناولة عن جدي الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور، عن الشيخ محمد صالح الرضوي البخاريِّ، عن رفيع الدين، عن محمد بن عبدالله، عن عبدالله بن سالم البصريِّ، عن والده سالم، عن محمد بن علاء الدين البابليِّ، عن سالم السنهوريِّ، عن محمد الغيطيِّ، عن عبدالحق السنباطيِّ، عن الحسن بن محمد الحسينيِّ، عن الحسن النسَّابة، عن محمد بن جابر الوادياشي ثم التونسيِّ، عن عبدالله بن محمد بن هارون القرطبي الذي له طريقة عالية في "الموطأ"، عن أحمد بن يزيد القرطبي، عن محمد بن عبدالرحمن الخزرجي القرطبي، عن محمد بن فرج مولى بن الطلاع، عن يونس بن مغيث المعروف بالصفار، عن أبي عيسى يحيى بن عبدالله بن

يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي، عن عم أبيه عبيد الله بن يحيىٰ، عن أبيه يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي، عن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، فيما عدا ثلاثة أبواب من آخر كتاب الاعتكاف لم يسمعها يحيىٰ بن يحيىٰ من مالك فرواها يحيىٰ عن زياد بن عبدالرحمن الملقب بشبطون -بشين معجمة مفتوحة ثم باء موحدة- القرطبي، عن مالك وباعتبار الأحاديث الثنائية عن مالك رحمه الله، يكون بيني وبين رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أربعة وعشرون واسطة، نفعنا الله بهذه النسبة المباركة وألهمنا دوام الشكر علىٰ المنة بها.

وأمَّا صحيحا "البخاري" و"مسلم"، فلنا فيهما سندٌ واحدٌ عزيزٌ غريبٌ قريبٌ وهو من طريق الفِرَبْرِيِّ، حدَّثني جدي الوزير المذكور، عن الشيخ محمد صالح الرضوي، عن عمر بن عبدالكريم، عن محمد بن سِنة -ضبط بكسر السين في سند الشيخ صالح الرضوي-، عن أحمد بن موسي بن عجيل اليماني، عن محمد النهراواني، عن محمد بن عبدالله الطاوسي، عن المعمر بابا يوسف الهراوي، عن محمد بن شاذ بخت الفرغاني، عن يحيىٰ الختلاني، عن محمد بن يوسف الفربري، عن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وعن الإمام مسلم ابن الحجاج القشيري، بما في صحيحيهما.

وبهذا السند يكون بيني وبين رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الأحاديث الثلاثية من "صحيح البخاري" خمسة عشر راويًا.

نفع الله السيد المجاز بهذا السند، وأشرق عليه من أنواره ما يضيء إلىٰ أقصىٰ أمد، موصيًا إياه بالاحتياط في رواية الحديث إسنادًا وتفهيمًا، محذِّرًا إياه من المساهلة في ذلك فإني رأيت خطرها علىٰ الدين عظيمًا، وأسأل الله أن

يوفقني وإياه لما فيه رضاه وأن يجنبنا الميل إلى ما ينكره الدين ويأباه.

وكتب في شهر صفر سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة، محمد الطاهر بن عاشور الشريف شيخ الإسلام المالكي، بالقطر التونسي.

إجازة أخي المحدِّث العلامة الشيخ
أبي الفيض أحمد بن الصدِّيق

حمدًا لمن رفع أقدار أهل الحديث بين سائر الأنام، وجعلهم خلفاء رسوله الكريم فكانوا ملجأ للخاصِّ والعامِّ، ونفع بهم حملة شريعة الإسلام، وطوق بمنتهم رقبة كل عالم وإمام، وحفظ بما خصهم به من الإسناد دينه الحنيف فكانوا حماته الكرام وحملته العدول النافين عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجهلة اللِّئام.

والصَّلاة والسَّلام على خاتمة الرسل الكرام، ومسك ختام لبنة التمام، سيدنا محمد المخبر بأن خدمة سُنَّته العاملين بها لا ينقطعون إلى يوم القيام، ولا يزالون ظاهرين على الحقِّ وقائمين به حقَّ قيام، وعلى آله القادة الأعلام، وصحابته الأماجد الكرام.

أما بعد: فلما كان الإسناد من الدين بالمنزلة التي يعرفها العلماء وتشرئب لها أعناق الفضلاء، وتسمو إليها همم الكاملين من حملة العلم النبلاء، وتعظم فيها رغبة المحققين الكملاء، ولا يغفل عنها إلا القاصرون الأغبياء والجاهلون الأدنياء، سمت همة الإمام العلامة والحبر البحر الفهامة، المشارك في المنقول والمعقول والمحقِّق لعلوم الفروع والأصول، المسند الراوية والمحدِّث الواعية، خادم الحديث الشريف والذاب عن حوزة حرمه المنيف، ذو التآليف العديدة النافعة والتصانيف المفيدة الجامعة المدرس النفاعة ومن هو لكل الفضائل واعية جماعة، شقيقنا أبو المجد السيد عبدالله ابن الشيخ الإمام علم الأعلام، بحر العلوم والمعارف ومعدن الأسرار واللطائف، المجتهد المطلق ومن أمر

ولايته مقطوع به محقق، القطب الكامل والفرد المحمدي الواصل، خاتمة أئمة الإسلام، مولانا الوالد المقدس أبي عبدالله سيدنا محمد بن الصِّدِّيق الشريف الحسنيِّ رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به، آمين.

فطلب منا أن نجيز له سائر مروياتنا وما تلقيناه عن شيوخنا فأجبناه إلىٰ ذلك محققين رغبته بالانخراط في تلك المسالك، وإن كنا لسنا هنالك ولا معدودين من جملة أولئك.

فقلنا: أجزنا للعلامة المذكور، والفهامة الذي صيته ذايع مشهور، إجازة عامة في كل ما أجازه لنا أشياخنا الزائد عددهم علىٰ المائة مما حوىٰ ذكرهم وأسانيدهم مشيختنا وفهارسنا ومعاجمنا كـ"المعجم الصغير"، و"المعجم الوجيز للمستجيز"، و"المشيخة" في مجلد و"صلة الوعاة بالمرويات والرواة" في مجلدين ضخمين، واختصاره المفيد المسمىٰ: "ركوب العجلة للاتصال بالنقلة" و"العقد الفاخر بما لأحمد بن الصديق من المفاخر" في أربعة أجزاء.

وما أسندناه عنهم في كثير من مؤلفاتنا المطبوعة وغيرها، وأجزنا له أن يجيز نيابة عنا من أحب الرواية عنا مباشرة، كما أجاز لنا ذلك بعض أشياخنا وشيوخهم رغبة في علو الإسناد ونشر علم الرواية.

والله المسئول أن ينفعنا وإياه بما علمنا ويعلمنا ما ينفعنا ويزيدنا علما، والحمد لله علىٰ كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار وأعداء السنة الأشرار، آمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وسلم.

كتبه الفقير إلىٰ الله تعالىٰ خادم الحديث أحمد بن الصديق في يوم السبت ثالث عشر جمادىٰ الأولىٰ من سنة إحدىٰ وسبعين وثلاثمائة وألف.

إجازة السيد هبة الدين الحسيني
أحد علماء الشيعة بالنجف

بسم الله وله الحمد.

مولانا الأجل الأمثل، سيد الأجلة وشريف الملة فضيلة السيد عبدالله الصِّدِّيق الحسني الإدريسي أحسن الله حاله ومآله وكثر في المسلمين أمثاله.

سلام عليكم طبتم كما طابت السلالة من آبائكم الميامين، فأرجو أن يوافيكم هذا الكتاب وأنتم كما تحبون كما أحبه لكم من صحةٍ كاملةٍ وعافيةٍ شاملةٍ، وقد شرفنا تحريركم المنيف قبل أسبوع، تطلبون فيه إجازة الرواية عن مشايخي البررة وإجازة مؤلفاتي ومؤلفاتهم المعتبرة، فقدمت الميسور اكتفاءًا به عن غيره المعسور معتمدًا على مكارم أخلاقكم في قبول العذر «والعذر عند كرام الناس مقبول»، وربما سنحت فرصة أخرى تمكنت فيها من تحرير إجازة أخرى وأخرى، وذلك بدعواتكم الذاكية لإدراك التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١١ رجب سنة ١٣٥٤

المخلص، هبة الدين الحسيني.

إجازة العلامة المؤرخ محمد راغب الطباخ

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن جعل مقام المتوجِّهين إليه اللائذين بجنابة الأقدس هو المرفوع، والمعرضين عن ذكره الملتفتين إلى هذه الأغيار هو الموضوع، وصلاة وسلامًا على من أوتي جوامع الكَلِم واللسان الفصيح، وجاءنا بالملة السمحة والدين الصحيح، وعلى آله وأصحابه الذين سمعوا مقالته فوعوها وأدوها إلينا كما سمعوها، فوصلتنا شريعته الغرَّاء مسلسلة الإسناد بديعة النظام خالصة من شوائب الانقطاع والأوهام، فنالوا بعملهم الحسن المنازل العوالي في دار القرار، ورتعوا في رياض الجنة مع الأنبياء الأخيار وفازوا بالنعيم الدائم المقيم، ورضوان الله العظيم.

وبعد: فإن الأستاذ الفاضل والأديب الكامل: الشيخ عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق الغُماريَّ الحسنيَّ المغربيَّ نزيل مصر، أرسل لي منها كتابًا مؤرَّخًا في التاسع عشر من شهر شوال سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف، وهو معرب عن فضله الجم وأدبه الغزير ومما جاء فيه: «وإني لأرجو في فاتحة هذا التعرف المبارك منتهزًا الفرصة أن تتحفوني وأخي الأكبر السيِّد أحمد بن محمد الصِّدِّيق بإجازةٍ منكم لنا بما لكم من مرويات وتذكرون مشايخكم وما لكم من الأسانيد العالية منها على وجه الاستيفاء لذلك».

إلى آخرما جاء فيه وهذا منه ومن أخيه حفظهما الله تعالى وأكثر بهما النفع مبنيٌّ على حسن الظنِّ بهذا العاجز، وأني من أهل هذا الشأن وفرسان ذلك الميدان، في حين أني لست أهلًا لذلك ولا ممن جابوا تلك المسالك، ويصدق

عليَّ قول من قال:

نزلُــوا بمكــةَ في منــازلِ هاشــمٍ ونزلــتُ بالبيــداءِ أبعــد مَنْــزلِ

ولكني حفظًا لسلسلة الإسناد في هذه الأمَّة المحمدية الذي هو من خصائصها السَّنية، وجدت أن لا مندوحة لي عن إجابة الطلب وتلبيته بما أحب.

فأقول وعلىٰ الله الاتكال في الحال والمآل أني أجزت الأخ الفاضل الشيخ عبدالله بن محمد المتقدم الذكر بجميع ما يجوز لي روايته من مقروء ومسموع وبما أجزت به إجازة عامة، وذلك بالشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر، وأسانيدي في الكتب الحديثية وغيرها من العلوم والفنون مبسوطة في أجازاتي من مشايخي التي ذكرتها في ذيل كتابي "الأنوار الجليلة في مختصر الإثبات الحلبية" الذي اختصرت فيه ثلاثة أثبات لثلاثة من أعلام الشهباء في القرن الثاني عشر، وقد طبعته في مطبعتي العلمية بحلب، وقد جمع هذا الثبت فأوعىٰ لأسانيد الصحاح الستة وغيرها من كتب الحديث والعلوم، وحوي الأثبات ومعاجم ومسلسلات لا تحصىٰ.

وإني أروي "صحيح الإمام البخاري" رضي الله عنه عاليًا عن شيخي الشيخ كامل الهبراوي الحلبي عن مشايخه السيد أحمد دحلان المكي، والشيخ أبي الخير أحمد المكي، والشيخ محمد سعيد الفرا الدمشقي، والشيخ داود البغدادي، والشيخ إبراهيم السقا المصري، وسند كل واحد من هؤلاء مثبت في الشجرة المثبتة بعد صحيفة ٤ من كتابي المتقدم التي سماها شيخنا المذكور: "الشجرة الغالية في الأسانيد العالية".

وأرويه أيضًا عاليًا مسلسلًا أوله بالحلبيين عن شيخي الشيخ كامل المؤقت الحلبي، عن والده الشيخ أحمد، عن والده الشيخ عبدالرحمن، عن والده الشيخ عبدالله، عن والده الشيخ عبدالرحمن الحنبلي الشامي مولدًا الحلبي إقامة، عن الشيخ محمد عقيلة المكي، إلىٰ آخر سنده المثبت في صحيفة ٣٥٩ من كتابي المتقدم وتجدون بتتبع كتابي المذكور أسانيد عالية لـ"صحيح الإمام البخاري" وغيره من كتب الحديث والعلوم.

وأوصي الأخ الفاضل المذكور أعظم الله لي وله الثواب والأجور بما أوصي به نفسي من تقوىٰ الله تعالىٰ في السر والعلانية، والإخلاص له تعالىٰ في القول والعمل، وأن لا يألو جهدًا في الاهتمام بأمر المسلمين والسعي في خدمة دينه وأمته وبلاده، ونشر دعوة نبيه محمدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالحِكمة والموعظة الحسنة، وليقصد بذلك وجه الله تعالىٰ وحفظ هذه الشريعة المطهرة من أدناس المبتدعين والملحدين، فقد ورد عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**خيرُ القومِ المدافعُ عن قومه ما لم يأْثَمْ** »، وورد عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**لأن يهديَ اللهُ على يديكَ رجلًا خيرٌ ممَّا طلعتْ عليه الشمسُ وغربتْ**».

وأوصيه أن لا ينساني من دعواته الصالحة في الأوقات الرابحة، وإني أسأل الله تعالىٰ أن يوفقه لما يحبه ويرضاه ويجعله من المقتدين بسنته القائمين بشريعته.

وصلىٰ الله علىٰ خير خلقه سيدنا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المبعوث رحمة للعالمين وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين ولا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبي ونعم الوكيل.

كتبت في التاسع من شهر ذي القعدة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية، قاله بفمه وكتبه بقلمه خادم السنة النبوية بمدينة حلب محمد راغب الطباخ عفى الله عنه.

إجازة العلامة عبدالباقي الأنصاري المدني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع أهل الحديث بما تواتر من صدقهم مكانًا عليًّا، ووضع بمشهور نقدهم ضعيفًا انتبذ بعلته عن مسند الصحيح، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أتخذها لسفر الآخرة زادًا، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أصل النجاح وقطب دائرة الفلاح هدىً ورشادًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعلى آله الأطهار، وأصحابه رواة ما صح من الأخبار.

وبعد: فلما كان العلم أفضل صفة بها اللبيب يتحلَّى، وأكمل خلة بها الأريب يتجلَّى، وأبهى فرض تقصده الأفاضل، وأبهى عرض ترصده الأماثل، وكان الإسناد منه بمنزلة الإنسان للعين والعين للإنسان، وكيف لا وهو الطريق الموصلة إلى سيد الإنس والجان، وقد حث عليه السلف الصالح والخلف الناجح، وبذلوا في ذلك الهمم العلية والأفكار الألمعية، فبلغوا بذلك المراتب العلية، ونالوا بذا المنازل السنية. قال عبدالله بن المبارك: «طلب الإسناد من الدِّين»، وقال أحمد بن حنبلٍ: «طلب الإسناد العالي سُنَّـةٌ عمن سلف» وقال الثوريُّ: «الإسناد سلاح المؤمن»، قال النوويُّ: «فإن لم يكن معك سلاح فبم تقاتل؟!».

طلب مني بطريق الرسالة الإجازة في جميع العلوم منطوقها والمفهوم، العلامة الفاضل والفهَّامة الحُلاحِل الشيخ السيد عبدالله بن محمد الصِّدِّيق متَّع الله المسلمين بعلومه، وتقبَّل منه ما يذب عن دينه بحرمة رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ولما كان طلب الإجازة من بلد إلى بلد بين العلماء قديمًا وحديثًا مشهورًا، وألفيت العلامة المذكور بإفاداته في العلوم ممدوحًا مذكورًا، أجبته لذلك

وأسعفته بما هنالك، على سُنَّة الأكابر وان كنت بين أهل العلم من الأصاغر.

فأقول مُتبرِّأ من القوة والحول: أجزت الفاضل العلامة بجميع ما تصح لي روايته من منقول ومعقول، فروع وأصول، إجازةً تامَّةً مطلقةً عامَّةً بشرطها المعتبر لدى أهل الحديث والأثر، كما أجازني مشائخي الأعلام وأساتذي الفخام فإني بحمد الله قد أخذت عن عدة مشايخ أجِلَّة، هم في سماء العلوم بُدورٌ وأهِلَّة، كما ذكرته في رسالتي: "الإسعاد في الإسناد"، وفصلت أسانيدهم في "عقود اللآليء المتلألئة من الأسانيد العالية"، وفيما ذكرته في "نشر الغوالي من الأسانيد العوالي" كفاية لأهل الرواية.

وقد أجزت العلامة المذكور بجميع ما احتوت عليه هذه الأثبات، وسائر ما أرويه من الثقات أن يروي عني لمن رآه أهلًا لذلك مع التقوى والتحرِّي، وأن يقول فيما لا يدريه: لا أدريه، موصيًا لي وله باتباع السُّنَّة البيضاء، والذبِّ عن الشريعة الغرَّاء، سائلا منه دوام تذكري في خلواته وجلواته بصالح دعواته، نفع الله به الخواص والعوام، وختم لي وله بأحسن الختام، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وآل كل وصحبه والتابعين، وعلينا معهم برحمة الله، آمين.

قاله بفمه وأمر برقمه العبدالحقير المعترف بالتقصير، محمد عبدالباقي حفيد ملا مبين الأنصاري الأيوبي المدني حشره الله في زمرة الصالحين، ورزقه في الجنان جوار سيد المرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وذلك في الثالث عشر من ذي الحجَّة الحرام سنة اثنين وستين وثلاثمائة وألف من هجرة سيد الأنام، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأكمل السلام.

إجازة العلامة خليل الخالدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل مجالس أهل السُّنَّة روضة من رياض الجنة، وجعل اسم الحديث في القديم والحديث أنفاس حضرة ذي الرسالة، والصلاة والسلام على صاحب الحضرة وساقي ندماء المحبة من تلك الخمرة سيدنا محمد الذي ارتقى أوج المعالي، واعتلى بأخمصه الشرف العالي، وعلى آله وأصحابه ما اتصلت سلسلة الإسناد، واعتني بحفظها الجهابذة النقَّاد.

وبعد: فقد أجزت العالم الفاضل والألمعيَّ الكامل سليل الأفاضل السيد عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق بن أحمد بن عبدالمؤمن الغُماريَّ بكافَّة مرويَّاتي ومسموعاتي من منقول ومعقول ومنشور ومنظوم، عن مشايخي في الشام ومصر والروم، وبكافَّة من أجازني بمرويَّاته من سائر المشايخ في الشرق والغرب، إجازةً شاملةً عامَّةً راجيًا أن لا ينساني من دعواته أوقات دروسه وعقب صلاته، موصيًا إياه بمزيد عنايته بهذه الكتب.

وهي "شرح البخاري" للخطابي، وشرحه لابن بطال الأندلسي فإنهما أصل لكافة شروح البخاري، والشرح المسمى بـ"المعلم على صحيح مسلم" للمازري، و"إكمال المعلم" للقاضي عياض، و"شرح النووي على مسلم"، وكذا "شرح ابن الصلاح" عليه، و"شرح سنن أبي داود" للخطابي المسمى بـ"المعالم"، و"شرح سنن الترمذي" المسمى بـ"عارضة الأحوذي" لابن العربي، و"شرح الترمذي" للحافظ العراقيِّ، وشرحه لابن سيد الناس، و"سنن النسائي" لا سيما "الكبرى"، و"سنن ابن ماجه"، و"سنن الدرامي"،

و"سنن الدارقطني"، و"مجمع الزوائد" للحافظ الهيثمي، و"الموطأ" وشروحه الثلاثة هي: "التمهيد"، و"الاستذكار" كلاهما لابن عبدالبر، وشرح القاضي أبي الوليد الباجي المسمى بـ"المنتقى"، و"السيرة الكلاعية"، و"سيرة ابن سيد الناس"، وكتاب "فتح الباري على البخاري" لابن حجر العسقلاني، و"مشارق الأنوار" للقاضي عياض، وشرح الحافظ السخاويِّ على ألفية الحديث المسمَّى بـ"فتح المغيث"، هذا ما أحببنا أن نوصيكم به، والله وليُّ أنجادكم على ما يكون لكم ذكرًا في الدارين.

وكتبه بخط يده الفقير إلى عفو الله ورحمته خليل بن بدر بن مصطفي بن خليل بن محمد بن خليل بن صنع الله بن خليل الخالدي المقدسي في تاسع عشر شوال سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف مصلِّيًا على النبي وآله وصحبه.

إجازة الملك إدريس السنوسي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمدٍ النبيِّ الأمين، ورضي الله عن آله الأكرمين وصحابته والتابعين.

وبعد: فقد أجزت الأستاذ السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بما تجوز لي روايته إجازةً عامَّةً خصوصًا مؤلَّفات جدنا الإمام السيد محمد بن علي السنوسي رضي الله عنه كما أجازني مشايخي العِظام وأساتذتي الفخام.

وأسأل الله لي وله الهداية والتوفيق، كتبت في ٣ صفر سنة ١٣٨٩هـ.

محمد إدريس المهدي السنوسي

إجازة العلامة عبدالحفيظ الفاسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجاز أولياءه بجوائز عوارفه، وخصَّ أصفياءه بخصائص لطائفه، وبعث سيدنا محمدًا مُبيِّنًا لتعاليم الشرع ومقاصده، وفتح باب العلم لقاصده صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعلىٰ آله وصحبه الواصلين طارف المجد بتالِده.

هذا، وإن فضيلة العالم الكبير والعلامة الشهير، صاحب المؤلَّفات العديدة والمباحث المفيدة، الراوي للحسب والنسب من أعذب الموارد، الوارث الفضل والمجد عن الجد والوالد، أبا سالم السيد عبدالله بن الشيخ الأشهر، القدوة الأكبر، أبي المكارم سيدي محمد الغُماريِّ الحسنيِّ الشهير بابن الصِّدِّيق، أبان الله لي وله معالم الطريق، ورحم السلف وبارك في الخلف، رغما عن تعلقه بالعلوم، وتفنُّنه رواية ودراية في المنطوق والمفهوم، فإنه لم يكتف بما لديه بل هو دائم البحث والتنقيب لضم ما عند غيره إليه، كما كان عليه علماء هذا الشان وفي الأثر: «**مَنْهُومَانِ لا يشْبَعَانِ**».

ولما كانت الإجازة من أصح أنواع التحمُّل التي يحصل بها في الرواية التجمُّل، طلب مني في الديار المصرية، وذلك دلالة علىٰ همته العلية، أن أمكن معه عرىٰ الوداد، بإجازته بما لنا من رواية وإسناد، فأسعفته بزفه إليه ونفعه به في مطلوبه وساعدته في مرغوبه، حرصًا علىٰ بقاء سلسلة الإسناد الممتازة بها هذه الأمة من بين سائر العباد، ورجاء دعوة لي بالسلامة والتوفيق وحسن الختام، والموت علىٰ الإيمان والإسلام.

فأقول مستعينًا بذي الطول، متبرئًا من الحول والقول:

أجزتُ السيِّد المومأ إليه، الحَريَّ بكلِّ خيرٍ لديه، بحديث الرحمة المسلسل بالأوَّلية، وهو قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعلىٰ آله: «**الرَّاحِمون يرحَمُهمْ الرحمنُ تَباركَ وتَعالى، ارحَمُوا مَنْ في الأرض يرحَمْكمْ مَن في السَّماء**».

وبجميع ما صحَّ وتصحُّ لي روايته، وثبتت لي درايته من منقول ومعقول، وفروعٍ وأصول، ومقروءٍ ومسموعٍ، ومُفرَّقٍ ومجموعٍ، وإجازةٍ ووِجادةٍ، ورحلةٍ وإفادةٍ، ومرويٍّ ومتناول، وغريبٍ ومتداول، خصوصًا كتب السُّنَّة النبوية، وما أُلِّف فيها من كتب الصحاح، والسُّنن، والمسانيد، والجوامع، والمستخرجات، والمستدركات، والمعاجم، والأجزاء، والأطراف، والطبقات، والفهارس والأثبات، والمشيخات والإفادات، والإرشادات والمسلسلات، بأنواعها علىٰ كثرتها وتباين طرقها، وبما أَلَّفناه وتطفَّلنا بجمعه وصنَّفناه حسبما حصلت لنا رواية كل ذلك عن أئمة أعلام، روح الله تعالىٰ أرواحهم في دار السلام.

إجازة خاصة وعامة، وشاملة مطلقة تامة، له ولأبنائه ولمن له ذلك من غيرهم.

إجـــازةً تَعَمُّـــه ونَسْـــلَهُ   حاويـةً معنـىٰ الـذي سِـيقت لـه

ومَـن يـرَىٰ مِـن نسـله مـذ تبعـه   كـالأول اجعلـه بـلا مُنازَعَـه

بالشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر، موصيًا له ولنفسي بما أوصىٰ الله به عباده في كتابه الكريم وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟﴾ [النساء: ١٣١].

وألا ينساني من صالح دعائه في خَلَواته وجَلَواته، بما نرجوه من سلامتنا

وعافيتنا في دنيانا، ونتمنَّاه من التوفيق في ديننا والنجاة في أُخرانا.

قاله وكتبه: عبدالحفيظ بن محمد الطاهر الفهري نسبًا، الفاسي أصلًا ولقبًا، الرباطي وقته استيطانًا.

مصليًا ومسلمًا وحامدًا وشاكرًا ومختتمًا بما رويناه من طريق الحافظين: صلاح الدين العلائي وأبي طاهر السلفي، بسندهما المسلسل بالدعاء عند ختم القرآن، إلى أمير المؤمنين سيدنا عليٍّ بن أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه وعليه السلام، قال: قرأت على حبيبي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلما بلغت رأس العشرين من ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ - ٢]، من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢].

فاضت عيناه بالدموع، وقال لي: «**يا عليُّ أمِّن على دعائي فإن جبريلَ أتاني بهذا الدُّعاء وأمَرَني أنْ أدعوَ به عندَ ختم القرآن: اللهم إني أسألك إخْباتَ المُخْبتينَ، وإخلاصَ الموفَّقِينَ، ومرافقةَ الأبرارِ واستحقَاقَ حقائقِ الإيمانِ، والغنيمةَ من كلِّ بِرٍّ، والسلامةَ من كل إثمٍ، ووجوبَ رحمتك، وعزائِمَ مغفرتِك، والفوزَ بالجنَّةِ، والنجاةَ من النَّارِ**».اهـ

وقُيِّد في يوم الاثنين لأربع خلون من ذي القعدة الحرام عام ستة وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية، الموافق لثلاث خلون من يونية عام سبعة وخمسين وتسعمائة وألف ميلادية، رزقنا الله خيرهما وأعاذنا من شرهما بمنه، آمين.

إجازة العلامة عبدالقادر توفيق الشِّلَبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجازنا بجوائز فضل تبتهج بها الأنفس وتقر العيون، وشرح صدورنا بتحقيق حقائق سر ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، ورقى بنا على معارج التفهام إلى سدرة عوارف المعارف، وأسبغ علينا نعمه وأظلَّنا بظلِّ ظليل فضله الوارف، وأطلق ألسنتنا بالتحدُّث بجميل نعمه إجمالًا وتفصيلًا، ومنحنا التشرُّف بجوارالذي فاق العوالم جمالًا وتفضيلًا، وأحيا القلوب بنور حياة قلبه الواسع لكلِّ شيءٍ رحمة وعلمًا وهدى وبشرى للمؤمنين، واختصَّه بخصوص خصائص ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وأشهد أن لا إله إلا الله الذي ختم بفاتحة النبوة مظهر دور دائرة الرسالة ونظام عقد دره المكنون، فكان ختامًا مسكًا وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وأشهد أنَّ سيِّدنا ومولانا محمدًا عبده المرسل للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، لوح نقوش المعارف الجامع، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧]، ولسان الغيب المُفصِح بجوامِع كلمه عن مكنون علوم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢]، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى وبدور الاقتدا الفائزين بسره المخصوص ببلوغ المرام، في المبدأ والختام.

أما بعد: فإن العلم من أجل المقاصد وأجملها، وأتم الوسائل وأكملها،

وأسنىٰ المناقب ذخرًا، وأسمىٰ المراتب عزًّا وفخرًا، وأرفع فضل تزدان به المعالي، وتزدهي بجلال المناصب مدىٰ الأيام والليالي، وأنفس نفيس يتنافس فيه المتنافسون، وأحلىٰ حلي يتحلىٰ به النبلاء الراغبون، بل هو النور تستنير به آراء الفضلاء في توضيح المشكلات، وتستكشف به الأفكار غياهب التعقيد في حل المعضلات، والروضة التي جنت ثمارها أيدي ذوي الجد والاجتهاد، والدر الذي نظمت منثور فوائده ببنات اليراعة البلغاء الأمجاد.

هذا، ولما كان الإسناد من الدِّين والآخذ به مُتمسِّكٌ بحبلِ الله المتين، وهو من خصائص هذه الأُمَّة وقد تشرَّفت به من قبلنا السادة الأئمَّة، وأمرني من تجب طاعته ولا تسعني مخالفته، حُجَّة الإسلام والمسلمين وصدر صدور العلماء المحقِّقين، مولاي العارف الربَّاني الشريف السيد محمد ابن الشيخ الإمام العالم الفاضل والمرشد الكامل سيدي عبدالكبير الكتاني أن أجيز أنجاله الكرام وأخواته الفخام، بجميع ما تجوز لي روايته من معقول ومنقول، وفروع وأصول، فامتثلت أمره ولبيته لذلك، وإن لم أكن من رجال هاتيك المسالك، وقلت:

قد أجزت أنجاله الأماثل وإخوته الأفاضل، لا سيما العلامة النحرير والمحدِّث الشهير، معدن المفاخر وارث العلم كابرًا عن كابر، مولاي عبدالحي، بجميع ما تجوز لي روايته من منطوق ومفهوم، وتثبت لي درايته من سائر العلوم، بالشروط عند أولي الأثر، حسبما أجازني بذلك مشايخي الأئمة العارفون وأساتذتي العلماء الراسخون.

منهم: العلامة الإمام الشيخ حبيب الرحمن الهندي الكاظمي نزيل المدينة المنورة، وهو عن السيد أحمد دحلان، والشيخ جمال مفتي الحنفية بمكة،

والشيخ عبدالغني المجددي، والشيخ عبدالغني الميداني تلميذ المحقق ابن عابدين، وعن عبدالرحمن باقربتي الهندي، والشيخ منة الله اللكوني.

ومنهم: الفقيه المحدث العلامة الشيخ بدر الدين المغربي الجزائري الدمشقي، ومنهم: الفقيه الشيخ العلامة السيد حسين الحبشي المكي، ومنهم: الفقيه العلامة الحنبلي الشيخ عبدالله القدومي النابلسي ثم المدني، ومنهم: الفقيه المحدث العلامة الشيخ بكري العطار الدمشقي وقد أجازني بالكتب الستة.

ومنهم: الفقيه الإمام ناصر الملة والدين مولانا الشيخ حسين أفندي الجسر الطرابلسي مؤلف "الرسالة الحميدية"، وقد أجازني بسائر مؤلفاته ومروياته، ومنهم الفقيه الجليل الشيخ عبد الحميد الخطيب الطرابلسي، والفقيه الفاضل الشيخ خليل صادق الطرابلسي، عن شيخه الشيخ محمد الإنبابي، والفقيه الكامل الشيخ محمد ابن مولانا العلامة الشيخ عبدالغني الرافعي، وهو عن والده، وعن نعمان أفندي الألوسي نجل الإمام المفسر السيد محمود الألوسي البغدادي.

ومنهم: عمدة العلماء الأبرار الفقيه الشيخ محيي الدين الخطيب الطرابلسي الشهير بالحفار، وأسانيده مشهورة عَلِيَّة رواها عن أئمة هدىً ودراية ورواية، منهم عمه العلامة الفقيه الشيخ عبدالقادر الخطيب الطرابلسي المدني، وأخوه الشيخ عبدالحميد المتقدم ذكره، وابن خالته الشيخ محمود منقاره، وأستاذه خاتمة المحدثين العارف بالله تعالىٰ الشيخ محمد القاوقجي، وشيخه الإمام الشيخ محمود نشابه تلميذ الشيخ الباجوري، وشيخه الفقيه العلامة الشيخ عبدالغني الرافعي السابق الذكر، وغيرهم من العلماء الأعلام وكلهم من علماء طرابلس الشام.

ومن أشياخي العلامة الكبير، والمعمَّر الشهير مولانا السيد عبدالله السكري الدمشقي، ومن أشياخي الأماثل الشيخ الفقيه الشريف أبو النصر الخطيب الدمشقي عن أشياخه المصريين: كالباجوري، والسقا، والدمنهوري.

والشاميين: كوالده، وعمر الغزي، والشيخ هاشم التاجي، والشيخ حسن البيطار، والشيخ حسن الحفار، والفقيه المحدث الإمام الشيخ عبدالرحمن بن محمد الكزبري، والفقيه الشيخ حامد بن أحمد العطار، والشيخ أحمد الداودي الطرابلسي الشامي.

والمدنيين: كالشيخ يوسف الغزي، والشيخ محمد العزب، والشيخ عبدالكريم النخلي، والفقيه العلامة الشريف السيد إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي، عن الشيخ صالح الفلاني.

والحلبيين: كالشيخ أحمد شنونا الشهير بالحجار، والشيخ أحمد التزمانيني وغيرهم.

ومن مشايخي الأفاضل: الشيخ حسب الله المكي عن أشياخه، كالشيخ الباجوري، والشيخ عبدالحميد الداغستاني.

ومن أشياخه الشيخ أحمد الدمياطي عن أشياخه، كالشيخ حسن القويسني، والشيخ الباجوري السابقين.

وكالشيخ عبدالغني الدمياطي عن أشياخه، الشيخ أحمد النحراوي، عن شيخه الجمال الفضالي، والشيخ أحمد الدمهوجي، كلاهما عن الشيخ عبدالله الشرقاوي.

ومن أشياخه الشيخ عبدالغني الدمياطي المتقدم الذكر، عن أشياخه

كالشيخ الشرقاوي، والشيخ الأمير الكبير، ومن أشياخه الشيخ عبدالغني الدِّهْلوي الهندي، ومن أشياخه: الشيخ مصطفي المبلط، عن أشياخه كالشيخ محمد الشنواني مُحَشِّي "مختصر ابن أبي جمرة".

ومن أشياخه: الشيخ إبراهيم السقا عن أشياخه، كالشيخ ثعيلب، عن شيخه الملوي، والشهاب الجوهري، وكالشيخ الأمير الصغير، عن والده الأمير الكبير، وكالشيخ محمد الفضالي، وكالشيخ حسن القويسني، عن شيخه: أحمد جمعة البجيرمي الحافظ، وكالشيخ محمد بن محمود الجزائري، عن الشهاب الجوهري.

ومن مشايخه: الشيخ أحمد منةالله، عن الشيخ الأمير الكبير، وابنه الصغير، وعن الشيخ شافعي الفيومي، والشيخ عبدالرحمن بن محمد الكزبري.

ومن أشياخه: الشيخ محمد القاوقجي المتقدم الذكر، عن الشيخ عابد السندي، وعن الشيخ الباجوري، وعن الشيخ العارف محمد المصري قدَّس الله سِرَّه وأفاض علينا أنوارهم.

وأوصي المجازين بتقوىٰ الله تعالىٰ، وأن لا ينسوني من صالح دعواتهم، في خلواتهم وجلواتهم، وسلام علىٰ المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

حرَّره العبد الضعيف المفتقِر إليه عزَّ شأنه عبدالقادر توفيق الشلبيُّ عفي عنه». اهـ

وإني أجزتُ أيضًا جميع أولاد الأستاذ المجاز المفضال: سيدي السيد محمد الباقِر وأحفاده، وأحبَّاءه الفُضلاء، علىٰ الأخص الفاضل الجليل والعلَّامة النَّبيل السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق، وكل من رأىٰ فيه الأهلية.

خادم العلم الشريف في الحرم الشريف عبدالقادر توفيق الشلبي.

إجازة العلامة عبدالواسع اليماني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع منزلة العلماء من بين الأنام، وخصَّهم بصحة السند وعلو الإسناد التام، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ المظلَّل بالغمام، وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بتبليغ سُنَّته أتم قيام.

أما بعد: فقد التمس مني السيدان العالمان الفاضلان: السيد العلامة أحمد بن محمدٍ الصِّدِّيق، وأخوه السيد العلامة عبدالله بن محمدٍ الصِّدِّيق الإجازة بما تجوز لي روايته من كتب الحديث وغيرها، ولم أجد بُدًّا من إجابتهما لذلك الطلب، وإن كان لا يعول على مثلي في أرب، وذلك من حسن ظنهما بي مع علمهما بقصور باعي وقلة اطلاعي.

فأقول: قد أجزتهما في كل مالي من رواية ودراية ومنقول ومعقول وفروع وأصول بشرطه الذي هو عند أهل الأثر مقبول، حسبما أجازني بذلك أشياخي العظام، جمعنا الله وأحبتنا بهم في دار السلام.

وقد أخذت العلم ولله الحمد والمنة عن كثير من المشايخ، من علماء اليمن، والحجاز، ومصر، والشام، والمغرب، والهند، وأجازوني بما لهم من رواية ودراية، وبمؤلفاتهم ومؤلفات مشايخهم، وبما اشتملت عليه أثباتهم، وجملتها اثنان وسبعون ثبتًا، أخذت بعضها بالسماع، وبعضها بالإجازة العامة، وخمسة وأربعون مسلسلًا بالقراءة، ومشايخي بضع وسبعون شيخًا، أذكر بعضًا منهم هنا، وقد استوفيت أسماءهم ومقروءاتي عليهم، وإجازاتهم وأثباتهم، في مؤلفي في هذا الشأن، المسمى: "النظم الفريد لمتفرقات الأسانيد" وهو أجمع كتاب في هذا الفن.

فأذكر أولًا من مشايخي أستاذ أهل الرسوخ، وشيخ الشيوخ، الجبل الراسي القاضي العلامة محمد بن أحمد العراسي، رحمه الله المتوفىٰ سنة ١٣١٦هـ، حضرت عليه في الروضة شمال صنعاء في منزله أيام الخريف سنة ١٣١٢هـ في قراءة تفريج الكروب.

ومن مشايخي: القاضي العلامة علي بن حسين المغربي رحمه الله وقد قرأت عليه الصحيحين مع المطالعة في الشروح حال القراءة، ومن كتب الحديث لأهل البيت عليهم السلام: "أمالي الإمام المرشد بالله" و"أمالي أبي طالب" و"شفاء" الأمير الحسين وفي "سنن أبي داود"، و"شفاء" القاضي عياض، وفي أصول الفقه: "الغاية"، مع شرحها للحسين ابن الإمام القاسم وفي "الشرح الصغير" المختصر للسعد، و"الثمرات في أحكام الآيات" مجلدان، للفقيه يوسف، وأجازني بهذا بما أشتمل عليه "إتحاف الأكابر في إسناد الدفاتر" للشوكاني.

ومن مشايخي عم المذكور القاضي العلامة حسين بن محسن المغربي رحمه الله، حضرت عليه في الحديث والتفسير، قرأت عليه ثبت شيخه السيد العلامة عبدالكريم بن عبدالله أبي طالب، المسمَّىٰ: "العقد النضيد فيما اتصل من الأسانيد" بقراءته علىٰ شيخه المؤلِّف أجازني بما اشتمل عليه العقد النضيد.

ومن مشايخي القاضي العلامة حسين بن علي العمري حفظه الله، حضرت عليه في الفقه "شرح الأزهار في فقه الأئمة الأطهار"، وفي التوحيد: "إيثار الحق علىٰ الخلق"، وفي علم العربية: "حاشية يسين علىٰ قطر الفاكهي"، "شرح الخبيصي علىٰ كافية ابن الحاجب"، "المطول في علم المعاني"، "شرح الكامل في

أصول الفقه"، "حاشية اليزدي على شرح إيساغوجي في المنطق".

وفي علم الأثر: "شرح النخبة" و"ثمرات النظر في علم الأثر"، وفي الحديث: الأمهات الست، "سبل السلام" للأمير، و"مسند الإمام زيد"، و"شفاء" الأمير الحسين، وبعضًا من المسلسلات.

وفي علم الصرف: "شرح الشافية" للشيخ لطف الله الغياث المسمى: "المناهل الصافية"، وفي السيرة النبوية: "سيرة ابن هشام"، "بهجة المحافل"، "الهيكل اللطيف في حلية الجسم الشريف".

وفي التفسير: "الكشاف" و"الإتقان" و"الثمرات في أحكام الآيات".

وغير ذلك من الرسائل، منها: "تحفة الناظر في آداب المناظر"، وفي علم السند: ثبت القاضي محمد مشجم: "بلوغ الأماني في سند من أنزلت عليه المثاني" وأجازني بهذه المقروءات، وبما اشتمل عليه هذا الثبت، وثبت الشوكاني.

ومن مشايخي، القاضي العلامة: أحمد بن عبدالله الجنداري.

وهؤلاء المشايخ سندهم إلى الشوكاني، ومن مشايخهم القاضي العلامة المتقدم: محمد بن أحمد العراسي، وبيني وبين شيخ الإسلام الشوكاني درجتين، وبعضهم ثلاث درجات وبعضهم أربع درجات، فالذي بيني وبينه درجتين عن مشايخي المذكورين عن شيخهم السيد العلامة إسماعيل بن محسن بن عبدالكريم عن شيخه الشوكاني وفي طريق أخرى عن مشايخي عن شيخهم السيد العلامة الحافظ محمد بن إسماعيل الكبسي عن شيخه الشوكاني.

ومن مشايخي من علماء مكة: السيد العلامة: حسين بن محمد الحبشي مفتي

مكة سابقا، حضرت عليه سنة ١٣٢٩هـ في الحديث، وقرأت عليه ثبته بعد نسخه المسمىٰ: "فتح القوي في سند السيد حسين الحبشي" وأجازني بما اشتمل عليه.

وأجازني علماء مكة فيما حضرت عليهم وبمؤلفات شيخهم السيد العلامة: أحمد زيني دحلان.

ومن مشايخي في المدينة المنورة العلامة: يوسف بن إسماعيل النبهاني البيروتي أجازني في الروضة الشريفة بجميع مؤلفاته، وبما اشتمل عليه ثبته المسمىٰ: "هادي المريد إلىٰ طريق الأسانيد".

ومن مشايخي من علماء دمشق السيد العلامة: محمد بدر الدين الحسني رحمه الله، صائم الدهر، محدِّث الشَّام وعلامة الدُّنيا، الزَّاهد الورع، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، ولا يتكلم عن أحد، ولا يسمح في مجلسه أن يذكر أحد غائب لازمته في دار الحديث خمس سنين أيام الحرب العمومي، وحضرت عليه في جملة من العلوم، منها "صحيح البخاري"، أمليت عليه وهو يسمع مع جملة من الطلبة، وكان رحمه الله يحفظ الصحيحين غيبًا مع رجالها وتاريخ حياتها، وقرأت عليه "نوادر الأصول" للحكيم الترمذي، و"عقائد النسفي"، والسعد علىٰ العزي، والفناري بحواشيه علىٰ الإيساغوجي، و"الهداية" في الحكمة، و"الخلاصة" للعاملي في علم الحساب، و"شرح تائية السلوك إلىٰ ملك الملوك" في التصوف، و"شرح منظومة ابن الهايم" في علم الجبر والمقابلة وأمليت عليه النصف الثاني من "الكشاف"، والنصف الأول مع تفسير الخطيب وحضرت عند شيخ آخر وأمليت عليه المختصر في "الترغيب والترهيب" وما إليه،

وأمرني بتجريد كثير من الأحاديث الضعيفة، وطلب من مطالعته معي في علم الفلك والهيئة، "التصريح على التشريح" طبع الهند، والجغميني، وفي زيج ابن الشاطر، واللمعة شرح الزيج، ومؤلفي المطبوع بالشام سابقا: "كنز الثقات في علم الأوقات" هذا مع علو همته، وتحقيقه لجميع العلوم، وكبر سنه ونيف عن السبعين في تاريخ سنة ١٣٢٧هـ لم يتكاسل عن أخذه لبعض العلوم من أصغر منه سنا، الذي لا يضر جهله بها وقد أجازني إجازة عامة وخاصة عن مشايخه بأثباتهم إلى مؤلفيها.

ومن مشايخي: شيخ الإسلام المصري إبراهيم السقا بسنده إلى الأمير الكبير صاحب الثبت المشهور.

ومن مشايخي: مفتي دمشق السيد العلامة محمد عابدين أبو الخير، حضرت عليه "صحيح مسلم" ومسلسلات ابن عقيلة، وشطرا من ثبت جده السيد العلامة: محمد عابدين المسمى: "عقود اللآلي في السند العوالي"، وأجازني بما اشتمل عليه.

ومن مشايخي السيد العلامة: محمد الكتاني المغربي.

وحضرت بمصر في أيام انتسابي في الأزهر على الشيخ عبدالرحيم أبو النجا، في شرح "منهاج النووي" في فقه الشافعية، في جامع إبراهيم بك وعلى الشيخ العلامة محمد بخيت في "البخاري" والتفسير بين العشائين في الأزهر في قبة العباسي، وبعد صلاة الصبح في الموضع المذكور في التفسير، لدى الشيخ العلامة يوسف الدجوي ولم أزل ملازما دروسهما في مدة بقائي بمصر.

وقد جرت عادة المشايخ رحمهم الله أن يذكروا في إجازاتهم سند بعض

مقروءاتهم المشهورة، كأحد الأمهات الست، أو غيرها، فأذكر سند "البخاري" رومًا للاختصار، وأروي هذا الكتاب عن سبعة وعشرين شيخًا، قراءة وإجازة فقرأته على تسعة مشايخ، ولي طرق، أذكر هنا أعلى طريق ولعلها أعلى طريق في الدنيا:

فأرويه عن شيخي السيد العلامة: عبدالرحمن بن عبدالله السقاف، عن شيخه السيد العلامة: عيدروس بن عمر، عن السيد: سليمان الأهدل، عن شيخه ابن سنة الفلاني، عن أحمد بن العجل، عن النهروالي، عن الطاووسي، عن الفرغاني، عن الختلاني، عن الفربري، عن البخاري.

وأجزتهما أيضًا من كتب أهل البيت عليهم السَّلام: بـ"الروض النضير شرح مجموع الإمام زيد بن علي عليهما السَّلام"، بقراءتي شطرًا منه على شيخنا العلامة: أحمد بن محمد السياغي رحمه الله بسنده عن جدِّه المؤلف أبي أمه القاضي العلامة: حسين بن أحمد السياغي رحمه الله.

وأجزتهما بمؤلفاتي وإن كانت لا تذكر، وقد جرت سنة العلماء في ذلك، وهي بضع عشرة مختصرًا فقد أجزتهما بجميع ما ذكر من الأثبات إلى مؤلفيها وأوصيهما بتقوى الله والدعاء لي بحسن الخاتمة وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمد وصحبه.

وحرَّره في ١٤ شهر رمضان الكريم سنة ١٣٥٤هـ الفقير إلى ربه عبدالواسع بن يحيى الواسعي.

خاتمة

وكان الفراغ من كتابة هذه الترجمة ظُهر الأحد السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة أربع وأربعمائة وألف، أحسن الله ختامها.

ثُمَّ زدتُ بعض الزيادات التي اقتضتها الحاجة، وذلك في مكة المكرمة والمدينة المنورة أثناء موسم حج سنة أربع وأربعمائة وألف، تقبَّل الله مِنَّا بمَنِّه وكرمه، وعفا عنَّا.

كتبه: أبو الفضل عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق

الحسنيُّ الغماريُّ

إلى الإمام عبد الله الغُمَاري:

زالت المحنة عنكم

أيُّهـــا الشـــيخُ ســـلامًا يـــا سَـــلِيلَ الأتقيـــاءِ
يـــا وليًّـــا مـــن وليٍّ يـــا علـــيمَ العلـــماء
أنـــت في الكـــون إمـــامٌ يرتجيـــك الأصـــفِياء
أنـــت للمَـــرْضَى طبيـــبٌ يـــا شِـــفاء للعيـــاء
فيـــك نـــور يـــتلالا في المُحيَّـــا واللـــماء
شـــاهِدٌ قـــد صـــاحَ هـــذا نجـــلُ خـــيرِ الأنبيـــاء
قـــد مـــلأتَ الأرضَ عِلْـــمًا قـــد تجـــاوزتَ العـــلاء
كـــلُّ أقطـــابِ البرايـــا نـــالَهم منـــك الثَّنـــاء
هـــذه المِحْنَـــةُ كانت سُـــلَّما في الارتقـــاء
إنَّهـــا كانـــت دلـــيلًا أنـــك ابـــنُ الشُّرفـــاء
كـــلُّ أهـــل العلـــم لاقَـــوا مثـــل هـــذا الابـــتلاء
شرَّفـــوا الســـجنَ وكـــانوا فيـــه خـــيرُ النُّـــزلاء
لم يكـــن هـــذا غريبًـــا بـــل لأحكـــام القضـــاء
وابـــن (يعقـــوب) مثـــالٌ فيـــه هَـــدْي واهتـــداء
يـــا إمـــامَ العصـــرِ عشـــتُم في عُلُـــوٍّ وارتقـــاء
إنّنـــي أزجـــي التهـــاني حلـــوة مثـــل الرَّجـــاء
زالـــت المِحْنَـــةُ عـــنكم صـــانكم ربُّ الســـماء

كتبها فضيلة الشيخ عبدالقادر عوض شيخ الطريقة القاوقجية الشاذلية بأويش الحجر مركز المنصورة بمصر.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١ - مُقدِّمة الشَّريف الدكتور عبدالمنعم بن عبدالعزيز بن الصِّدِّيق